

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعم من قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإنِّي أقول منبهًا لنفسي ، ولمن كان من أبناء جنسي : من لم يطع ناصحه بقبول ما يسمع منه ، ولم يملك صديقه كله ^(١) فيما يمثله له ، ولم ينقذ لبيانه ^(٢) فيما يريته ^(٣) إليه ويطلعه عليه ؛ ولم ير أن عقل العالم الرشيد ، فوق عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدّم على رأى الغمري ^(٤) الغرير فقد خسر حظه في العاجل ، ولعله أيضا يخسر حظه في الآجل ؛ فإن مصالح الدنيا معقودة بمراشد الآخرة ، وكليات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يرى بالميان مفضي إلى باطن ما يصدق عنه الخبر ؛ وبالجملة ، الداران متفقتان في الخير المقتبط به ، والشر المنذور عليه ؛ وإنما يختلفان بالعمل المتقدم في إحداها ، والجزاء المتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعوذ بالله الملك الحق الجبار العزيز الكريم المساجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « يملك » ، يريد بهذه العبارة تمام الطاعة لصديقه حتى كان صديقه مملك له كله يتصرف فيه كيف يشاء .

(٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .

(٣) يريته : يريده ويطلبه .

(٤) الغمري بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .

رُشْدِي ، وَأَلْقَى بِيَدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَاتَّجَانَفَ^(١) إِلَى مَا يَسُوءُنِي أَوْ لَا وَلَا يَسْرُنِي
آخِرًا ؛ هَذَا وَأَنَا فِي ذَيْلِ الْكُهُولَةِ وَبَادِنَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفِي حَالٍ مَنْ إِنْ لَمْ تَهْدِهِ
التَّجَارِبُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِهِ ، فِي حَالِي سَفَرِهِ وَمُقَامِهِ ؛ وَقَرِيرِهِ وَغِنَائِهِ ، وَشِدَّتِهِ
وَرِخَائِهِ ، وَسَرَائِهِ وَضُرَائِهِ ، وَخِيفَتِهِ وَرَجَائِهِ ؛ فَقَدْ أَقْطَعَ الطَّمْعُ مِنْ فَلَاحِهِ
وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ تَدَارُكِهِ وَأَسْتِصْلَاحِهِ ؛ فَإِلَى اللَّهِ أَفْزَعُ مِنْ كُلِّ رَيْثٍ وَعَجَلٍ
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فِي كُلِّ سَوْءٍ وَأَمَلٍ ، وَإِيَّاهُ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

(٢) قَدْ فَضِمْتُ أَيْهَا الشَّيْخُ^(٢) — حَفِظَ اللَّهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَغَ
الْكَرَامَةَ عَلَيْكَ ، وَعَصَبَ كُلَّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَشَدَ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي رِحَابِكَ
وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْهَائِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرِّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بَعْنَانِكَ ، وَلَا قَطَعَكَ
مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا ثَنَى طَرَفَكَ عَنْ الرِّقَّةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ
حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغِبَ بِكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا ثَقُلَ عَلَيْكَ
إِدْنَاءُ قَرِيْبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَالَةَ مُسْتَحِقِّهِمْ وَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ
وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مِنْ بَشَرٍ تَبْدِيهِ ، وَجَاهٍ تَبْذُلُهُ ، وَوَعْدٍ
تُقَدِّمُهُ ، وَضَمَانٍ تَوْكِّدُهُ ، وَهَشَاشَةٍ تَمْرُجُهَا بِشَاشَةٍ ، وَتَبَشُّمٍ تَخْلُطُهُ بِفُكَاةٍ
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ بِالْمُخْتَدِ^(٣) الزَّكِيِّ
وَالْعَرِيقِ الطَّيِّبِ وَالْمَنْشَأِ الْمَحْمُودِ ، وَالْمَادَةِ التَّرْضِيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَدَّةٌ بِأَنَّ الْمُنْحَةَ
رَاهِنَةٌ^(٤) ، وَالتَّوْهِيَةُ قَاطِنَةٌ ، وَالشُّكْرُ مَكْسُوبٌ ، وَالْأَجْرُ مَذْخُورٌ ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ

(١) « وَاتَّجَانَفَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجَانَفُ إِلَى الشَّيْءِ : الْمِيلُ إِلَيْهِ .

(٢) يَرِيدُ بِالشَّيْخِ أَبَا الْوَفَا الْمُهَنْدِسَ ، وَهُوَ الَّذِي وَصَلَ أَبَا حَيَّانَ بِالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْمَارِضِ كَمَا يَنْهَمُ مِمَّا يَأْتِي .

(٣) « بِالْمُجْدِ » .

(٤) رَاهِنَةٌ : دَائِمَةٌ .

واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُسْهِم^(١) وجهي عندك ، ولا يُزِيلَ قَدَمِي في خدمتك ، ولا يُزِيغَنِي^(٢) إلى ما يقطع مادةَ إحسانِكَ وعائدةَ رأيك ونافع^(٣) نَفْتِكَ وجَهِيلَ معتقَدِكَ ، بمنه ولطفه .

فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وَعْيًا تامًا ؛ وبأن لي الرُّشْدُ في جلته وتفصيله ، والصلاحُ في طرفيه ووسطه ، والغنيمةُ في ظاهره وباطنه ، والشفقةُ من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرسمُه بالخط وأقتيده باللفظ ، حتى يكون أعترافي به أَرَسَى وأثبتت ، وشهادتي على نفسي أقوى وأؤكد ، ونُكُولِي عنه أبعدُ وأصعب ، وحُكْمُكَ به لي وعلى أَمْضَى وأنفذ .

(٣) قلت لي — أدام الله تعالى توفيقك في كل قول وفعل ، وفي كل رأي ونظر — : إنك تعلم يا أبا حَيَّانَ أَنَّكَ أَنْكَفَأْتَ من الرَّمْيِ^(٤) إلى بغداد في آخر سنة سبعين^(٥) بعد فوت مأمورك من ذي الكفایتين^(٦) — نصر الله وجهه — عابسا على ابن عباد^(٧) مَغِيظًا منه ، مقروح الكبد ، لما نالك به من الحرمان

(١) السهم : تغير الوجه وعبوسه من الهم ؛ وكنى به عن تغير الحال .

(٢) يزغني : يميلني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرى : مدينة فارسية قديمة كانت قصبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي راغة ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أى وثلاثمائة .

(٦) ذو الكفایتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المعروف بابن العميد . ويعنون بالكفایتين كفاية السيف وكفاية العلم ، وقد قام مقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن الدولة البويهى ، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرى ، وكان وزيراً لمؤيد الدولة أبى =

المُرّ ، والصدُّ^(١) القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقَدْعُ^(٢) المؤلم والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة ، وجبس الأجرة على النسخ والوراقة ، والتجهم المتوالى عند كل لحظة ونفظة .

وذكرت في الجملة شقاء اتّصل بك في سَفَرِكَ ذلك ، وعناء نال منك في عُرْضِ^(٣) أحوالك ؛ وَلَمَعْرَى إِنَّ السَّفَرَ فَعُولٌ لِهَذَا كُلِّهِ وَلَا كَثْرَتُهُ ؛ فَأَرَعَيْتَكَ بَصْرَى ، وَأَعْمَرْتَكَ نَعْمَى ، وسأهمتُكَ في جميع ما وقرته في أذُنِي بِالْجَزَعِ والتَوَجُّعِ والاستفْطاعِ^(٤) والتَفْجُّعِ ؛ وَضَمِنْتُ لَكَ تِلْكَ تِلْكَ كُلَّهَا بِحَقِّ^(٥) الشَّفَقَةِ وخالصِ الضمير ، ووعدتُكَ صلاحَ الحالِ عن ثباتِ النِّيةِ ، وصحّةِ العقيدة ، وقلتُ : أَنَا أُرْعَى حَقَّكَ التَّدِيمَ حِينَ التَّقِينَا (بَارْجَانِ^(٦)) ، وَأَنَا عَلَى بَابِ (ابنِ شَاهَوِيَه^(٧)) الفقيه ، وَعَهْدُكَ الْحَدِيثَ حِينَ اجْتَمَعْنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ؛ وَأَوْصِلُكَ إِلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضِ^(٨) — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ — وَأَخْطُبُ

= منصور بويه الديلمي ، ثم وزير لأخيه نضر الدولة أبي الحسن علي ، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدح بالمهمله : النع والزجر . وبالدال المعجمة : الشتم . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أى في أكثرها . وعرض الشيء أكثره ومعظمه .

(٤) « والاستفطاع » .

(٥) حاق الشفقة : أى صادقها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهى من كور الأهواز ، ونعرف الآن

باسم « بابهان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي

تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بَنيسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — فى رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان

كان وزيرا لصمصام الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له

وهو كما فى الأنساب للسماعى « من يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض

السكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن

يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأى فى المقدمة) .

لك قبولاً منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، ونيل الخطوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لعنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم حصنت^(١) لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو المبرم والناقص ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمتها ونصحائها ، والمزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعى لرعيتهما ودعماها ، والناهض بأثقالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاه ، وكفاه المهم في دنياه وأخراه ، بمنه وقدرته .

نعم ورببت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادتي معك في الاسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة والمواتاة^(٢) ، والتعصب والمحاماة .

أفكان من حقى عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها ، وفي أخواتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أنك تخلو بالوزير — أدام الله أيامه — ليالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقى إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ؛ ولعلك في عرض ذلك تعدو طورك بالتشديق^(٣) وتجاوز حدك بالاستحقار ، وتتناول إلى ما ليس لك ، وتغلط في نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتحرى ، وخجلة الواقى ؛ وهذا وأنت غير لاهية لك في لقاء الكبراء ، ومحاورة الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « حصنت لك هذه الحال » ، أى كفلتها لك وحفظتها عليك .

(٢) المواتاة : الموافقة .

(٣) التشديق ، هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء الرجل بالناس يلوى شدة بهم وعليهم .

مِرَانِ سَوَى مِرَانِكَ ، وَلِبْسَةٍ لَا تَشْبِهُ لِبْسَتَكَ ؛ وَقَلَّ مَنْ قُرْبَ مِنْ وَزِيرٍ
خَدَمَ فَأَجَادَ ، وَتَكَلَّمَ فَأَفَادَ ، وَبُسِطَ فزَادَ ؛ إِلَّا سَكِرَ ، وَقَلَّ مَنْ سَكِرَ إِلَّا عَثَرَ
وَقَلَّ مَنْ عَثَرَ فَأَنْتَعَشَ ، وَمَا زَهَدَ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ الْأَوَّلِينَ
وَالْعُبَادِ الرَّبَّاتِيِّينَ ؛ إِلَّا لِفَلْظِهَا وَصَمُوبَتِهَا ، وَمَكْرُوهِ عَاقِبَتِهَا ، وَشِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَى
فَوَارِضِهَا وَرَوَاتِبِهَا^(١) ، وَتَقَشُّخِ^(٢) الْمَتْنِ بَيْنَ حَوَادِثِهَا وَنَوَائِبِهَا .

وَالْعَجَبُ أَنَّكَ مَعَ هَذِهِ الْجِلَّةِ^(٣) تَظُنُّ أَنَّهَا مَطْوِيَةٌ عَنِّي وَخَافِيَةٌ دُونِي ، وَأَنَّكَ
قَدْ بَلَغْتَ الْغَايَةَ وَادَعَ الْقَلْبَ ، وَمَلَكَتِ الْمَكَانَةَ ثَانِي الْعِثَانِ ؛ وَقَدْ أَتَقَطَعْتُ
حَاجَتُكَ عَنِّي وَعَمَّنْ هُوَ دُونِي ، وَوَقَعَ الْغِنَى عَنْ جَاهِي وَكَلَامِي وَلَطْفِي وَتَوْصِيلِي ؛
وَجَهَلْتُ أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى وُصُولِكَ ، يَقْدِرُ عَلَى فَصُولِكَ^(٤) ، وَأَنْ مَنْ صَعِدَ بِكَ
حِينَ أَرَادَ ، يَنْزِلُ بِكَ إِذَا شَاءَ ، وَأَنْ مَنْ يُحْسِنُ فَلَا يُشْكِرُ ، يَجْتَهِدُ فِي الْاِقْتِصَادِ
حَتَّى يُعْذَرَ .

وَبَعْدَ ، فَمَا أُطِيلُ ، وَلَعَلَّ لَهَبَ الْمَوْجِدَةِ يَزْدَادُ ، وَلِسَانَ الْغَيْظِ يَغْلُو ، وَطِبَاعَ
الْإِنْسَانِ تَحْتَدُّ ، وَالنَّدَمَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُ مِنَ الْجَمِيلِ يَتَضَاعَفُ ؛ وَلَسْتَ أَنْتَ
أَوَّلَ مَنْ بُرِّ فَقَقَ ، وَلَا أَنَا أَوَّلَ مَنْ جُنِيَ فَنَقَقَ^(٥) . وَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
وَأَخْرُ كَلَامِي مَعَكَ ، وَفَاتِحَةُ يَأْسِي مِنْكَ ؛ قَدْ غَسَلْتُ يَدِي مِنْ عَهْدِكَ بِالْأَشْنَانِ^(٦)

(١) « وَرَوَاتِبِهَا » .

(٢) التَفْسِخُ : الضَّعْفُ وَالْعِجْزُ عَنِ التَّهَوُّضِ . وَالْمَتْنُ : الظَّهَرُ .

(٣) « الْجِلَّةُ » . وَالْحَلَّةُ بِالْكَسْرِ : الثَّلْمَةُ . يَرِيدُ مَا فِيهِ مِنَ الصُّبُوبِ وَالنَّقَائِصِ .

(٤) فَصُولُكَ ، أَيْ خُرُوجُكَ مِنْ عِنْدِ الْوَزِيرِ ، يُقَالُ : « فَصَلَ الْقَوْمَ مِنَ الْبَلَدِ فَصُولًا » ،
إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا .

(٥) نَقَقَ : مِنَ التَّقِيقِ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ صِيَالُ الضَّفْدَعِ ؛ وَالْمُرَادُ هُنَا التَّحَدُّثُ بِمَا أَسْدَاهُ
مِنَ النَّيْمِ وَمَا يَلْقَاهُ مِنَ الْكَفَرَانِ .

(٦) الْأَشْنَانُ : خَاسُولُ كَانَتْ تَفْسِلُ بِهِ الثِّيَابَ وَالْأَيْدِي ؛ وَهُوَ نَبَاتٌ لَا وَرَقَ لَهُ ، وَلَهُ
أَغْصَانٌ دَقَاقٌ فِيهَا مَا يَشْبُهُ الْعَقْدَ ، وَهِيَ رَخِصَةٌ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ .

البارق، وسلوتُ من قربك بقلب معرضٍ وعزمٍ حيٍّ ؛ إلا أن تُطْلِعْنِي طِلْعَ^(١)
 جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذْبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره
 وشُرّه ، وطيبه وخبيثه ، وباده ومكتومه ؛ حتى كأني كنتُ شاهداً معكما
 ورقبياً عليكما ، أو متوسطاً بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عُقْبِي أَسْتِيحَاشِي
 منك ، وتوقعُ قَلَّةَ غُفْوِي عنك ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَّابَ حيرانٍ
 يا أبا حيان ، تأكل أصبعك أسفاً ، وتزددُ رَيْقَكَ لُفْفاً ، على ما فاتك من العَوَاطِلِ
 لنفسك ، والنظر في يومك لندك ، والأخذ بالوثيقة في أمرك ، أتظنن بفرارتك^(٢)
 وغمارتك^(٣) ، وذهابك في فُسُولَتِكَ^(٤) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والفرباء
 والمجتدين الأدنياء الأردياء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأناؤم منك على
 حسن الظن بك ، والثقة بصَدْرِكَ ووردك ، وأطمئن إلى حَكِّكَ وجَرْدِكَ
 وأتعاوى عن حرِّكَ وبردك ؛ هيهات ؛ رَقَدْتَ فَعَلِمْتَ ، نفيرا رأيت وخيرا يكون
 على هذا الحدِّ كان مَقْطَعُ كلامك في مَوْجِدَتِكَ ، وإلى هنا بلغ فيضُ
 عَتَبِكَ ولَأَمَتِكَ ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهي ، وتقويمٌ لمن
 يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنا^(٥) يكنى القتي عند زَيْفِهِ من الأود^(٦) البادي ثِقافُ المقومِ
 قُلْتُ لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سَخَطَكَ بكلِّ

(١) يقال : « أطلعت طلع أمرى » بكسر الطاء ، أى أبشته سرى .

(٢) الفرارة : الغفلة .

(٣) الفمارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : البُضْف والحنة وقلة الموهبة .

(٥) « إنا » بالياء . (٦) الأود : العوج . والثفاف : ما سوى به الرماح .

صفراء^(١) وبيضاء في الدنيا ؛ ولا أنفِر من التزام^(٢) الذنب والاعتراف بالتصير ؛
ومثلي يهفو ويجمع ، ومثلك ينفو ويصفح ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت آسر
وأنا مؤتمِر ، وأنت ممثِل وأنا ممثِل ، وأنت مصطنع وأنا صنيعة ، وأنت
منشئ وأنا مُنشأ ، وأنت أول وأنا آخر ، وأنت مأمول وأنا آمِل ، ومتى
لم تغفر لي الذنب البكر ، والجناية العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على
ما كان مني ، ودللت على مَلِك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه المفضوة
ومعتقداً في مقابلتها هذه الجفوة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك
خِدمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفضل ما طلبتني به من سرِّد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه
على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن
أذِنتَ جمعه كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والجلي والمر ، والطري
والعاسي^(٣) ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : إقفل . ونعم ما قلت
وهو أحبُّ إلي وأقربُ إلى إرادتي ، وأحصرُّ لما أريد^(٤) منه ، وأدخلُ
في الحجة عليك ولك ؛ وأغسلُ للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهرُ للسراج الذي
طغى عني وعنك ، وأجذبُ لعنان الحجة إن كانت لك ، وأنطقُ عن العذر إن
أتضح بقولك ؛ وإذا عزمت فتوكّل على الله ؛ وليكن الحديث على تباعد
أطرافه ، واختلاف فنونه مشروحاً ، والإسناد عالياً متصلاً ، والتمنُّ تاماً بيننا ،

(١) يريد بالصفراء الذهب ، وبالبيضاء الفضة .

(٢) « أكرام » .

(٣) العاسي : اليابس .

واللفظ خفيفا لطيفا ، والتصريح غالبا ^(١) متصدرا ^(٢) ، والتعريض قليلا يسيرا وتوخ الحق في تضاعيفه وأثنائه ، والصدق في إيضاحه وإثباته ؛ وأتق الحذف المخل بالمعنى ، والإلحاق المتصل بالهذر ، وأحذر تزيينه بما يشينه ، وتكثيره بما يقلله ، وتقليله عما لا يستغنى عنه ؛ وأعمد إلى الحسن فزد في حسنه ، وإلى القبيح فأقص من قبحه ؛ وأقص امتاعى بمجمعة ^(٣) نظمه ونثره ، وإفادتي من أوله إلى آخره ؛ فلعل هذه المناقفة ^(٤) تبقى وتروى ، ويكون في ذلك حسن الذكري ؛ ولا تؤمئ إلى ما يكون الإفصاح عنه أحلى في السمع ، وأعذب في النفس ، وأعلق بالأدب ؛ ولا تفصح عما تكون الكناية عنه أستر للعيب ، وأنقى للريب ؛ فإن الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل إنسان ، ولا يصعب كل لسان ؛ وخطره كثير ، ومتعاطيه مغرور ، وله أرن ^(٥) كأرن المهر وإبلا كإباء الحرور ، وزهو كزهو الملك ، وخفق كخفق البرق ؛ وهو يتسهل مرة ويتعسر مرارا ، ويذل طورا ويعز أطوارا ؛ ومادته من العقل [والعقل] سريع الحؤول ^(٦) خفي الخداع ؛ وطريقه على الوم ، والوم شديد السيلان ومجراه على اللسان ، واللسان كثير الطغيان ؛ وهو مركب من اللفظ اللغوي والصوغ ^(٧) الطباعي ، والتأليف الصناعي ، والاستعمال الاصطلاحي ، ومستملاته

(١) « عاليا » .

(٢) « متصورا » .

(٣) الجمعة : المجموعة .

(٤) يريد بالمناقفة المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما .

(٥) الأرن بالتحريك : النشاط .

(٦) الحؤول : التحول .

(٧) « والصرع » .

من الحجا، ودزيه^(١) بالتمييز؛ ونسجه بالرفقة، والحجا في غاية النشاط^(٢) وبهذا
 البون يقع التباين ويتسع التأويل، ويجول الذهن، وتمطى^(٣) الدعوى، ويفزع
 إلى البرهان، ويبرأ من الشبهة، ويمر بما أشبه الحجة وليس بحجة؛ فأخذ
 هذا النعت وروادفه، وأتى هذا الحكم وقوائمه^(٤)؛ ولا تمسق اللفظ دون المعنى
 ولا تهو المعنى دون اللفظ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء في جانب، فإن
 صناعتهم يقتصر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم، ولا
 تجر على مثالمهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر
 ببياضك سوادهم، ولا تقابل بكاهنتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رشاءهم، ولا
 تحاول بباعك مطاولتهم^(٥) وأعرف قدرك تسلم، وألزم حدك تأمن؛ فليس
 الكوذن^(٦) من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغنى على شيء؛ أما سمعت قول
 الناس: ليس الشامى للعراق^(٧) بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر،
 فإن طال^(٨) فلا تبسل، وإن تشعب فلا تكترث، فإن الإشباع في الرواية أشنى
 للخليل، والشرح^(٩) للحال أبلغ إلى الناية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.
 فكتبت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أقول أيها الشيخ — عطف الله

(٥)

(١) دزيه، أي درياه وعلمه.

(٢) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ.

(٣) تمطى: تتناول.

(٤) قوائمه، أي توابه. يقال: قال أثره إذا تبعه.

(٥) «مطاولتهم».

(٦) الكوذن: الفرس المهجين والبرذون. والعتيق من الأفراس: الكريم الرائع منها.

(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والعراق من العداوة أيام علي ومعاوية وما

ذلك.

(٨) طال، أي الكلام.

(٩) «والشرح».

قلبك على ، وألمحك الإحسان إلى - في جواب جميع ما قلته واجداً على وعائباً ، وقابضاً ، وباسطاً ، ومرشداً ، وناصحاً ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويستبين الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُريغ^(١) للباطل معك ، ولا جاحد لأيديك القديمة والحديثة ، ولا منكِر لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غايط^(٢) على فواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تارك لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دقه وجهه إليك حتى تراه بسيدته^(٣) وغباره ، وأجلوه عليك حتى تلحظه بردائه وإزاره . كما نرى لم أسمع قول الأول :

« والكفر^(٤) نخبته لنفس المنعم » « والشكر مبعثه لنفس المفضل »
أنا أدعك واجداً على ، وأرقد وأنت ماقت لى ، وأجد حس نعمة أنت وهبتها لى ، وألذ عيشاً أنت أدقنتى حلاوته . أنسى أيديك وهى طوق رقبتي ، ونجاة عيني ، وحشو نفسى ، وراحة حلمى ، وزاد حياتى ، ومادة روحى ؟ هيهات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لهم أهتام بصون أعراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عبقوا^(٥) بفوائح الفتوة ، وعلقوا بحبال المروءة ، وشدوا^(٦) من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزوا من الأدب

(١) المريغ : المريد .

(٢) غطى على الشيء بتخفيف الطاء : كغطى عليه بتشديد طاء .

(٣) السد : الصحيح من الكلام وكنى بالخباء عما يشور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، ومنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هذا المظهر مجز بيت لنترة العبسى ومصدره :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي

(٥) « عتقوا بفرائح » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من العلم شيئا إذا أخذه كأنه ساقه أو جمعه ، وفي

الأصل « شدوا » بالمعجمة .

إلى أعز حرم^(١)؛ وحازوا شرفاً بعد شرف ، وانحازوا عن نطاف بعد نطاف^(٢) ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة ، وعزفوا^(٣) أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة .

فأول ما أبدوك به أنني ظننتُ ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيتامه ، وقصم أعداءه — ليس مما يهتك ، ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه ردلتني عليه وتنقصني به ، وزريتُ على فيه ؛ وأنتك ربما قلت : لم بدأتُ بما لم أسئلك عنه ولم أرخص لك فيه ، هلاً كظمتُ على جرتك^(٤) ، وطويتُ ما بين جنبيك وما على مما يدور بين صاحب وخادمه والرؤساء ، والناظرين في أمور الدهماء^(٥) والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة ، ولهم أسرار وعيوب لا يقف عليها أقرب الناس إليهم ، وأعزُّ الناس عليهم ، وأنت أيضاً لم تسألني عنه ، فكان في تقديري أنك قد عرفتُ وصولي في وقت دون وقت ، وأنتك قد حملتُ أمري على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة ، ولا في الإعراض عنها فائدة .

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس^(٦) بظني ، فإني أهدى ذلك كله بغثائته وسمائته ، وحلاوته ومرارته ، ورقته وخثارته في هذا المكان ؛ ثم أنت أبصر بعد ذلك في كتمانته وإفشائه ، وحفظه وإضاعته وستره^(٧) وإشاعته ؛ والله ما أرى هذا أمراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) « خدم » .

(٢) النطف بالتحريك : العيب والفساد .

(٣) « هرفوا » وعزف عن الشيء : أعرض عنه وزهد فيه .

(٤) « جريك » ، وجرة البعير معروفة ، شبه بها الحديث المختزن يفشي صاحبه .

(٥) « الذهبما » والدهماء : جماعة الناس .

(٦) « ولكبس » .

(٧) « ولهره وأشكر عنه » .

ولا كُلفة شاقّة إذا أ كسبني مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرّ بأشياء كثيرة ومختلفة ، متعصية غريبة ، منها ما يَشِيْطُ ^(١) به الدمّ الحقون ، ويُزَع من أجله الرّوح العزيز ، ويُستصغر معه الصّلب ، ولا يُقنع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضا غير ذلك ممّا يُضحك السنّ ، ويُفكّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلّ على النّصح ، ويؤكد الحُرمة ، ويعقّد الذّمّ ، وينشر الحكمة ، ويشرف المهمة ، ويلقّح العقل ، ويزيد في الفهم والأدب ويفتح باب اليمن والبركة ، ويُنفق بضاعة أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظ العميون الناعسة ، ويُبَلّ السنّ ^(٢) المتغضّف ، ويُندّي الطّين المترشّف ؛ ويكون سببا قويا على حُسن الحال وطلب العيش ، فإن هذه العاجلة محبوبه ، والرّفاهية مطلوبة ، والمكانة عند الوزراء بكلّ حول وقوة مخطوبة ، والدنيا حلوة خضرة وعدبة نصرة ، ومن شفّ ^(٣) أمله شقّ عمله ؛ ومن اشتدّ إلحاحه ، توالى غدؤه وزواحه ، ومن أسره رجاؤه ، طال عناؤه ، وعظم بلاؤه ؛ ومن ألهب طمعه وحرصه ، ظهر عجزه وتقصّه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متهمّا لم يُمس محتاجا إلى أحدٍ

ولا بدّ من فتى يعين على الدّهر ، ويُغني عن كرام الناس فضلا عن لثامهم ، ^(٦) ويدلّل قعود الصبر ، ويُجِمّ راحلة الأمل ، ويُجلى مُسرّ اليأس ؛ والعُرلة محمودة

(١) يشيط : ينهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهلة » . والشن بالمعجمة : القرية الخلق . والمتغضّف ، أي التّكسر المتغضن من اليبوسة .

(٣) شفّ أمله : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسقمه الأمل وأضناه لملوه وبعد مثاله .

إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَزَّةٌ ^(١) فَكِيهةٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كُلفَةُ مُحَرَّجَةٍ إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها ^(٢) وفاشيةٌ ^(٣) تَمُدُّها ، وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين ، ورغبة في الآخرة شديدة ، وفِطَامٍ عن دار الدنيا صعب ، ولسانٍ بالخلو والхамض يَلْغُ .

قال ابن السماك ^(٤) : لولا ثلاثٌ لم يقع حَيْفٌ ، ولم يُسَلَّ سيفٌ ، لقمةٌ أُسَوِّغُ من لقمة ، ووجهٌ أُصْبِحُ من وجه ، وسِلْكٌ ^(٥) « أُنْتَمُ من سِلْكٍ » ، وليس كلُّ أحد له هذه القوة ، ولا فيه هذه المَنَّةُ ^(٦) والإنسان بَشَرٌ ، وبِنْيُتُهُ متهافِئَةٌ وطِينَتُهُ منتثرةٌ ، وله عادةٌ طالبةٌ ، وحاجةٌ هاتكةٌ ، ونفسٌ جَوحٌ ، وعينٌ طموحٌ ؛ وعقلٌ طفيفٌ ^(٧) ، ورأى ضعيفٌ ، يهفو لأوَّلَ رِيحٍ ، ويستخيلُ ^(٨) لأوَّلَ بارقٍ ؛ هذا إذا تَخَلَّصَ من قُرْناءِ السوء ، وسلم من سوارقِ ^(٩) العقل ، وكان له سلطان على نفسه ، وقَهَرٌ ^(١٠) لشهواته ، وقَمْعٌ لهوائجه ^(١١) وقبولٌ من ناصحه ، وتهَيُّؤٌ

(١) «مرة» والمَزَّةُ : الحزرة اللذيذة الطعم .

(٢) تجدها ، أى تجدها .

(٣) الفاشية : ما انتشر من المال . وفي الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السماك » ، وهو تحريف وابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السلك : الحيط . وكفى به عن الثوب لأنه من الحيوط .

(٦) « المنة » . والمنة بضم الميم : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) في الأصل : « ويستحيل » بالحاء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال المطر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التى تذهب به وتجعله فى حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذى فى الأصل : « سراق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائجه ، أى لما يهيج به من النزعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوءاً في مَعَانٍ^(١) حَظَّهُ ، وأَتَمَّ بِسَعَادَتِهِ ، وأَسْتَبْصَرَ فِي طَلَبِ مَا عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَسْتَنْصَفَ مِنْ هَوَاهِ الْمُضِلِّ لِعَقْلِهِ الْمُرْشِدِ ، هَذَا قَلِيلٌ وَصَعِبٌ وَلَوْ قُلْتُ : مَعْدُومٌ أَوْ مُحَالٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْعَسِيرِ وَالذَّهْرِ الْفَاسِدِ ، لَمَا خَشْتُ عَائِقًا يَعْوقُنِي ، وَلَا حَسُودًا يَرُدُّ قَوْلِي . قَالَ ابْنُ السَّكَّاكِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَلْسُنِ تَصِفِ وَقُلُوبِ تَعْتَرِفُ ، وَأَعْمَالٍ تَخْتَلِفُ . وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْحَارِثِ — وَرَأَاهُ لَا يَلِي لَهُ عَمَلًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ نَائِلًا — : يَا ابْنَ أَخِي ، هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَرْضَعَ مَعْنَا ؛ وَإِنَّمَا أَنْ تَرْتَدِّعَ عَنَّا . وَرَبَّمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّفِينَ قَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنَّ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ . (أَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ مَوْقُوفٌ الْبَاطِنُ . وَرَبَّمَا قَالَ آخَرُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (أَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا ، وَأَعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا) . وَهَذَا أَيْضًا كَلَامٌ مُنْتَقٍ ، لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى مُحَقَّقٍ ؛ أَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حِينَ قَالَ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَتَى بَعْدُ أَحَدُكُمَا مِنْ أَحَدِهِمَا قَرُبٌ مِنَ الْآخَرِ ؛ وَمَتَى قَرُبٌ مِنْ أَحَدِهِمَا بَعْدُ مِنَ الْآخَرِ . وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ ، مَتَى أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسَخَطْتَ الْآخَرَى ، وَمَتَى أَسَخَطْتَ إِحْدَاهُمَا أَرْضَيْتَ الْآخَرَى .

وَهَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ صَغِيرُ الْحَجْمِ ، ضَعِيفُ الْحَوْلِ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ شَهَوَاتِهِ وَأَخْذِ حِفْظِ بَدَنِهِ وَإِدْرَاكِ إِرَادَتِهِ ، وَبَيْنَ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَ رَبِّهِ بِإِدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى حُدُودِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَإِنْ صَفَّقَ

وجهُه وقال : نَعْمَلُ تَارَةً لِهَذِهِ الدَّارِ وَتَارَةً لِلْأُخْرَى ، فَهَذَا الْمَذْذَبُ الَّذِي لَا هُوَ مِنْ هَذِهِ وَلَا مِنْ هَذِهِ ؛ وَمَنْ تَحَنَّنْتَ ^(١) وَتَلَكَّيْتُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا وَلَا أَمْرًا ، وَلَا يَكُونُ أَبًا وَلَا أُمًّا ؛ وَهَذَا كَمَا نَرَى .

وَنَرْجِعُ فَنَقُولُ : وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ خَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهِ عِمَادٌ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا عِمَادٌ مِنَ الصَّبْرِ ، وَلَا دِعَامَةٌ ^(٢) مِنَ الْأَنْفَةِ ، وَلَا أَصْطِبَارٌ عَلَى الْمَرَارَةِ .

وَقَدْ يُبَلِّغُنَا بِهَذَا الدَّهْرُ الْخَالِي مِنَ الدِّيَّانِينَ الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ ^(٣) أَنْفُسَهُمْ وَيُصَلِّحُونَ غَيْرَهُمْ بِفَضْلِ صِلَاحِهِمْ ، الْخَاوِي مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَمَعُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ ، وَيُوسِّعُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ سَعَتِهِمْ ، وَكَانُوا يَهْتَمُّونَ بِذَخَائِرِ الشُّكْرِ الْمَجْعَلِ فِي الدُّنْيَا ، يَحْرِصُونَ ^(٤) عَلَى وَدَائِعِ الْأَجْرِ الْمُؤَجَّلِ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَيَتَلَذَّذُونَ بِالثَّنَاءِ ، وَيَهْتَرِّزُونَ لِلدَّعَاءِ ؛ وَتَمْلِكُهُمُ الْأَرْيَحِيَّةُ عِنْدَ مَسْئَلَةِ الْحَتَّاجِ ، وَتَعْتَرِيهِمُ الْهَيْزَةُ مَعَهَا وَالْإِبْتِهَاجُ ؛ وَذَلِكَ لِعَشَقِهِمُ الثَّنَاءَ الْبَاقِي ؛ وَالصَّنِيعَ الْوَاقِي ؛ وَيُرُونَ الْغَنِيمَةَ فِي الْفَرَامَةِ ، وَالرَّجَحَ فِي الْبَذْلِ ، وَالْحِظَّ فِي الْإِثَارِ ، وَالزِّيَادَةَ فِي النِّقْصِ ؛ أَعْنَى بِالزِّيَادَةِ . الْخَلْفَ الْمُنْتَظَرَ مِنَ اللَّهِ ؛ وَبِالنِّقْصِ : الْعَطَاءُ ؛ وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَعْجِبُونَ ابْنَ الْعَمِيدِ حِينَ قَالَ : أَنَا أَعْجَبُ مِنْ جَهْلِ الشَّاعِرِ الَّذِي قَالَ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

قَالَ : وَلَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا كَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَسَبَ الْمَالُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي تَرْكِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَنَّنْتَ » ؛ وَهُوَ تَمْحِيفٌ . وَيريد بالتحنن والتلث : اللين والتشدد تشبهاً بالحنين واللين .

(٢) « دِمَائَةٌ » . وَالدِّعَامَةُ : الْمَادِدُ .

(٣) « لَا يُصَلِّحُونَ » : وَقَوْلُهُ « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) « يَحْرِصُونَ » .

كسبه أكثر من إخراجِه بالإتفاق . هذا لقولهم ^(١) بحكمتِه وعقلِه وتحصيلِه
وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستحبُّ خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا وُلُّوا
عَدَلُوا ، وإذا مَلَكُوا أَفْضَلُوا ^(٢) ، وإذا أعطوا أَجَزُّوا ، وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا
وإذا جادوا أَطابوا ، وإذا عَلُوا ^(٣) صَبَرُوا ، وإذا نَالُوا ^(٤) شَكَرُوا ؛ وإذا أَتَقَوْا
وَاسَّوْا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى نقائب ميمونة ، وإلى
ضرائب ^(٥) مأمونة ؛ وإلى دِيانات قويَّة ، وأماناتٍ ثَخِينَةٍ ^(٦) ؛ وكان لهم مع الله
أسرار طاهرة ، وعَلَانِيَةٌ مقبولة ؛ ومع عباد الله معاملَةٌ جميلة ، ورحمةٌ واسعة
ومَعْدِلَةٌ فاشية ؛ وكانت تجارتُهم في العلم والحكمة ، وعادتُهم جارية على الضيافة
والتَّكْرِمَةِ ؛ وكانت شِيمَتُهُم الصَّفْحُ والمَغْفِرَةُ وربُّهُمْ ^(٧) من هذه الأحوال
النَّجاة والكَرَامَةُ في الأولى والعاقبة ؛ وكانوا إذا تَلَّاقَوْا تَوَاصَوْا بِالْخَيْرِ ، وتَنَاهَوْا
عَنِ الشَّرِّ ؛ وَتَنَافَسُوا فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وَأَدْخَارِ البُضَائِعِ (أعنى صنائع الشكر ،
وبضائع الأجر) فذهب هذا كُلُّهُ ، وتاه ^(٨) أَهْلُهُ ؛ وأصبح الدِّينُ وقد أُخْلِقَ
لِبُؤْسِهِ ، وأُوحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وأَقْتُلِعَ مَغْرُوسُهُ ؛ وضار المنكر معروفًا ، والمعروفُ
منكراً ، وعاد كلُّ شَيْءٍ إلى كَدْرِهِ وخَاثِرِهِ ، وفاسدِهِ وضائِرِهِ ؛ وَحَصَلَ الأَمْرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العبيد في كلامه السابق ، لما يصفونه به من
الحكمة والعقل الخ .

(٢) أَفْضَلُوا : أُنْعَمُوا .

(٣) في الأصل « اعتزلوا » . وعالوا : افتقروا ، من العيلة بفتح أوله .

(٤) « قالوا » .

(٥) الضرائب : الطبايع والسجايا ، الواحدة ضريبة .

(٦) ثَخِينَةٌ : قوية كما يقال في عكس ذلك : هو رقيق الدين ، أى ضعيفه .

(٧) « وزكهم » .

حَتَّى أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وَفَلَانٌ حَسَنُ الرَّجَاءِ ، وَفَلَانٌ ظَرِيفُ الْجَمَلَةِ ،
حُلُوُ الشَّامِلِ ، ظَاهِرُ الْكَيْسِ ، قَوِيُّ الدَّسْتِ ^(١) فِي الشَّطْرَنْجِ ، حَسَنُ اللَّعْبِ فِي
النَّرْدِ ، جَيِّدٌ فِي الْأَسْتِخْرَاجِ ، مَدِيرٌ ^(٢) لِلْأَمْوَالِ ، بَذُولٌ لِلْجَهْدِ ، مَعْرُوفٌ بِالْأُسْتِقْصَاءِ
لَا يُغْضِي عَنْ دَانِقٍ ، وَلَا يَتَنَافَلُ عَنْ قِيرَاطٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي مِنَ الْعَالَمِ مِنْ
تَكْثِيرِهِ ، وَالكَاتِبُ مِنْ تَسْطِيرِهِ .

وهذه كلها كُنَايَاتُ عَنِ الظُّلْمِ وَالتَّجْدِيفِ ^(٣) ، وَالْحَسَاسَةِ وَالْجَهْلِ وَقِلَّةِ الدِّينِ
وَحُبِّ النِّسَادِ ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا قَدَّمْنَا وَصَفْنَاهُ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَجْتَهَدُوا أَنْ
يَكُونُوا خُلَفَاءَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِالرَّافَةِ وَالرَّقَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ وَالْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ .
وَأَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الشُّكَايَةِ الطَّوِيلَةِ اللَّادِعَةِ وَالْبَلِيَّةِ الْعَامَّةِ الشَّامِلَةِ ؛ إِلَى
عَيْنٍ مَارَسَمَتْ لِي ذِكْرَهُ ، وَكَلَّفَتْنِي إِعَادَتَهُ ؛ عَائِذَا بِاللَّهِ فِي صَرْفِ الْأَذَى عَنِّي
وَسَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيَّ ؛ وَلَائِذَا بِكَرَمِكَ الَّذِي رَشَّتَنِي ^(٤) بِهِ إِلَى السَّاعَةِ ، وَكَفَيْتَنِي بِهِ
مُؤْنَةً لِحِدْمَةِ لَيْلِيكَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا ، وَالصُّدُورُ بِأَعْيَازِهَا ؛
وَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِّي إِذَا عَرَفْتَ بَرَاءَتِي فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ
بِي مِنْ ذِمَامِكَ ؛ وَيَجِبُ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ فِي مَوْدَتِكَ ، وَالْأَعْتَصَامِ بِمُجْلِكَ
وَالْإِنْتِجَاعِ ^(٥) مِنْ عُشْبِكَ ، وَالْأَرْتِفَاءِ ^(٦) مِنْ لَبَنِكَ .

(١) الدست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه القلب في العطرنج ؛ تقول : « الدست لي
والدست على » .

(٢) « مدير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) راشه يرشّه : جعل له ريشا . شبه ما بذله له من المعروف بالريش للطائر .

(٥) الانتجاع : طلب المعروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » بالثاقف ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغو اللبن
واحتساؤها .

الليلة الأولى

- (١) وصلتُ أيتها الشيخ — أطال الله حياتك — أوّل ليلة إلى مجلس الوزير —
أعزّ الله نصره ، وشدّ بالعصمة والتوفيق أزّره — فأمرني بالجلوس ، وبسطَ لي
وجهه الذي ما أعتراه منذ خُلِقَ العُيُوس ؛ ولطّفَ كلامه الذي ما تبدّل منذ كان
لا في الهزل ولا في الجدّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الذليق ^(١) ، ولفظه الانيق : قد سألتُ عنك مرّاتٍ شيخنا
أبا الوفاء ، فذكر أنّك مراعى لأمر البيارستان من جهته ، وأنا أرتباً بك عن
ذلك ، ولعلّي أعرضك لشيء أنبّه من هذا وأجدى ، ولذلك فقد ناقت نفسي
إلى حضورك للمحادثة والتأنيس ، ولأتعرف ^(٢) منك أشياء كثيرة مختلفة ترّددُ
في نفسي على مرّ الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكنّي أثرها في
المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرّض ، فأجبتني عن ذلك كلّه باسترسال
وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وجمّ خاطرك ، وحاضرٍ عليك ؛ ودعّ عنك تقنّ
البغداديين ^(٣) ^(٤) مع عفوّ لفظك ، وزائدٍ رأيك ، وربّج ^(٥) ذهنيك ؛
ولا تجبنُ جبن الضعفاء ، ولا تتأطر ^(٦) تأطر الأغبياء ؛ وأجزم إذا قلت ، وبالغ إذا
وصفت ؛ وأصدّق إذا أسندت ، وأفصل إذا حكمت ، إلّا إذا عرّض لك

(١) اللسان الذليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تفرق » .

(٣) يريد بتقنّ البغداديين : استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هنا كلمة مطبوسة بالأصل لا تمكّن قراءتها .

(٥) ربّج ذهنك ، أي فضّله .

(٦) التأطر : التحبس والتثني ، شبه به وقوف النبي وتردده في جواب ما يسأل عنه .

ما يوجب توقُّفاً أو تهادياً^(١) ؛ وما أحسنَ ما قال الأول :

لَا تَقْدَحُ الظَّنُّ فِي حُكْمِهِ شَيْمَتُهُ عَدْلٌ وَإِنْصَافُ

يَمْضِي إِذَا لَمْ تَلْقَ شَبَهُهُ وَفِي اعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافُ

وقد قال الأول :

أَبَالَى الْبَلَاءِ وَإِنِّي أُسْرُوهُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ^(٢)

وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقِرافه^(٣) .

(٢) فقلتُ قبلُ : كلُّ شيءٍ أريد أن أجاب إليه يكون ناصيري على ما يراد مني فإني إن مُنِعْتُهُ نَكَلْتُ ، وإن نَكَلْتُ قُلَّ إفصاحي عما أطلبُ به وخِفْتُ الكَسَادَ ، وقد طَمِعْتُ بِالنِّفَاقِ^(٤) وأُتَقِلْتُ بِالْخِلْيَةِ ، وقد عَقِدْتُ خِنْصِرِي عَلَى الْمَسْأَلَةِ . فقال — حَرَسَ اللَّهُ رُوحَهُ — : قل — عَافَاكَ اللَّهُ — ما بدا لك ، فأنت مجاب إليه ما دمتَ ضامناً لبلوغ إرادتنا منك ، وإصابة غرضنا بك .

قلت : يُؤْذَنُ لِي فِي كَافِ الْخَاطِبَةِ ، وتاءُ المِوَاجَهَةِ ، حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ مِرَاحَةِ الْكِنَايَةِ وَمِضَاقَةِ التَّعْرِيفِ ، وَأَرْكَبَ جَدَدَ^(٥) الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْيَةٍ^(٦) وَلَا تَحَاشٍ

(١) التهادى : للمضى الرفيق في تمثيل .

(٢) في الأصل « ارتب » ؛ وهو تحريف .

(٣) قِرافه ، أى ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقرفه ، إذا خالطه .

(٤) النفاق ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذى لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « قية » .

ولا مُحَاوَرَةٌ^(١) ولا أُنْحِيَاشٌ^(٢) .

قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما في كاف المحاطبة (٣) وتاء المواجهة ؟ إن الله تعالى — على علو شأنه ، وبسطة ملكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجهه بالتاء والكاف ، ولو كان في الكناية بالهاء رفعة وجلالة وقدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحق بذلك ومقدماً فيه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضى الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلقاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزك الله ، ويا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أنف منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبير^(٤) ولا شريف ؛ وإني لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون^(٥) أن في ذلك ضعة أو نقيصة أو خطأ أو زراية ، وأظن أن ذلك لعجزهم وفُسُولَتِهِمْ^(٦) ، وانخزالهم وقلة هم وضؤولتهم ، وما يجدونه من الغضاضة في أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يمحوان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص يكتفي بهذا الصلف ؛ هيئات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مقابح الزهو والكبرياء .

فقلت : أيها الوزير ، قد خالطت العلماء ، وخدمت الكبراء وتصفحت^(٧) أحوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فما سمعت هذا المعنى من أحد على

(١) لعله : مواربة .

(٢) الانحياش : الاتهاب .

(٣) « كثير » .

(٤) « يخشون » .

(٥) الفسولة : الحسة والضيغ .

(٦) انخزالهم ، أى اهطاعهم وتخلفهم عن طلب المعالي .

هذه السَّيَاقَةُ الحَسَنَةُ والحِجَّةُ الشَّافِيَةُ والبَلَاغُ المَبِينُ ؛ وقد قال بعض السلف الصالح :
« مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتصاغر دواء
النفس ، وسَجِيَّةُ أَهْلِ البَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ ؛ ولذلك قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ^(١) لِلرَّشِيدِ
— وقد عَجِبَ مِنْ رَفْقَتِهِ وَحُسْنِ إِصَاحَتِهِ لِمَوْعِظَتِهِ وَبَلِيغِ قَبُولِهِ لِقَوْلِهِ وَسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ
عَلَى وَجْهِهِ — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ ، وَإِنِّي
أُظَنُّ أَنْ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

قال^(٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سِيَّئًا إِذَا
كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ^(٣) الْعَقْلِ] قَدْ خُدِمَ بِالصُّوَابِ فِي نَعْمَةٍ نَاعِمَةٍ ، وَحُرُوفٍ مُتَقَاوِمَةٍ ؛
وَلَفِظَ عَذْبٌ ، وَمَأْخَذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛
وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَافِي ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَافِي ، قَاتِلٌ لِلَّهِ ذَا الرُّيَّةِ^(٤)
حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ^(٥) وَلَا نَزْرُ
وَكُنْتُ أَشَدَّ أَيْتَامَ الصَّبَا هَذَا^(٦) بِالذَّالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَلْقِينِ الْمُعَلِّمِ ؛ وَبِالْعِرَاقِ
رُذْ عَلَى وَقِيلَ : هُوَ بِالزَّيْ ؛ وَقَدْ أَجَادَ الْقَطَامِي^(٧) أَيْضًا وَتَغَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التعريف بابن السماك رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيما إذا كان من طليان العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عقبة بن نهيس أحد لحول الشعراء الأمويين ، توفي سنة
سبع عشرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رقيم الحواشي : ناعمها . والهراء : المنطق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب غلب على عمير بن شبيب التغلبي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي
مقل ، وكان نصرانيا .

فَهْنُ^(١) ينبذن من قول يُصْنِنُ به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتمَلَّ الحديث ؟ قال : إنما يُمَلَّ العَتِيقُ^(٢) ، والحديث معشوق الحِسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَمُ به الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل ، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة ، وههنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مُزْمَعٌ^(٣) ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أَسْتَمَرَّ^(٤) العقل بلغ الأفق ؛ وفُطِرَت الحاجة إلى الحديث ما وضع^(٥) فيه الباطل ، وخُلِطَ بالمُحَالِ ووُضِلَ بما يُعْجِبُ ويُضْحِكُ ولا يُؤَوِّلُ إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان^(٦)) وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحِسُّ شديدُ اللَّهْجِ^(٧) بالحدث والمُخَدَّثِ والحديث ، لأنه قريب العهد بالكون ، وله نصيب من الطرافة . ولهذا قال بعض السلف^(٨) : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثُور » ، كأنه أراد أَصْفَلُوها وأَجْلَوْا الصَّدَأَ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دَثَرَتْ — أى صَدِثَتْ ، أى تَغَطَّتْ ؛ ومنه الدُّثَارُ الذى فوق الشَّعَار — لم يُنْتَفَعْ بها ؛

(١) « فهن » .

(٢) العتيق : القديم .

(٣) استعار الإزمام هنا معنى التهيؤ والاستعداد للظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستعكم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، فـ « ما » هنا زائدة ، وهو تمبير شائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حسان » ؛ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لهن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت معه ابتدأت تمحدثه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحل الملك على استبقائها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن آتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .

والتعجب كله منوطٌ بالحادث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قدم : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد العهد بمبادئها ، وسيمتد العهد جدا إلى نهاياتها ؛ وأما ما قدم بالدهر ، فكالقل والنفس والطبيعة ؛ فأما القلَّ وأجرامه المزدهرة في المعانة العجيبة ، ومناطيقه الخفية ، فقد أخذت من الدهر صورةً إلهية ، وأحدثت فيها سلف منها صورةً زمانية .

(١) فقال : بقى أن يتصل به ^(١) نعتُ العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدهما يشار به إلى الكرم والصُّن والعظمة ، وهذا موجودٌ في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخرُ يشار به إلى قدم من الزمان مجهول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتق ، وأرتفع عن العبودية ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه اعتقته الطبيعة من الدامة والقيح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمَّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية ^(٢) ؛ والآخر أن نهاية زمانه قريبة . وكان ابنُ عبَّاد قال لكتابه مرة — أعنى ابنُ حنبل ^(٣) — في شيء جرى ... : « نعم ، العالمُ عتيق ولكن ليس بقديم » أى لو كان قديما لكان لا أول له ، ولما كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألتُ العلماء البصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) به ، أى بالحديث الذى سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) فى الأصل « ابن حنبل » ، وقد جاء اسمه فى معجم الأدباء : أبى القاسم بن حنبل ، ومرة يسميه : أبى القاسم الحنبل ، وذكر فى بعض المواضع أنه كان يمرض الأوراق على الصاحب ابن عباد ، فالظاهر أنه هو الزاد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلامٍ نبيّه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا^(١) سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إليّ وهما هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » « وبنيان قديم » ويسرّحون^(٢) وهمهم في زمانٍ مجهولٍ المبدأ .

(٧) فقال : قد مرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلاحظ نفسه [والمُحدث ما يلاحظ^(٣)] مع تعلّقٍ بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالمُتوسّط بينهما مع تعلّقٍ بالزمان ومن كان منه .

وههنا شيء آخر ، وهو الحدّثان والحديثان ؛ فأما الأول فكانه لما هو^(٤) مضارعٌ للحادث ، وأما الحدّثان فكانه اسم للزمان فقط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولى الأمير » ، أى في أوّل زمانه ، وعلى هذا يدور أمر^(٥) الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّثٌ مُلوّكٌ » كله من ديوان واحد وواد^(٦) واحد وسبّك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدّث » ؟ قلتُ : لا فرق بينهما إلا من جهة أن حدّث تابع لقدم ، لأنه يقال : أخذَه ما قدّم^(٧) وما حدّث ؛ فإذا قيل للإنسان : حدّث يا هذا . فكانه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؛ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) « ويسرّحون » ؛ بالعين .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لما هو ، أى موضوع لما هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : « الحدث » ؛ كما أن داءها كتبت في الأصل

« فوناً » . واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذَه ما قدّم وما حدّث » ، أى أخذته المصوم والأفكار القديمة والحديثة .

صِلْ شيئاً بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .
ثم رجعتُ فقلت . ولقوائد الحديث ما صَنَّفَ (أبو زيد)^(١) رسالة لطيفة الحجم
في المنظر ، شريفة القوائد في المتخير ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة
والتجربة في الأخبار . والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي
حاضرة . فقال احملها وأكتبها ، ولا تمل إلى البخل بها على عادة أصحابنا
الغثا . قلتُ : السمع والطاعة .

ثم رويتُ أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر
من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر ، على التلال^(٢) القمر^(٣) .
وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إنني لأشتري
[المحادثة]^(٤) من عبد الله^(٥) بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار
من بيت مال المسلمين . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة
تحفظك وتنزيهك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنني لأعود برأيه ونصحه
وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنائير ، إن في المحادثة تلقيحاً
للمقول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الراجع أنه يريد أبو زيد أحمد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء
وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب
النوادر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان
أبو حيان يجب به وقد قال فيه : « انه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد
له نظير في مستأنف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « على
الكتبان » ؛ وهو بضم الكاف بمعنى التلال كما أثبتنا .

(٣) في الأصل « القمر » بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤
وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه ^(١) هذا كله .
قلتُ : وسمعتُ أبا سعيد ^(٢) السيرافي يقول : سمعتُ ابنَ السَّراج ^(٣) يقول :
دخلنا على ابن الرومي ^(٤) في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله ^(٥) :
ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيبَها خبيثُ
إلا ^(٦) الحديثَ فإنه مثلُ اسمه أبداً حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا الفاره ^(٧) ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا
اللَّين ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ^(٨) ، وما أنا اليوم [إلى شيء] ^(٩) أحوجُ
مَنى إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمتجعه السمع ، ويطرِب
إليه القلب » . وهذا أيضاً حقٌ وصواب ، لأنَّ النفس تملُّ ، كما أنَّ البدن يَكِلُّ ؛
وكما أنَّ البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا ملَّت طلبت الرُّوح ^(١٠)
وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ ^(١١) ويستفيد بالجَمَام ^(١٢) الذاهب بالحركة الجالبة

(١) فيه ، أى في الحديث .

(٢) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب
عن أبي العباس المبرد ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المشهورة
في النحو وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف .
ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وقيل غير ذلك .

(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .

(٦) « بلا » .

(٧) في الأصل « الفاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والفرار من الدواب : النشيط

الحاد القوى .

(٨) أجمناه ، أى كرهناه ومللناه من المداومة عليه .

(٩) لم ترد هذه التكلفة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن (عيون الأخبار) .

(١٠) الروح بفتح الراء : الراحة .

(١١) « يستند » .

(١٢) الجمال بفتح الجيم : الراحة .

للنَّصَب والضَّجَر ، كذلك لا بدَّ للنفس من أن تطلب الرُّوح عند تكاثف العَلَل الداعى إلى المَرَج^(١) فإن البدن كثيفُ النفس ، ولهذا يُرى بالعَيْن ، كما أن النفس لطيفة البدن ، ولهذا لا توجد إلَّا بالعقل ؛ والنفس صفاء البدن ، والبدن كدَرُ النفس . فقال : أحسنتَ فى هذه الروايات على هذه التوشیحات وأعجبني^(٢) ترحمُك على شيخك أبي سعيد ، فما كلُّ أحدٍ يسمع^(٣) بهذا فى مثل هذا المقام ، وما كلُّ أحدٍ يأبه لهذا الفعل ؛ هات مُلحة الوداع حتى تفرق عنها ، ثم نأخذ ليلة أخرى فى شجون الحديث .

(٨) قلت : حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية ، قال : رأيت جَحْظَةً^(٤) قد دعا بناءً ليبنى له حائطاً ، فحضر^(٥) ، فلما أمسى أقتضى البناء الأجرة ، فما كسا^(٦) وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً ؛ فقال جحظة : إنما عملت يا هذا نصفَ يوم وتطلب عشرين درهماً ؟ قال : أنت لا تدري ، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة ؛ فبينما هما كذلك وجَّب الحائطُ وسقط ؛ فقال جحظة : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردت أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفى أجرتك . فضحك — أضحك الله سنه —

(١) « المَرَج » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد فى هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافى قوله — رحمه الله — فلعله قد سقط من الناسخ هناك :

(٣) « كسمع » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف ، كان من طرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة ، ودفن ببغداد .

(٥) فى الأصل « وحضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أى تشاحا فى الأجرة ؛ يقال : ما كسه فى البيع ونحوه : إذا شاحه فيه واستعطه الثمن واستنقصه إياه .

الليلة الثانية

- (١) ثم حضرت ليلة أخرى ، فقال : أول ما أسألك عنه حديثُ أبي سليمان^(١) المنطقيّ كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه^(٢) بنا ، فقد بلغني أنك جاره ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظ غاية خبره . فقلتُ : والله أيها الوزير ، ما أعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة الفسيحة الجامعة ، والعرصة^(٣) العريضة الفاصّة — إنساناً أشكرَكَ ، وأحسن ثناءً عليك ، وأذهب في طريق العبوديّة معك ، منه ؛ ولقد سَكَرَ^(٤) الآذان وملاً البقاع بالدعاء الصالح ، رَفَعَهُ اللهُ إليه ، والثناء الطيّب أشاعه الله ؛ وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك الله وفضلَكَ به من شرفٍ أعزّكَ ، وكرمٍ أخلاقَكَ وعلوّ همتَكَ ، وصدقِ حَدْسِكَ وصوابِ رأيِكَ ، وبركةِ نظرك ، وظهورِ غنائِكَ ، وخصبِ فنائك ، ومحبةِ أوليائك ، وكَدِّ أعدائك ، وصباحةِ وجهك ، وفصاحةِ لسانك^(٥) ، ونُبْلِ حَسَبِكَ^(٦) ، وطهارةِ غَيِّبِكَ^(٧) ، ويُمنِ نقيبتِكَ ، ومحمود

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلاً بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرص يمنعه من غشيان مجالس الأُمراء والوزراء وهو أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات الخمس الأخيرة من القرن الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المعقود بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة من الناسخ .

(٣) العرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملاًها . وفي الأصل : « شكر » بالشين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تستقيم مع السياق .

(٦) « وتقلحك » .

(٧) « عيك » .

شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجليل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يُرى منك ، وبديع ما يُنتظر لك من المراتب العلية ، والخيرات الواسعة والدولة الراحمة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياماً] ^(١) بالواجب ، فإنك نَمَشْتَ روحه وكان خَفَتْ ، وبصْرته وكان عَشِي ؛ وأُنبت جناحه وكان قد حُص ^(٢) ، بالرسم الذى وصل إليه لأنه كان قَنِط منه وهو قَنُوطٌ ، وسمعتُه يقول مراراً : من يذكرني وقد مضى الملك ^(٣) — رضوان الله عليه — ومن يَخْلُفه في مصلحتي ، ويجرى على عادته معي ؟ ومن يسأل عني ، ويهتم بحالي ؟ هيهات ، فَعِدَ والله بالأمس من ^(٤) يطول تَلَقُّنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه * إن الزمان بِمِثْلِهِ لَبَخِيل * كان والله شمس* المعالي وغرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى ^(٥) القفال ، ومحقق الأقوال والأفعال ، ومجرب لُجُم ^(٦) الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق المتنى ، وأعلى من أن يلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لَمَح ^(٧) في تهذيب الأمور ، وهواه وقف على صلاح من في إصلاحه صلاح ونفى من في نفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأريحي قصير ، لكنا لا نُبْتَلَى بفقدِهِ ، ولا نتحرق على قَوْت ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .
 (٢) يقال : « حص الريش والشعر » ، إذا انتزعا . وكنى بحص الجناح عن الفقر ، ونباته عن الفنى .
 (٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عضد الدولة » البويهى .
 (٤) عبارة الأصل « مر بطول تلقيننا » وهي معرفة في جميع ألفاظها .
 (٥) في الأصل « ومكننى الأفعال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرون ، سموا بذلك تفاؤلاً بقبولهم إلى أوطانهم ، أى رجوعهم إليها .
 (٦) استعمل اللجم في معنى الخيل مجازاً . وفي الأصل : « لُجاء » ؛ وهو تحريف .
 (٧) اللج ، النظر الخفيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالفطنة والألمعية حتى إنه لينظر إلى الأمور نظراً خفيفاً فيكفيه ذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرسم — وهو مائة دينار — وحاجته ماسة إلى رغيف ، وحوله وقوته قد عجزا ^(١) عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه عاش .

وبما زاد في حديث الرسم أنه وصل إليه مع العذر الجليل ، والوعد العريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترقل ويتحنك ^(٢) لمجبت . فقال : سررتني لسروره بما كان مني ، وإن عشت كفت الزمان عن ضيحه ، وفللت ^(٣) عنه حذابه ، ولولا الضميمة ^(٤) مانعة ^(٥) عن نفسه ، ومتمنع معها بنفسه ؛ لفش هذا المجلس فيكم ^(٦) فاستأنس وأنس ، ولكنه على حال لا يحتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ أتخفظ ما قال البديهي فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدني ، فرويت :

أبو سليمان عالم فطن ما هو في علمه بمنقص
لكن تطيرت عند رؤيته من عور موحش ومن برص
وبأبنه مثل ما بواله وهذه قصة من القصص

قال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبائع ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق ^(٧) الفتوة . حدثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محله فيها من محل أصحابنا

(١) ورد في الأصل بد قوله « مجزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم تبيين الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترقل ، أى يمر ذيله ويتبختر . ويتحنك ، أى يدير الهامة من تحت حنكه . كنى بالترقل والتحنك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضميمة : الهامة في الجسد . وفي الأصل : « الجملة » ؛ وهو تحريف .

(٥) مانعة عن نفسه ، أى أن هذه الهامة مانعة لنا عن مجالسته . وتمنع معها بنفسه أى أنه هو ممتنع بنفسه مع هذه الهامة عن مجالستنا .

(٦) « بكم » .

أبن زرعة^(١) وابن الخمار^(٢) وابن السمح^(٣) والقومسي^(٤) ومسكويه^(٥) ونظيف^(٦) ويحيى بن عدى^(٧) وعيسى بن علي^(٨). فقلت: وصف هؤلاء أمر متعذر، وباب من الكلفة شاق؛ وليس مثلى من جسر عليه، وبلغ الصواب منه؛ وإنما يصفهم من نال درجة كل واحد منهم، وأشرف بعد ذلك عليهم؛ فعرف حاصلهم وغائبهم، وموجودهم ومفقودهم. فقال: هذا تحايل لا أرضاه لك، ولا أسلمه في يدك، ولا أحتمله منك؛ ولم أطلب إليك أن تعرفهم^(٩) بما هو معلوم الله منهم، وموهبه^(١٠) لهم، ومسوقه إليهم، ومخلوعه عليهم، على الحد الذي لا مزيد فيه ولا نقص؛ إنما أردت أن تذكر من كل

(١) ابن زرعة، هو أبو علي عيسى بن إسحق بن زرعة عالم نصراني من علماء بغداد برز في المنطق والفلسفة، وتقل عدة مصنفات إلى العربية، وتوفي كما روى القفطي سنة ٣٩٨. (٢) ابن الخمار، هو أبو الخير الحسن بن سوار، كان كذلك نصرانيا طبيباً فيلسوفاً تقل كتباً كثيرة من السريانية إلى العربية.

(٣) ابن السمح، هو أبو علي بن السمح من مناقمة بغداد؛ مات سنة ٤١٨. (٤) القومسي، هو أبو بكر القومسي المتفلسف. قال أبو حيان: إنه كتب لنصر الدولة عامين.

(٥) مسكويه، هو أبو علي أحمد بن محمد مسكويه الخازن، كان عارفاً بالفلسفة، ألف كتاب تهذيب الأخلاق وتجارب الأمم، وكان قياً على خزائن كتب ابن العميد ثم قياً على خزائن كتب عضد الدولة ثم اختص بيها الدولة البويهية وعظم عنده شأنه ومات سنة ٤٢١.

(٦) نظيف، هو الفس نظيف النفس الرومي، كان عالماً جيد النقل من اليوناني إلى العربي وكان من أفاضل الأطباء، وعينه عضد الدولة في الپيارستان الذي أنشأه ببغداد.

(٧) يحيى بن عدى أبو زكريا، كان نصرانياً منطقياً، أخذ الفلسفة عن أبي نصر الفارابي وبشر بن متى؛ وله مؤلفات كثيرة، مات سنة ٣٦٤.

(٨) عيسى بن علي، هو أبو القاسم عيسى بن الوزير الكبير علي بن عيسى الجراح، كان عيسى عالماً فاضلاً، قرأ المنطق على يحيى بن عدى، كما درس الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل في ديوان الرسائل؛ ومات ببغداد سنة ٣٩١. وقد نقل عنه أبو حيان كثيراً من أقواله في الحكمة في المقابسات.

(٩) «نصفهم».

(١٠) موهبه لهم؛ أى ما أعده الله لهم؛ يقال: أوهبت له الشيء، إذا أعدته له.

وَاحِدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لِعَيْنِكَ ، وَتَجَلَّى لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛ فَأَكْثَرَ وَصَفَ الْوَاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدَرِ يَنْتَهِي .

قُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنْى بِهَذَا ، فَإِنِ أَخَذْتُ بِمَا ^(١) عِنْدِي ، وَأَبْلَغَ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي . أَمَا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَدَقَّهُمْ نَظْرًا ، وَأَقَرَّهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرَهُمْ بِالذَّرِّ ، وَأَوْقَفَهُمْ عَلَى الْغُرِّ ؛ مَعَ تَقَطُّعٍ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ ^(٢) الْمُجْمَعَةِ وَقَلَّةِ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفَرَطِ اسْتِبْدَادِ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنِ اسْتِنْبَاطِ لِلْعَوِيصِ ، وَجَرَأَةٍ عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبُخْلِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكَتَنِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجُمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنْ الْفَلَسَفَةِ ؛ لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقَتِهَا مَنَفَذٌ ^(٣) ، وَلَا لَهُ مِنْ لَغْزِهَا مَأْخُذٌ ، وَلَوْلَا تَوَزُّعٌ ^(٤) فِكْرِهِ فِي التِّجَارَةِ ، وَمَحَبَّةٌ ^(٥) فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى الْمَنَعِ ؛ لَكَانَتْ قَرِيبَتْهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ ^(٦) تَدِرُّ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدَدٌ مَبْدَدٌ ، وَحُبٌّ الدُّنْيَا يُعِمِّي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا أَبُو الْخَثَرِ فَقَصِيحٌ ، سَبَّطُ الْكَلَامِ ، مَذِيذُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعِثَانِ مَرَضِيُّ النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الذَّرَّةَ بِالْبُقْعَةِ ^(٧) وَيُفْسِدُ السَّمِينَ بِالْفَتِّ ، وَيَرْقِعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْوِ وَالصَّلَفِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيْدَا » .

(٤) « تَوَزَّعَ » .

(٥) « وَنَحْبَتُهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَغَائِمَتُهُ تَدُوْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالْغَائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبُقْعَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .

في الرقم ^(١) والسوم ، فإيجديه ^(٢) من الفضل يرتجمه بالنقص ؛ وما يعطيه بالاعطف يسترده بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكدره بالإعجاب . ومع هذا يُصرَّع ^(٣) في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل بفنائهم ، ولا يسقي من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والجدل ، وهو بالتبعية ^(٤) أشبه ، وإلى طريقة الدعوى أقرب ، والذي يحطه عن مراتبهم شيثان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مستفرغ مُحْ ^(٥) البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق ^(٦) والقيراط والحبة والطسوج والفلس بالصرف والوزن والتعطيف ؛ والقلب متى لم يُنقَّ من دنس الدنيا لم يعبق بفوائح الحكمة ، ولم يتفوح ^(٧) برذع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة المنفضية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسي أبو بكر ، فهو رجل حسنُ البلاغة ، حلوُ الكناية ، كثيرُ الفقر المعجبية ، جماعةٌ للكتب الغريبة ؛ محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد ^(٨) في الدراسة ؛ إلا أنه غيرُ نصيح في الحكمة ؛ لأنَّ

(١) يزيد في الرقم ، أي يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : المغالاة ، وأصل السوم في الباطنة عرض السلعة للبيع .

(٢) في الأصل « يديه » وسياق العبارة يقتضي ما أثبتنا بدليل مقابله بقوله بعد « يرتجمه » الخ .

(٣) « يصرح » بالخاء .

(٤) « بالمسبع » .

(٥) مع البال ، أي خالصة .

(٦) الدائق : سدس الدرهم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم جفرخ بربع » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قل : « لم يسبق بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترابية ، وفكرته سحائية ؛ فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبٍ للدنيا شديد ، وحسد لأهل الفضل عتيق .
 وأما مسكويه ، فقير بين أغنياء ، وعبي^(١) بين أئنياء^(٢) ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأيام (صفوة الشرح لإيساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالزبي . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن السامري ، وصحبه معي ؛ وهو^(٣) الآن لائذ بابن الحار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محب^(٤) في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل .
 فقال : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حفظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب السكيميائي الرازي ، مملوك^(٥) المنة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا^(٦) بكُتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته^(٧) الضرورية والشهوية ؛ والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة^(٨) والفرص بَروق تأتلق^(٩) ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أئنياء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيين الحار » . وما أثبتناه عن مصمم الأدياء في ترجمة

ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت للحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مقتنا » .

(٧) « في الحاجات » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق

يقضي ما أثبتنا .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تكتلق » .

وتحترق ؛ ولقد قطن العاصري^(١) الرمي خمس سنين مُجَمَّة^(٢) ودرس وأملى وصنّف ورَوَى فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنّه بينه وبينه سدّ ؛ ولقد تجرّع على هذا التوائى الصاب والعلقم ، ومضغ بنمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع اللامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كلّهُ . وبعدُ فهو ذكيّ حسن الشّر نقيّ اللفظ ، وإن بقي فساء يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وإنفاق زمانه وكذب بدنه^(٣) وقلبه في خدمة السلطان ، وأحترقه في البخل بالذائق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نموذ بالله من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشّحّ بالقلم ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقة العمل ؛ وهذا هو الشقاء المصوب على هامة من يُبلى به ، والبلاء المعصوب^(٤) بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن عليّ ، فله الذّرع الواسع والصّدّر الرحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصرّف في فنون اللغات ، وضروب المعاني والعبارات ؛ وقد تصفّح ما لم يتصفّح كثير من هذه الجماعة ، وقلب بخزائن الكبراء والسادات ، وأعين^(٥) بالعمر الطويل والفراغ المديد ؛ ولكنّه مع هذا الفضل الكثير بمخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جملة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقابسات إنه كان من أعلام عصره وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن العميد وقرأ معاً عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمّة ، أى مجموعة .

(٣) « وكذبته » .

(٤) « المنصوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنصيح^(١) على ورقة فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ، ومزاجه
المتشيط^(٢) بها .

وأما نظيف ، فإنه متوسط ، لا يسفل^(٣) عن أقلهم حفظًا ولا يعلو على
أكثرهم نصيبًا ؛ ويذه في الطب أطول ، ولسانه في المجالس أجول ؛ ومعه رفق
وحذق في الجدال .

وأما يحيى بن عدي ، فإنه كان شيخا لئلين المريكة فروقة^(٤) ، مشوه^(٥)
الترجمة ، ردى العبارة ، لكنه كان متأتيا^(٦) في تخريج المختلفة^(٧) وقد برع في
مجلسه أكثر هذه الجماعة ، ولم يكن يلوذ^(٨) بالإلهيات ، كان ينهر^(٩) فيها ويضلل
في بساطها ، ويستعجم عليه ما جل ، فضلا عما دق منها ؛ وكان مبارك المجلس .
فقال : ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت
داخلة^(١٠) في نفوسهم .

حدثني عن مذاهبهم في النفس وما يقولون فيها ؛ وإلى أين يتجهون من

(١) نصيح على ورقة فارغة ، أى أنه بلغ من شدة بخله بعلمه أنه لا يستطيع أحد أن
يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه . وهم يصفون البخيل بالنصح على ماله ، لأنه لا يندفع
عنه فيجود به . أو لعله شحيح .

(٢) المتشيط : المتهب . وبها ، أى بسبب السوداء .

(٣) « لا يسفل » .

(٤) الفروقة : الشديد الفزع .

(٥) في الأصل : « موسى » وفيه قلب وتحريف .

(٦) متأتيا ، أى مترقفا متلطفا .

(٧) في تخريج المختلفة ، أى المسائل المختلفة .

(٨) « يكون » .

(٩) الانبهار : تتابع النفس وإطراده من الثعب والإعياء .

(١٠) وردت هذه الكلمة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضي
إدخالها هنا .

يقينهم بشأنها ، وكيف ثقتهم ببقائها بعد فناء أبدانها ؟ فقلت : علمت أنى لأجد^(١) ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين ، أعنى أبا الوفاء على بن يحيى السامري والمعمري والقوهي والصوفي وغلّام زحل^(٢) والصاغاني ، وكذلك غيرهم أعنى ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بكش^(٣) وابن قوسين^(٤) والحزاني ، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض ، ولا يرقّون هذا البرّ ولا يجهّزون هذا المتاع ولا يتعاملون به ؛ هذا ينظر في المرض والصحة والداء والدواء ، وهذا يعتبر الشمس والقمر ، وليس فيهم من يذكر كلمة في النفس والعقل والإله ، حتى كأنّه محظور عليهم ، أو قبيح عندهم .

وقلتُ : إن هؤلاء القوم — أعنى الطائفة الأولى — متفقون في الاعتراف بأنها جوهر باق خالد ؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم ، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعنى واجدين لليقين ذائقين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التي تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين ؛ فلو أنهم كانوا على تلج^(٥) من النفس ، وبقطة من العقل ، وأستبصار من القلب ، وسكون من البرهان ، لما تعجّلوا هذه الآذات المنقوصة ، والأوطار الفاسخة ، والشهوات الخسيسة ، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة ؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة^(٦) العائقة تمنع الإنسان

(١) هنا في الأصل راء وجيم بعد قوله « لا » ولعلهما زيادة من الناسخ .

(٢) غلام زحل : لقب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن كان منجها حاذقا ، توفي سنة ٣٧٦ .

(٣) في الأصل « بكس » بالسين . وقد ورد اسمه في أخبار الحكماء لتقفطى بالسين .

(٤) ابن قوسين : طبيب مشهور في زمانه ، كان يهوديا وأسلم ، وعمل مقالة في الرد على اليهود .

(٥) تلج النفس : راحتها واطمئنانها وسكونها إلى الشيء .

(٦) الركاكة : الضعف . أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيرا ما تستعمل في ضعف العقل والرأى . والمراد هنا ما يخلص البدن ، كما يقتضيه سياق ما يأتي .

من التدو والسفر ، ومن سرعة الخطو ، لأن الحركة قد بطلت بالرّكّة الداخلة عليه في أعضائه وآلاته ، فأى عجب من أن تكون النفس التي أستعبدتها الشهوات الغالبة^(١) ، والعميدة الرديئة ، والأفعال القبيحة معوقة بمنوعة من الصعود إلى مَمانق الذّآك وتُحارق النجوم وعالم الرّوح ومَقصد الصّدق ومقام الأمن ومحلّ الكرامة ومراد الخلد وبلد الأبد ومعانٍ^(٢) السرمذ .

(٤) قال : هذا كلام تامّ ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تحفظ عنهم فيها لكنّ تَمَّ لى ما كنّا فيه ، كيف علم أى سليمان بالنجوم وأحكامها ؟ قلتُ : لا يتجاوز التقويم . ثم قال : فما تقول فى الأحكام ؟ قلتُ : أنشدت منذ أيّام :
علم النجوم على العقول وبال وطلاب حق لا يُنال محال

وقلتُ أيضا : علم الأحكام لا يجوز فى الحكمة أن يكون مدركا مكشوفاً مخاطباً به معروفا ؛ ولا يجوز أن يكون مقنوطاً منه مطرّحاً مجهولاً ؛ بل الحكمة توجب أن يتوسّط هذا الفنّ بين الإصابة والخطأ حتّى لا يُستغنى عن اللّياذ^(٣) بالله أبداً ، ولا يقع اليأس من قبله أبداً ؛ وعلى هذا سخر الله الإنسان وقبضه^(٤) وخيّره بين الأمور وفوضه ؛ ومنع^(٥) من الثقة والطمأنينة إلا فى معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه ؛ انظر إلى حديث الطب فإنّ عنده الصناعة توسّطت الصواب والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف معهوداً بها ؛ لأنّ الطب كما يبرأ به اللّيل ، قد يهلك معه اللّيل ؛ فليس بسبب أن بعض

(١) « الغالبة » .

(٢) الممان : المنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) فى الأصل : « وقبض له » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٥) ورد فى الأصل قبل هذه الكلمة « ماء ويا » ولم نتيقن الصواب فيها ؛ ولعلهما

من زيادات الناسخ لاستقامة الكلام بدونها .

المُدبِّرِينَ بِالطَّبِّ هَلَكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِي الطَّبِّ ؛ وَلَيْسَ بِسَبَبِ أَنْ بَعْضَ الْمَرْضَى
 بِرَأٍ بِالطَّبِّ وَجِبَ أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهِ ؛ اَنْظُرْ إِلَى هَذَا التَّوَسُّطِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَيْكُونُ
 التَّدْبِيرُ الْإِلَهِيُّ وَالْأَمْرُ الرَّبُّوبِيُّ نَافِذَيْنِ فِي هَذِهِ الْخِلَاقِ بَوَسَاطَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ؛
 وَلِتَكُونِ الْمَصْلُحَةُ بِالْفَعْلِ غَايَتَهَا ؛ وَهَذِهِ سِيَاسَةُ دَارِ الْفَنَاءِ ، الْجَامِعَةُ لِسُكَّانِهَا عَلَى
 الْبَاسَاءِ وَالنَّمَاءِ ؛ وَهَكَذَا ، فَانْظُرْ إِلَى حَدِيثِ الْبَحْرِ وَرُكُوبِ الْبَاسِ الْمُتَيَقِّنِ فِيهِ ،
 وَجُوبِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ وَإِصَابَةِ الرِّيحِ ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، كَيْفَ تَوَسَّطَ بَيْنَ السَّلَامَةِ
 وَالْعَطَلِ ، وَالنَّجَاةِ وَالْهَلَكَةِ ، فَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ السَّلَامَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ يَفْرَقُ
 وَيَهْلِكُ ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ وَلَوْ أَسْتَمَرَّتِ الْهَلَكَةُ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ
 يَسْلَمُ وَيَنْجُو ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَامَّةٌ ؛ فَالْحِكْمَةُ إِذَا مَا تَوَسَّطَ هَذَا الْأَمْرُ
 حَتَّى يَشْكُرَ اللَّهُ مَنْ يَنْجُو ، وَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ مَنْ يَهْلِكُ . قُلْتُ : وَبَعْدَ هَذَا فَهَذَا
 الْعِلْمُ ^(١) عَوِيصٌ غَامِضٌ عَمِيقٌ ، وَقَدْ قُدِّعَ الْعُلَمَاءُ بِهِ ، الْمَلْهُمُونَ فِيهِ ؛ وَمَعْوَالُ أَهْلِهِ
 عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ ، وَعَلَى بَعْضِ التَّجَارِبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَكْذِبُ مَرَّةً وَتَصْدُقُ
 مَرَّةً ؛ وَبِالْصَّدَقِ يَعْزُّ الْإِنْسَانُ ، وَيَا لِكُذْبِ يَعْرِى مِنْ فَوَائِدِهِ ؛ فَالْنَقْصُ قَدْ
 دَخَلَ ، وَالْخِلَالُ قَدْ شَمِلَهُ ؛ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُوَهَّبَ لَهُ زَمَانٌ عَزِيزٌ ، فَوَرَاءَهُ مَا هُوَ
 أَهَمُّ مِنْهُ وَأَجْدَرُّ ، وَأَرْشَدُ وَأَهْدَى .

(٥) قَالَ : هَذَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنِي بِالَّذِي أَفَدْتَ الْيَوْمَ . قُلْتُ : قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ :
 الْعِلْمُ صُورَةُ الْمَعْلُومِ فِي نَفْسِ الْعَالِمِ ، وَأَنْفُسُ الْعُلَمَاءِ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَأَنْفُسُ الْمُتَعَلِّمِينَ عَالِمَةٌ ^(٢)
 بِالْقُوَّةِ . وَالتَّعْلِيمُ هُوَ إِيرَازُ مَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ . وَالتَّعْلَمُ هُوَ بَرُوزُ مَا هُوَ بِالْقُوَّةِ إِلَى
 الْفِعْلِ . وَالنَّفْسُ الْفَلَكِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْفِعْلِ ، وَالنَّفْسُ الْجَزْئِيَّةُ عَالِمَةٌ بِالْقُوَّةِ ؛ وَكُلُّ

(١) يَرِيدُ عِلْمَ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا .

(٢) ف. الْأَصْلُ : « عَلَامَةٌ » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ، وتصيراً لها^(١) .

- قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء^(٢) زمان ، وتفرغ قلب ، وإصغاء جديد . هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم الجمعة على أبي عبيد الله المرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إذا أستمعتُ منك بلحظ طرفي حتى نصفي ومات عليك نصفي
تلاذدُ قلتي ويذوب جسمي وعيشي منك مقرون بجحشي
فلو أبصرتني والليل داج وخدّي قد تَوَسَّطَ بطن كَفّي
ودمعي يستهل من المآقي إذا رأيت مابي فوق وصفي
وانصرفتُ .

الليلة الثالثة

- قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني ، فأريد أن أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زنبرية^(٣) الجسر في [الجانب] الشرقي والحاجّ يدخلون ، وجمالهم قد سدّت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفّة الطريق منها ، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ذكّر لي أنه من أهل سنجان^(٤) واقفا خلفَ الجمال يسوقها ، ويحفظ الرجال التي عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : نصبر أباه : إذا نزع إليه في شبهه .

(٢) في الأصل زيرة والزبيران هما السفينتان اللتان في الجسر في الجانب المشرق من بغداد يعبر عليهما السالكون كما في عيون الأنبا ١/١٧٩ .

(٣) في الأصل : « سحاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيها راجعاً من الكتب المؤلفة في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .

فرأى الجذع عليه ابنُ بقتية — وكان وزيراً صلبه الملكُ لذنوب كانت له — فقال :
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها ، وعبرها ، عضد
الدولة تحت الأرض وعلوه فوق الأرض ! .

قال : هكذا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك استأذنتُ في دفنه ، وكان كلام
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ لَمَّا^(١) ويظلُّ
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنس بأنك معه ، فمن يحضر^(٢) ذلك المكان ؟ فقلت : جماعة ؛
وأخبر من كان في هذا الأسبوع الماضي ابنُ جبلة الكاتب ، وابنُ برمويه^(٣) ، وابن
الناظر^(٤) أبو منصور وأخوه ، وأبو سليمان وبندار^(٥) الملقب^(٦) وغزال الراقص ، وعلم^(٧)
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث^(٨) عنهم ، وما يجوز أن يلتقى
إلينا منهم ؟ فقلت : سمعت أشياء ، ولست أحب أن أسمي نفسي بنقل الحديث
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما
تدلُّ على رشد وخير ، وتُضِلُّ^(٩) عن غيٍّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح
الخاصَّ والمأمَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحثُّ على قبول النصيحة ؛ والنبيَّ

(١) المم : الجمع ؛ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « يخطر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابنِ برمويه في كتاب ذيل تجارب
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالدة صمصام الدولة وكان ممن تأمرُوا على الإيقاع
بإبن سعدان وقتله ، ثم استوزر ابنُ برمويه لصمصام الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابنُ الناظر » ، وهو من رجال صمصام الدولة .

(٥) في الأصل : « يكدان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « المفكي » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والنون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تضل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا. وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكلُّ أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطولة . فقلتُ وجدتُ ابنَ برمويه^(١) يذكرُ أشياء هي متعلّقة بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أغزى ، وأيامك أذوم ، ووليّك أحد ، وعدوك أكمد . قال^(٢) : ما هذا الاسترسالُ كُلُّه [إلى] ابنِ شاهويه^(٣) ؟ وما هذا الكلفُ بهرام^(٤) ؟ وما هذا التعصّبُ لابنِ مكيخا^(٥) ؟ وما هذا السكونُ إلى ابنِ طاهر^(٦) ؟ وما هذا التعويلُ على ابنِ عبدان^(٧) ؟ وما من هؤلاء أحدٌ إلّا يرش^(٨) عدوه ويبريه ويضلّ صاحبه ويُغويه^(٩) . أما ابنُ شاهويه فشيخُ إزرء^(١٠) وصاحبُ محرقة^(١١)

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أي ابن برمويه المحدث عنه .

(٣) ابن شاهويه هذا هو غير ابن شاهويه الفقيه الذي مر ذكره في مقدمة الكتاب . أما هذا فكان عاملاً كبيراً من عمال صمصام الدولة ، قام بالدعوة له ببيان حتى أذعنت له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبسه . مع ابن سعدان ، ثم نجا من القتل بأعجوبة ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجالات صمصام الدولة ، وكان صديقاً لابن سعدان . يقول ابن سعدان في وصفه : « إني أرى حديثه آتق من المني إذا تحركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالقل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضاً في رحم وتراضاً من ثدى ونوغيا في مهد » . وقد قبض عليه مع ابن سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) في الأصل « ابن مكيخا » والجيم زائدة ، وما أثبتناه عن ذيل تجارب الأمم وقد كان أبو علي بن مكيخا صاحب ديوان الخزانة لمضد الدولة كما عمل من بعده لصمصام الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائباً عن أبي نصر سابور كما كان من رجالات صمصام الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابن عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن تقويته للعدو وإعائته على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألزق به الريش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) في الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزرء : الفس والتليس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمراً يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المحرقة : الحق والكذب .

بين اللذائذ « همه أن يتحسّى دَنّ الشراب في نفس أو نفسين ، ثم يسقط كالجذع اليابس لا لسان ولا إنسان .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أنه لولا مكانته وكفايته وحسبه ورأيه ومشورته لكانت هذه الوزارة سرايا ، وهذه المملكة خرابا ؛ هذا مع الشر^(١) الذي في طبعه وعادته ؛ فإن جرى خيرٌ انتحلّه ، وزعم أنه من نتائج رأيه^(٢) ؛ وإن وقع شرٌ عصبه برأس صاحبه ، وأدعى أنه استبدّ^(٣) به ؛ ومع هذا فهو يعيب^(٤) هذه المراءاة . وما أدري كيف أستكفي^(٥) هذه الجماعة حوله ؟ وكيف يُظاھر^(٦) هوبها ويسكن إليها ؟ وما فيهم إلا من وكّده الرجس والإفساد والأخذ بالمصانعة وإغراء الأولياء بما يعود بالوبال على البرى والسقيم وعلى الزكى والظنين^(٧) ؛ هؤلاء سباع ضارية ، وكلاب عاوية ؛ وعقارب لساعة ، وأفاعٍ نهاشة ، وفي الله هذا الإنسان العر^(٨) المبارك الكريم الرحيم ، فإنه شريف النفس طاهر الطوية^(٩) ، تين العريكة ، كثير البَيانة ، وهذه أخلاق لا تصلح اليوم مع الناس ، قال الشاعر^(١٠) :

ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقال :

ومن لا يذُد عن حوضه الناس أو يكن له جانب يشتد إن لان جانب

(١) « السر » .

(٢) « يناج زلته » .

(٣) « أسيد » .

(٤) في الأصل : « عيب لهذه » .

(٥) « استكفيت » والتاء زيادة من الناسخ .

(٦) يظاهر : يماون .

(٧) الزكى : الطاهر النقي . والظنين : التهم .

(٨) « الحير » .

(٩) « ظاهر الخوية » .

(١٠) الشاعر زهير بن أبي سلمى .

وكذب ظاهره، كثير الإيهام، شديد التقوية، لا يرجع إلى ودي صادق، ولا إلى عمد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء الخزيين القرامطة، وكان أيضا مذموم^(١) الهيئة، فكان لا ينبس^(٢) إلا بما يقويه ويحرس حاله، واليوم هو رخي اللب^(٣)، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة^(٤) ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد، فهو مشثوم نكد، ثقل الروح، شديد البهت^(٥) قوله الإفساد وعادته تأجيل^(٦) اللهمنا والشامة بالمأثر^(٧) والتشفي من المنكوب.

وأما بهزام فرجل مجوسى معجب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه^(٨) أن يتبجح في الدنيا بمجاهه، ولا يبالي أين صار بمواقبته؛ وهو يحض^(٩) مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبره.

وأما ابن مكيخنا، فرجل نصراني أرعن خسيس، ماجاه يوما بخير قط^(١٠) لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقبونه بققا وهو «منهمك»^(١١)

(١) مذموما بالهيئة.

(٢) ينبس: يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى متنع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما يعد من سيور السرج في الية من صدر الدابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت: الكذب والباطل.

(٦) في الأصل: «تجيل» وسياق السلام يقتضى ما أثبتنا. واللهنا مصدر ميمي

(٧) «بالفار»؛ وهو تصفيف.

(٨) «مرضه».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى ينرى الناس بالوزير ويغسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه العبارة في الأصل بحرفة الحروف، مهمل أكثرها من النقط؛ وما

أثبتناه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.

يَطْلُ حَوْضَهُ الْمُسْتوردون وتَفَشَّه شوائبُ لا تَبْقَى عليها النقائب^(١)
وما ضاع قولهم : لا تكن حلوا فتوكل ، ولا مرًا فتعاف . ليس الحذرُ يقى^(٢)
فكيف التهور ، أهنا لَحَى تُسحبُ كل يوم ، وطوارقُ تُتوقع كل ليلة ! والتوكل
والأستسلام يليقان^(٣) بأهل الدين في طلب الآخرة ؛ فأما أصحاب الدنيا وأربابُ
المراتب ، فيجب أن يدعوا الهوينا جانباً ، ويشمروا للنفع والضر ؛ والخير والشر
ويكون ضرُّهم أكثر ، وشرُّهم أغلب ؛ ورهبوت خير من رَحْموت .
ولهذا قال الأعرابي :

أنا الغلام الأعسرُ الخيرُ في والشرُّ
والشرُّ في أكثرُ

وهذا معنى بديع ، ولم يرد أن البداءة بالشر خير من الخير ، وإنما أراد أنى أتقى
بالشر ، وإذا أقبل الشر قلت له : مرحباً ، وأدفع الشر ولو بالشر ، والحديد
بالحديد يفلح^(٤) . وقد قال الآخر^(٥) :

وفي الشر نجاة حية ن لا ينجيك إحسانُ
وقال ابن دارة :

إذا كنت يوماً طالب القوم فأطرح مقاتلهم وأذهب بهم كل مذهب
وقارب بذى حلم وباعد بجاهل جلوب عليك الشر من كل مجلب
فإن حذبوا^(٦) فأقص وإنهم تقاعسوا ليستمسكوا مما يريدون فأحذب

(١) شوائب ، أى عيوب تخالط أخلاقه . والنقائب : السجاي والأخلاق ، الواحدة نقيبة .

(٢) فى الأصل « ليت الحذر وقى » وقوله بعد « فكيف » الخ يقتضى ما أثبتنا .

(٣) يلتقيان ؛ وهو تحريف .

(٤) يفلح : يشق .

(٥) فى الأصل : « نجاة لك » وقوله « لك » زيادة من الناسخ .

(٦) حذبوا : من الحذب بالتحريك ، وهو خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .

والقص بالتحريك : عكسه .

وإن حلبوا خَلْقِينَ^(١) فأحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب
وقال الحجاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجالات العرب وقد قهر المعجم
بالدهاء والزكاة — «لو أخذتُ من الناس مائة ألف، كان أرضى عني من أن
أفرق فيهم مائة ألف». كان الناس بالأسس مزمومين^(٢) مخطومين، يقوم كل واحد
بنفسه على نفسه، ويَتَّبِعُ غَدَهُ لما جناه في أمسه؛ لأن الملك السعيد ساسهم،
وقوم زيغهم، وقلم أظفارهم؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر، وبالكفاية
عن القلق والضجر؛ وتقدم^(٣) إليهم بترك الخوض فيما لا مرجوع له بخير؛
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به، وإحسانه إليهم بمكانه، فسلبوه
فتنفس خناقهم، وأتسع نطاقهم، فامتطى كل واحد هواه، ويوشك أن يقع
في مهواة.

قال: وههنا أشياء أخرى غير هذه، ولكن من يسمع ويقبل؟ ومع هذا
فالأمر صائرة إلى مصايرها، كما أنها صادرة عن مصادرها.

فقال له ابن جبلة: ما عندي إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارفٌ بهم
ومستبطنٌ لأمرهم؛ مع المشرة القديمة، والملايسة المتصلة، والخبرة الواقعة؛
ولكن [لا بد] ^(٤) لمن كان في محله ورفعته من جماعة يقر بهم، ويرجع إليهم
ويسمع منهم، وينظر بأعينهم، ويصني بأذنانهم، ويتناول بأيديهم. فقال له
مجاوبا: إن كان عارفا^(٥) بهم، ومستبطنا لأمرهم، وخبيرا بشأنهم؛ فلم سلطهم
وبسلطهم، وحدد أنيابهم، وقوى أسنانهم، وفتح أشداقهم، وطول أعناقهم

(١) الخلف: الضرع.

(٢) في الأصل «مرموقين مخطومين»؛ وهو تحريف. وسياق الكلام الآتي يبد
يقضى ما أثبتنا. ومزمومين مخطومين، من الزمام والحطام.

(٣) تقدم إليه بكذا أمره.

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها.

(٥) «فارفا بهم مشكبتنا»؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

وقطع أرباقهم ؛ وأبطرهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلاً^(١) رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، ويغضى^(٢) على جنائهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال^(٣) : تشبثه بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دمه أمر ؟ وأنسه بيهرام إنما هو لاستمداد^(٤) الفساد منه وتقديعه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينجا^(٥) للسخرية به وتقريبه لابن الحجاج للسخف ، ولهجه بأبن هرون للهزء واللعب .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبح الحسن عند سُخطه فعل ، ولا يخلو أحد تهب ريحه^(٦) ، ويعلو شأنه ، وينفذ أمره ونهيه من حاسد وقار^(٧) ، ومُدخل ومرجف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها جرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فاعرف له^(٨) الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حسن اختياره وجميل أنتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازي والمسجدى فأين هؤلاء الغامطة^(٩) ؟

(١) « على » .

(٢) « يغضى » .

(٣) « طال » .

(٤) « الاستمداد » .

(٥) « ابن مكينجا » .

(٦) تهب ريحه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قارف ، أى كاذب ظالم . والمدخل : العائب ، من الدخل بالتحريك وسكون الحاء بمعنى العيب .

(٨) له ، أى للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) الغامطة : الذين لا يفكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة المتقدم ذكرهم وهم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أين هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ همُّهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لا همُّ ممن يُقْتَبَس من عليهم ولا همُّ ^(١) يتكلفون له نصحا ، وهيبته ^(٢) تعوقهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود ^(٣) هكذا وهكذا حتى يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألقى إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يُخَفِّي ^(٤) أنك له ملقنٌ مُحْكَل كأنك سامٍ عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع الليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى أستئناف زمان ، بعد أستيفاء حمام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضفائن حتى تبرأ المئزرُ

ثم قال : ما المئزر ؟ قلت : هي الضفائن التي ذكرها في حشو البيت ، واحدا مئزّة ، كأنه أراد وألبسهم على الضفائن [حتى تبرأ الضفائن ^(٥)] فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لئلا كان معناهما واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لأحفظ أسم شاعره ، ولكن أحفظ معه أبياتا . قال : هاتها ؛ فأنشدت أول ذلك :
يأئيها الرجل المزعج أذيتَه ^(٦) هل أنت عن قولك الموراء مزدجرُ
إني إذا عدت مبطلا ^(٧) إلى أمد لا يستطيع حضارى المقرف البطرُ ^(٨)

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يتحرك ويتأيل . والمراد أنه يلوح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه العبارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فإن قوله : « وألبسهم على الضفائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتَه » .

(٧) « مد ميطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمحاخرة : المالبة في الحضر بضمها ، وهو المد والسريع . =

لاقى قناتى مضرا عَشَوَزَةً^(١) لا قادح قد تبغها ولا خور
إنى لأصنع عن قوى وألبسهم على الضغائن حتى تبرأ المند
قال: أكتبها. قلت: أفعل، وأنصرفت، فأعاد على بعد ذلك شيئا مما كان.

الليلة الرابعة

(١) قال لى بعد ذلك فى ليلة أخرى: كيف رضاك عن أبى الوفاء^(٢)؟ قلت:
أرضى رضا بآتم شكر وأحد ثناء؛ أخذ بيدي، ونظر فى معاشى، ونشطنى
وبشرنى، ورعى عهدى، ثم ختم هذا كله بالنعمة الكبرى، وقلدى بها القلادة
الحسنى، وشملنى بهذه الخدمة، وأذاقنى حلاوة هذه الزية، وأوجهنى عند نظرائى.
قال: هات شيئا من الغزل. فأنشدته:

كلانا سواء فى الهوى غير أنها تجلده أحيانا وما بى تجلده

== والمعرف من الخيل: ما أمه عربية وأبوه أعجمى. والبطر بكسر الباء: من البطر بالتحريك؛
وهو هنا بمعنى التميز والدمش والأنهار. يريد أنه يحير ويدهش حين يسابق أسرع منه فيقصر
عن مسابقته بسبب ذلك. ويقال للبعير القطوف إذا جارى بغيراً واسع الخطو فقصرته خطاه عن
مباراته: «قد أبطره ذرعه» أى حمله على أكثر من طوقه.

(١) ورد هنا البيت فى الأصل هكذا:

لاقى قناتى مضرا عسورة لا قارح قد تبغها ولا خور
وفى بعض ألفاظه تحريف ظاهر. ومضرا، أى ذات صرير، أى صوت. والعرب يصفون
الفنأة الجيدة بأنها تصوت عند عمرها، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتى. والعشوزة:
الصلبة الشديدة النليظة، قال عمرو بن كلثوم يصف قناة:

عَشَوَزَةٌ إِذَا تُهْمَزَتْ أَرَّتْ تَشَجَّهَا لِلتَّقَفِّ وَالْجَبِينَا

والقارح: أكال يقع فى الشجر. والصدع فى السود.

(٢) يريد أبى الوفاء المهندس، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس، مولده
بيوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨، وكان إماماً فى الحساب
والمهندسة والجبر والفلك؛ توفى سنة ٣٨٧ كافى ابن الأثير أوسنة ٣٨٨ كافى تاريخ الحكماء.
وهو الذى ألف أبو حيان له هذا الكتاب.

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها [حين] أنهي وأبعد
ثم قال : غالب ظني أن نصرا غلام خواشاه^(١) ما هرب من فئائي إلا برأيك
وتجسرك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جرأة له على مثل هذا التدود والشذوذ ، فقد
قال لي القائل : إنك من خلصانه .

قلت : والله الذي لا إله إلا هو ما كان بيني وبينه ما يقتضي هذا الأنس
وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقي على زنبورية^(٢) باب الجسر بالمشايا وعند
البيمارستان وعلى باب أبي الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقته^(٣) وتاسومته
عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرعي سنة تسع وستين وهو متوجه إلى
قابوس وجرجان ، في المذلة الدائمة والحال المربوطة^(٤) ؛ ولو تبس لي بحرف
من هذا^(٥) ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبي الوفاء
قضاء لحقه ، ووفاء بما له في عنقي من مننه وخوفا من هذا الظن بي ، وقصورا
عن اللائمة لي .

قال : أما تعرف أحدا تسأله عنه ممن كان يخاطله ويباسطه ؟ قلت :
ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاقي ؟ كان أقل من شهر ، أفي هذا
القدر يتوكد الأنس وترتفع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاه هو أبو نصر خواشاه كان فارسيا من كبار رجال شرف الدولة البويهى
وكان سفيرا في الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ في الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) الرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال
عند العامة في نوع من المنال البالية يلبسه الفقراء ؛ ولم نجدناها في راجعناه من كتب اللغة ، كما
أنها لم ترد فيها بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الألفاظ العامية والدخيلة .

(٤) لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره به .

هذا بعيد . قال : هذا المتخلف^(١) كنتُ قد قرَّبته وربَّته ، ووعده ومنيته ؛ وتقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذكاري بأمره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيد نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى الأرضَ كأنه هارب من حبس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن بعض الصفيحيين^(٢) قال : لله قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من يفر من هذه الكرامة ، ويقوى — على ترفٍ جَمٍّ — على الهوان ، ويصبر على البلاء ، ويقلق في العافية ! إن السجايا لختلفة ، وإن الطباع لمعادية ؛ قلما يُرى شخصان يتشاكلان في الظاهر إلا يتباينان في الباطن .

قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنع من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رَسَمْنَا له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التعجب من هذا وكرَّرته على أبي الوفاء .

قلتُ : معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من شكلي « ولا أشدَّ للصدِّ »^(٤) هونا^(٥) من مصاحبة الصدِّ^(٥) ، لأنه سوداوي وجَمَد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عيننا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث لما رأيتُه [لائقا^(٦)] بحالي ، فكيف إذا قرنتُ برجل باطل^(٧) لو مرَّ بوجهه أسرى

(١) يريد بالتخلف : هذا الغلام الأبق ، لتخلفه عن متابعة مولاه .

(٢) الصفيحيون : نسبة إلى الصفيح ، وهو من أسماء السماء ، يريد المتمدين المتلفة قلوبهم بالعالم العلوي .

(٣) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في الأصل بحرف لا معنى لها وما أثبتناه هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، ولعله يريد أنه لو اكتفى بنقل حقيقة الحديث لما كان ذلك لائقا بحاله لما في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَهْدِيَنِي^(١) من أعلى جبل في الطريق . والآخرة أتى كنت أفد مع هذا كله على ابن عباد — وهو رجل أساء إلى وأوحشني ، وحاول على لسان صاحبه ابن شاهويه أن أقلب إليه ثانيا ؛ وكنت أكره ذلك ، وما كنت^(٢) آمن ما يكون منه ومتى ، والمجنون^(٣) المطاع ، مهروب منه بالطباع . وبعد ، فليس لي [حاجة^(٤)] في مثل هذه الخدمة ، لأن صدر العمر خلا متى عاريا من هذه الأحوال ، وكان وسطه أضعف تحملا ، وأبعد من القيام به والقيام عليه .

فقال : ما كان عندي هذا كله .

قال : إني أريد أن أسألك عن ابن عباد فقد أنتجته وخبرته وحضرت^(٥) مجلسه ، وعن أخلاقه ومذهبه وعاداته ، وعن علمه وبلاغته ، وغالب ما هو عليه ، ومغلوب ما لديه ؛ فما أظن أني أجدر مثلك في الخبر عنه ، والوصف له ، على أني قد شاهدته بهمدان لثا وافي ، ولكني لم أعجبته ، لأن اللبث كان قليلا ، والشغل كان عظيما ، والعائق كان واقعا .

فقلت : إني رجل مظلوم من^(٦) جهته ، وعاتب عليه في معاملتي ، وشديد الغيظ لحرمانى ، وإن وصفته أزييت^(٧) منتصفا^(٨) ، وانتصفت منه مسرعا^(٩) ،

(١) دهممه : دحرجه .

(٢) « وما أكتب » .

(٣) « والمجكوت » .

(٤) موضع هذا اللفظ في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا أو ما يفيد معناه .

(٥) « أمر » .

(٦) أزييت : زدت .

(٧) ورد في الأصل بعد هذه الكلمة لام وميم ؛ ولعلهما من زيادات النسخ ، لاستقامة الكلام بدونهما .

(٨) « مشرقا » ، وقد ورد بعد هذه الكلمة في الأصل حاء وياء ؛ ولعلهما من زيادات النسخ .

فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عاريا منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن الصيّد أودعتها نفسى الغزير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإنّ جانبها مهيب ، ولكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب^(١) المرء يُرجى ويُتقى ولا يعلم الإنسان ما فى المغيّب

قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمنعك ذلك فإنّ العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب^(٢) هو بيديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنّه مع علمه الواسع ، وكرمه السابغ ، يصف المحسن والمسيء ، ويُثنى على هذا ويُثبو^(٣) على ذاك ؛ فأذكر لى من أمره ما خفيّ اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إنّ الرجل كثيرُ المحفوظ حاضرُ الجواب فصيحُ اللسان ؛ قد تنفّ من كل أدب خفيفٍ أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ؛ والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابه مهجّنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة^(٤) بعبارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصّب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها كالمهندسة والطّب والتنجيم والموسيقى والمنطق والتعدد ؛ وليس [عنده]^(٥) بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يعيش » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالناء .

(٣) « يتنوّ على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « تناعى فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها عنه وأشاعها .

(٤) كذا فى معجم الأدباء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكانها كلمة مطبوعة تصنف قاءتاً .

الإلهي خبر، ولا له فيه عين^(١) ولا أثر؛ وهو حسن القيام بالتروض والقوافي؛ ويقول الشعر، وليس بذلك؛ وفي بديهته غزارة. وأما رويته^(٢) فغزارة؛ وطالمة الجوزاء، والشعرى قريبة منه؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة، والناس كلهم محبسون عنه، لجراته وسلطته واقتداره وبسطته؛ شديد العقاب لطيف الثواب، طويل العتاب؛ بنىء اللسان؛ يعطى كثيرا قليلا (أعنى يعطى الكثير القليل)، مغلوب بحرارة الرأس، سريع النضب، بعيد الفئدة^(٣) قريب الطيرة، حسود حقود حديد، وحسده وقف على أهل الفضل، وحفده سار إلى أهل الكفاية؛ أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سلطوته، وأما المنتجعون^(٤) فيخافون جفوته؛ وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة، ونخوة وتمتتا وتجرأ وزهوا؛ وهو مع هذا يخدعه الصبي، ويخلبه النوى؛ لأن المدخل عليه واسع، والمآلى إليه سهل؛ وذلك بأن يقال: مولانا يتقدم بأن أعاز شيئا من كلامه، ورسائل منشوره ومنظومه؛ فما جئت الأرض إليه^(٥) من فرغانة ومصر وتغليس إلا لأستفيد كلامه وأفصح به، وأتعلّم البلاغة منه؛ لكننا رسائل مولانا سور قرآن، وفقره فيها آيات فرقان؛ واحتجاجه من ابتدائها إلى انتهائها برهان فوق برهان؛ فسبحان من جمع العالم في واحد، وأبرز جميع قدرته في شخص.

(١) «جين ولا لبر».

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى. والفى في الأصل: «بديته» ولا يستقيم مع العبارة السابقة.

(٣) «النية». والتصحيح عن معجم ياقوت. والفئدة: الرجعة.

(٤) «المنكبطون».

(٥) «إلا من فرغانة» وقوله «إلا» زيادة من الناسخ.

فيلين عند ذلك ويزدوب ، ويلهى عن كل مهم له ، وينسى كل فريضة عليه ويتقدم إلى الخازن ^(١) بأن يُخرج إليه رسائله مع الورق ^(٢) والورق ويسهل ^(٣) له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .

ثم يعمل في أوقات كالعيد والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنعم ، ويقول : قد نخلتُك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المهج ^(٤) المُفسدين ^(٥) . فينمل أبو عيسى — وهو بندادى محكك ^(٦) — قد شاخ على الخدائع وتحتك — ويُنشد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تجبيره : أعد يا أبا عيسى ، فإنك — والله — مُجيد زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهرك ، وزادت قريحتك ، وتنفتحت قوافيك ؛ ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالسنا تُخرج الناس وتهب لهم الذكاء ، وتزيد لهم الفطنة ، وتحول الكودن ^(٧) عتيقا ، والمحمر ^(٨) جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنتيه ؛ وعطية هنيئة ؛ ويغيب الجماعة من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يملون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يترن بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من في الدار ؟ ف قيل له : أبو القاسم الكاتب وأبن ثابت ؛ فعمل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : الفرام المضروبة ، وهو يفتح الرء وكسرها .

(٣) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والنسب في الأصل : « ويهلم » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « المهج » ، وفي حروفه قلب .

(٥) « المُفسدين » وما أثبتناه من معجم الأدباء .

(٦) محكك ، أى مجرب مدرب .

(٧) الكودن : الفرس الهجين . والعتيق : عكسه .

(٨) المحمر : الفرس الهجين .

في الحال بيتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنت لمُذِن فادخلْ بعدها بساعة
وقل : « قد قلت »^(١) بيتين ، فإن رسمتَ لي إنشادها أنشدتُ « وأزعم أنك
بُدِيتَ بهما ، ولا تجزع من تأفُّي بك ، ولا تنزع من نُكْرِي عليك ، ودفعَ
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلا ؛ فلما
جلسا وأنسا^(٢) دخل الآخر^(٣) على تَفِيئتهما^(٤) ، ووقف للخدمة ، وأخذ
يتلَطَّطُ بِرِي أَنَّهُ يَقْرِضُ شِعْرًا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن
أنت أذنتَ لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرجتُ سخيْف ، لا تقول شيئًا
فيه خير ، اكفني أمرَك وشِعْرَك . قال : يا مولانا ، هي بديهي ، فإن نَكِرْتَنِي^(٥)
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحب^(٦) .
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يَأْتِيهَا الصَّاحِبُ تَاجَ الْعَلَا لَا تَجْعَلُنِي نُهْزَةً الشَّامِتِ
بُلُوحِدٍ يُكْنَى أَبَا قَاسِمٍ وَمُحِبِّهِ^(٧) يُعْزَى إِلَى نَابِتِ

قال : قاتلك الله ، لقد أحسنت وأنت مسمي . قال لي أبو القاسم : فكدتُ
أَتَقَفًّا غِيظًا ، لَأَتَى عَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْ قَعْلَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ الْجَاهِلُ لَا يَقْرِضُ

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة
الكلام بدونهما ، ولأنهما لم يردا في معجم الأدباء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كثيرا من
الحروف الزائدة .

(٢) كذا في معجم الأدباء . والذي في الأصل : « موانسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الآخر » وما أُنْبِتَاهُ عَنْ مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ .

(٤) « قفياهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تَفِيئتهما » ، أي على أثرهما . ونفيشة

المسي : حينه وزمنه .

(٥) « نكسرتني » ؛ وهو تحريف . وفي معجم الأدباء « كسرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الباء ، أي منسوب إلى مذهب الجبرية بالتحريك ، وهم فرقة يقولون :

ليس للمبد قدرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .

بيتا . ثم حدثني الخادم الحديث بنصه .

والذي غلظه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُجَبَّه قط بتخطئة ، ولا قوبل بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لحنت أو غلطت أو أخطت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيّدنا ، وصدق مولانا ، ولله دَرَه ، ولله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبدِ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابه) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصولي [إذا جُمع بينهما] ؟ من (صريع القواني) من (أشجع السلمي) إذا سلك طريقهما ، ومتج برشائهما ، وقَدَحَ بزَنْدهما ؟ قد أُستدرك مولانا على (الخليل) في القروض ، وعلى (أبي عمرو بن العلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في النضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نوبخت) في الآراء والديانات ، وعلى (أبنُ مُجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِنْدِي) في الجزء ^(١) ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي العيْناء) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخط ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفقر ، وعلى (يوحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ رَين) ^(٢) في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقدي) في الحفظ ، وعلى (النجار) في البدل ^(٣) ، وعلى (أبنُ ثوابه) في التفقه ^(٤) ، وعلى (السري السقطي) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مزبد) ^(٥)

(١) يريد الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو ما يسمى بالجوهر الفرد .

(٢) « ابن رين » هو علي بن رين كان طبيبا مشهورا ، ألف كتابا اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم على يد المعتصم .

(٣) البدل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد النجار .

(٤) في معجم الأدباء « علي بن ثوابه في التفقيه » .

(٥) هو أبو إسحاق مزبد المدني اشتهر بنوادره المضحكة وبسرعة خاطره ولطيف ملحه .

في النوادر ، وعلى (أبي الحسن العروضي) في أستخراج المعنى ، وعلى (بنى برمك) في الجلود ، وعلى (ذى الرياستين) في التدبير ، وعلى (سليح) في الكهانة ، وعلى (ابن الحنّيا خالد بن منان العبّسي) في دعواه^(١) ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح أوس بن حنجر التميمي) في (فضالة بن كلدة) :

الألمى الذى يظن بك الظن* كأن قد رأى وقد سمعا

قد يسبق المدح إلى من [لا^(٢)] يستحقّه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون ميّلا^(٣) حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا مُنّحه ووُفّر عليه .

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوّى ويتبسّم ، ويطيّر فرحا ويتقسّم ويقول : ولا كذا^(٤) ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصّرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشقّ غبارهم أو نردّ غمارهم . وهو فى كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شدقه ، ويتلع ريقه ، ويرُدّ كالآخذ ، يأخذ كالمتمنّع ، ويفضّب فى عرض الرضا ، ويرضى فى كبوس الغضب ، ويتهاك ويتالك ، ويتقابل^(٥) ويتمايل ؛ ويحاكى المومسات ، ويخرُج فى أحجاب السماجات ؛ ومع هذا كله يظنّ أنّ هذا خاف على نُقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتتبع

(١) خالد بن سنان روى أنه كان نبيا وكان فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عبس . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقبه بأبن الحنّيا ، وقد وردت كنيته فى معجم الأدباء بأبن الحنّية .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٣) « ميّنا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والليل ، ذو المال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة فى الاقتصاد فى المدح ، وباطنها الحث على الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى تتقابل أجزاءه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى فى مجلسه ولم يعمل إلى ناحية .

الأمور ، واستخراج مافى الصدور ، وأعتبار الأسباب ؛ وذلك أنه ليس بجيد العقل ، ولا خالص الحُقى ؛ وكلّ كدّر بالتركيب فقلما يصفو ، وكل مرّكّب على الكدّر فقلما يعتدل ؛ إلا أن الانحراف متى كان إلى جانب العقل كان أصلح من أن يكون إلى طَرَفِ الحُقى ؛ والكامل عزيز ، والبرى من الآفات معدوم ؛ إلا أن العليل إذا قيّض الله له طبيباً حاذقاً رفيقاً ناصحاً كان إلى العافية أقرب ، وللشفاء أرجى ، ومن العطب أبعد ، وبالأحتياط أعلق ، أعنى أن العاقل إذا عَرَفَ من نفسه عيوباً معدودة ، وأخلاقاً مدخولة ، استطبّ لها عقله ، وتطبّبَ فيها بعقله ، وتولّى تدبيرها برأيه ورأى خُلُصانه ، فنَفَى ما أمكن نفيه ، وأصلَحَ ما قُبِلَ إصلاحه ، وقلّل ما أُسْتَطَاعَ تقليله ؛ فقد يجد الإنسان الرّمَصَ فى عينه فينحّيه ، ويبتلى بالبرَصِ فى بدنه فيخفيه .

وقد أفسده أيضاً ثقة صاحبه^(١) به ، وتعوّله عليه ، وقلة سماعه من الناصح فيه ؛ فمُذِرٌ^(٢) بازدهاء المال والعلم والأقتدار والأمر والكفاية وطاعة الرجال وتصديق الجلّساء والعادة الغالبة ؛ وهو فى الأصل مجدود^(٣) لا جرم ليس يُقَلِّه مكانٌ دلالاً وترّفاً ، وعُجْباً وتبها وصلفاً ؛ وأندراء^(٤) على الناس ، وأزدراء للصغار والكبار ، وجبها للصادر والوارد ؛ وفى الجملة ، صِغار^(٥) آفاته كبيرة ، وذنوبه جمّة * ولكن الغنى ربّ غفور * قال : ما صدّرُ هذا البيت ؟ فأنشدته الأبيات ، وهى

(١) يريد بصاحبه : الملك الذى استوزره ، وهو مؤيد الدولة أو غير الدولة أخوه فلاحاً قد استوزره .

(٢) « فقدر » بالفاف والدال .

(٣) المجدود : المحظوظ .

(٤) الاندراء : الاندفاع والتهجم .

(٥) « تعار » .

لعروة بن الورد في الجاهلية ، وكان يقال له عروة الصعاليك ، لأنه كان يؤويهم ويحسن إليهم كثيرا :

ذَرَيْتِي لِلْغَنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ
وُيُقْصِيهِ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغَنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلُ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغَنَى رَبٌّ غَفُورُ

فقال : لا شك أن المسودة جامعة لهذا كله . قلت : تلك تجزّع (١)
في دسْتِ كاعْدِ فرعوني . فقال : أجد (٢) تحريرها ، وعلى بها ، ولك الضمان
ألا يراها إنسان ، ولا يدور بذكرها لسان .

قلت : السمع والطاعة . قال : قد تركنا من حديثه ما هو أولى مما مر بنا ؛
(٥) كيف بلاغته من بلاغة ابن العميد ؟ وأين طريقته من طريقة ابن يوسف
والصابي ؟ قلت : قد سألت جماعة عن هذا ، فأجابني كل واحد بجواب إذا
حكيتنه عنه كان ما يقال فيه الصق ، وكنت من الحكم عليه وله أبعد .
قال : صف هذا ؛ قلت : سألت ابن عبيد الكاتب عن ابن عباد في كتابته
فقال : يرتفع عن المتعلمين فيها بدرجة أو بدرجتين . وقال علي بن القاسم : هو
مجنون الكلام ، تارة تبدو (٣) لك منه بلاغة قس ، وتارة يلقاك بعبى بأقل ؛ تحريف
كثير في المعاني ، وإحالة في الوضع ، وغلط في السجع ، وشروذ عن الطبع .

(١) تجزّع ، أى تجزأ . والدست : أربع وعشرون ورقة ، كما في المعجم الفارسي
الإنجليزي لاستاينجاس . والكاغد : الورق ، معرب . وفرعوني ، أى مصرى .
(٢) فى الأصل : « أجد » ؛ والميم زيادة من الناسخ .
(٣) « كنمو » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

وقال ابن المرزبان: هو كثير السرقة، سبى الإتاق، ردى القلب والعكس، فروقة^(١) في إيراده، هزيمته قبل هجومه^(٢). [وإجماؤه^(٣)] أظهر من إقدامه. وقال الصابي: هو مجتهد غير موفق، وفاصل غير منطوق^(٤) ولو خطأ كان أسرع له، كما أنه لما عدا كان أبطأ عليه؛ وطباع^(٥) الجبلي مخالف لطباع العراقي، يشب^(٦) مقاربا فيقع بعيدا، ويتناول صاعدا فيتناقص بعيدا. وقال علي بن جعفر: ثم كانت الطبائع^(٧)! هو يكذب نفسه بحسن الظن في البلاغة، وطباعه تصدق عنه بالتخلف، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى، فأما شينه اللفظ فبالجفوة والغلظة والإخلال والفجاجة؛ وأما إحالته فبالإبعاد عن حومة القصيد والإرادة؛ والعجب أنه يحفظ الطم^(٨) والرم^(٩) من النثر والنظم؛ ثم إذا ادعاهما يقع دونهما سقوطا، أو يتجاوزهما فروطا^(٩)؛ هذا مع الكبر المقوت والتشيع الظاهر، والدعوى العارية من البينة العادلة.

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر: الكبير — أعزك الله — معرض يستوى فيه النبى ذكرا، والخال مل قدرا، ليس

(١) الفروقة: الشديد الفرق بالتحريك، وهو الفزع.

(٢) «هجومه».

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها، والسياق يقتضى ما أثبتنا أو إثبات ما يفيد معناه.

(٤) غير منطوق، أى غير بليغ النطق.

(٥) الطباع: الطبع، يستعمل مفردا كما هنا وجما.

(٦) «بنسته».

(٧) يتعجب بهذه العبارة من أصل الطبائع التى تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب نفسه، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتى.

(٨) الطم والرم: العدد الكثير. يقال: جاء بالطم والرم. والطم في الأصل: المساء الكثير، أو ما ساقه الماء من غشاء. والرم: الثرى. والذى في الأصل «الكظم وأكرم» وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

(٩) الفروط: التقدم. وفي الأصل: «فروطا» وهو تصحيف.

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشد تحفظاً على الرئيس المحفوظ ، وأكثر اجتناءً لأفعاله ، وتتبعاً لمعاييه ، وتصفاً لأخلاقه ، وتنقيراً^(١) عن خصاله منهم عن خامل لا يُعْبَأُ به ، وساقط لا يُكْتَرَثُ له ؛ فيسيرُ عيب الجليل^(٢) يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل النعم يسرع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكور مذكور والعيب في الخامل المستور مستور
كفوفة^(٣) الظفر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهور
وقال الزهيري : قد نجم بأصبهان ابن لمباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم ، فسيشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة أئمتين وخمسين في مجلس من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأعراض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشر والضرر كفضل النفس على البدن في الخير ؛ وصاحبنا^(٤) يعني — ابن عباد — مريض عندنا ، صحيح عند نفسه ، زيف بنقدنا ، جيد بنقده ؛ ولو قامت^(٥) الشوق على ساقها ، وتناصف المتعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذ ولا إعطاء ، عُرِفَ البهرج^(٦) الذي

(١) « وتنكيرا » ؛ بالكاف .

(٢) « الجليل » .

(٣) « فوفة » ، وهو تصحيف . والفوف بفاءين : الياء الذي يكون في الأظفار الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة لم يظهر منها غير الواو والصاد والألف .

(٥) « قامت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهريج » . والبهرج : الردي .

ضرب خارج الدار^(١) والجيد الذي ضرب داخل الدار .
وقال أحمد بن محمد : إذا أنصفنا ألزمتنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف
والمأخذ القريب ، والسجع اللأم ، واللفظ المونق ، والتأليف الحلو ، والشبوة
الغالبية ، والمروالة المقبولة في السمع^(٢) ، الخالبة^(٣) للقلب^(٤) العابثة بالروح ، الزائدة
في العقل ، المشعلة للقريحة ، الموقوفة^(٥) على فضل الأدب ، الدالة على غزارة
المغترف ، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف ؛ وابن عباد^(٦) يلى في هذه الصناعة
بأشياء كلها عليه لاله ، وخاذلته لا ناعيرته ، ومسلته لا منقذته ؛ فأول ما يلى به
أنه فقد الطبع ، وهو^(٧) العمود ؛ والثاني العادة وهي المؤانية^(٨) ؛ والثالث الشغف
بالجاسي^(٩) من اللفظ وهو الاختيار الردي ؛ والرابع تتبع الوحش ، وهو الضلال
المبين ؛ والخامس الذهاب مع اللفظ دون المعنى ؛ والسادس استكراه المقصود
من المعنى ، واللفظ على النبوة ؛ والسابع التعاضل^(١٠) المجهول بالأعراض ؛ والثامن
إلف الرسوم أفايدة من غير تصفح ولا فحص ؛ والتاسع قلة الاعتاظ^(١١) بما كان
— للثقة الواقعة في النفس — من القات^(١٢) ، والعاشر تنفيق المتاع بالأقتدار في

(١) يريد دار الضرب .

(٢) « السبع » .

(٣) في الأصل : « الجالبة » بالجيم .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله « للقلب » كاف ولام ، ولعلهما زيادة من الناسخ لاستقامة الكلام بدونهما .

(٥) « الموقوفة على فضل الأذن » . وفي هذه العبارة تحريف في كلمتين .

(٦) « وهو » واللام زيادة من الناسخ .

(٧) المؤانية ، أي المساعدة المعينة .

(٨) الجاسي : الجاف الصلب .

(٩) « التعاضل » بالطاء وهو تصحيف . ويقال : « عاظم الكلام » : إذا عقده ووالى

بعضه فوق بعض . « وعاضل بالكلام » : آتى بالرجيع من القول وكرره .

(١٠) « الاعتطال » .

(١١) الغائب .

سُوقِ الْعِرْزَ ، وهذه كلها سبيل الضلالة ، وطرق الجهالة . قال : وليس شيء أنفع
للعنشي من سوء الظن بنفسه ، والرجوع إلى غيره وإن كان دونه في الدرجة
وليس في الدنيا محسوب^(١) إلا وهو محتاج إلى تثقيف ، والمستعين^(٢) أحزم من
المستبد ، ومن تفرّد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ، وقد يستعجم المعنى كما
يستعجم اللفظ ، ويشرّد اللفظ كما يند^(٣) المعنى ، وينثر النظم^(٤) كما ينتظم النثر
وينحل المقّد كما يعقّد المنحل .

والدار على أجتلاب الحلاوة المذوقة بالطبع ، وأجتنب النّبوة المموجة
بالسمع ؛ والقريحة الصافية قد تكدر ، والقريحة الكدرة قد تصفو ، وشرّ
آفات البلاغة الأستكراه ، وأنصح ناصحها الرضا بالغو . وقال : كان ابن المقفع
يقف قلبه كثيرا ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدحم في صدرى فيقف
قلبي لأتخيره .

والكتاب يُتصفح أكثر من تصفح الخطاب ، لأن الكاتب مختار
والخطاب^(٥) مضطر ؛ ومن يرّد عليه كتابك فليس يعلم أسرعت فيه أم أبطأت
وإنما ينظر أصبت فيه أم أخطأت ، وأحسنّت أم أسأت ؛ فإبطأك غير إصابتك
كما أن إسرأك غير مُعَفٍّ^(٦) على غلطك .

قال : هذا كله مفيد فأين هو من غيره من أصحابنا ؟ قلت : في الجملة هو (٥)

(١) محسوب ، أى أحد معدود في الناس .

(٢) في الأصل : « والمستعمل أجزم من المشكك » ، وفي جميع ألفاظها تحريف لا معنى له .

(٣) « يبرد » ، و « ينفد » مكان « يفسد » و « يند » .

(٤) « اللفظ » .

(٥) « المحاكم » .

(٦) « مقف » .

أبلغ من ابن يوسف^(١) ، وأغزر وأحفظ وأرؤى وأجمل ركيته ، وأعذب مؤردا ، وأبعد من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبّاد في شيء .

فأما ابن العميد فإني سمعت ابن الجمل يقول : سمعت ابن ثوبة يقول : أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظن أنه إن تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بعيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ؛ ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان ولا تجتمع في صدر كل أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر والفراغ والعشق^(٢) والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مفايح قلما يملكها واحد ، وسواها^(٣) مغالِقُ قلما ينفك منها واحد .

وأما أبنته ذو الكفایتين ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعر منه ؛ ولقد تشبّه بالجاحظ فأفتضح في مكاتبتة لإخوانه ، ومجانتة في كلامه ومسائله لمعلمه التي دلتنا على سرقة وغارته^(٤) وسوء تأتیه^(٥) ، في تسأله وتغطيعه ؛ ومن شاء سمح نفسه ؛ وكان مع هذا أشد الناس أدعاء لكل غريبة ، وأبعد الناس من كل قريبة ؛ وهو نزر^(٦) المعاني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسد

(١) ابن يوسف الذي يريده هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب في دولة بني بويه ، تقلد ديوان الرسائل لمعهد الدولة طول أيامه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده ، وهو الذي دس لابن سعدان عند صنعام الدولة حتى سجنه ثم قتله . وفي الجزء الثاني من اليتبة نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالعشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة

(٣) « ووباها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأليه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خَطَّ بالقلم ، أو بَلَغَ باللسان ، أو فَلَجَ^(١) في المناظرة ، أو [فَكِهَ^(٢)] بالنادرة ، أو أغْرَبَ في جواب ، أو أُنْسَعَ في خطاب ؛ ولقد لقي الناسُ منه الدواهيَ لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذُكِرَتْ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وقفت^(٣) عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفت .

الليلة الخامسة

- (١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتم ما كتبنا به بدأنا . قلت : بلى .
فأما أبو إسحاق^(٤) فإنه أَحَبَّ^(٥) الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على الصحَّة الوسطى ، وإنما يُنْقَمُ عليه قِلَّةُ نصيبه من النحو ؛ وليس ابنُ عباد في النحو بذلك ؛ ولا كان أيضا ابنُ العميد إلا ضميئا ؛ وكان يذهب عنه الشيء اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية ، وعاداته محدودة ؛ لا يَثْبُ ولا يَرَسُب ، ولا يَكِلُّ ولا يَكْهُم^(٦) ، ولا يلتفت وهو متوجِّه ، ولا يتوجَّه وهو ملتفت . وقال^(٧) لنا : إمامي ابنُ عبد كان^(٨) ، وهو قد أوْفَى عليه ، وإن كان

(١) فلج : فاز على خصمه وظهر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) ووقفت . والواو زيادة من الناسخ .

(٤) يريد بأن إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن من الدولة البويهية ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وهم عليه عضد الدولة مكاتبات صدرت منه ، فلما ملك عضد الدولة أراد قتله فغشعوا فيه فأطلقه ، وألف له كتاب « الناجي » في أخبار بني بويه ، وأريد على الإسلام فأبى وظل على دين الصابئة إلى أن مات سنة ٣٨٤ كما روى ابن خلكان . وقال ابن النديم إنه مات قبل سنة ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق العبارة الآتية بمد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضيف .

(٧) وقال ، أي أبو إسحاق الصابي .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليفا مقرسلا فصيحاً ، وله ديوان رسائل .

أَحْتَذَى عَلَى مِثَالِهِ ؛ وَفَنُونُهُ أَكْثَرُ ، وَمَأْخَذُهُ أَخْفَى ، وَخَاطِرُهُ أَوْقَدَ ، وَنَظَرُهُ
أَنْقَدَ ، وَرَوْضُهُ أَنْصَرَّ ، وَسَرَايُهُ أَزْهَرَ ، وَيزِيدُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْكِتَابِ
« التَّاجِي » ، فَإِنَّهُ أَبَانَ عَنْ أُمُورٍ وَكَثَنَ فِي مَوَاضِعَ ، وَشَنَّ الْغَارَةَ فِي الصَّبِيحِ
الْمُنِيرِ مَعَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَدَلَّ عَلَى التَّفَلُّسِ ، وَعَلَى الْأُطْلَاعِ عَلَى حَقَائِقِ السِّيَاسَةِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ ^(١) لَكَانَ بِهِ أَعْرَقَ النَّاسَ فِي الْخَطَابَةِ ، وَأَعْرَقَ الْكِتَابَ فِي
الْكِتَابَةِ ، هَذَا وَنَظْمُهُ مَنُشُورُهُ ، وَمَنُشُورُهُ مَنَظُومُهُ ؛ إِنَّمَا هُوَ ذَهَبٌ إِبْرِيْزُ كَيْفَمَا
سُبِكَ فَهُوَ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بِمَا يُصَاغُ مِنْهُ وَيَشْكَلُ عَلَيْهِ ؛ هَذَا مَعَ الظَّرْفِ النَّاصِعِ
وَالْتَوَاضِعِ الْحَسَنِ ، وَاللَّهْجَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالْحُلُقِ الدَّيْمِثِ ، وَالْمَرْفَقِ بِالزَّمَانِ ، وَالْخَبِيرَةِ
بَأَصْنَافِ النَّاسِ ؛ وَلَهُ فَنُونٌ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، وَمَا مِثْلُهُ فِيهَا إِنْسَانٌ .
وَإِنِّي لِأُزَحِّمُ مَنْ لَا يَسْلَمُ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَإِنَّمَا عَالِمًا
فَإِنْ كَانَ جَاهِلًا فَهُوَ مُعْذَرٌ ، وَإِنْ كَانَ عَالِمًا فَهُوَ مَلُومٌ ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ نَفْسِهِ
— بِدَافِعٍ مَا يَعْلَمُهُ — عَلَى حَسَدِهِ ، وَالْحَاسِدِ مَبِينٌ .

(٢) قَالَ : هَلْ كَانَ فِي زَمَانٍ هَؤُلَاءِ مَنْ يُلْحَقُ بِهِمْ ، وَيَدْخُلُ فِي زُمْرَتِهِمْ ؟ قُلْتُ :
نَعَمْ ، أَبُو طَالِبِ الْجَرَّاحِي مِنْ آلِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى كَتَبَ لِلْعَزْرُبَانِ مَلِكِ الدَّيْلَمِ
بَعْدَ مَا أُنْتَجَعَ فَنَاءُ ابْنِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَضْلِ ، فَحَسَدَهُ وَطَرَدَهُ ، وَعَصَّ بِمَذْكَ ذَلِكَ عَلَى
نَاجِيهِ نَدَمَا عَلَى سُوءِ فَعْلِهِ ، وَلَقِيَ مِنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبِ الْأَمْرَيْنِ ؛ وَرَسَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ .
وَأَبُو الْحَسَنِ الْفَلَاسَكِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَوَقَعَ إِلَى الْمَرَاغَةِ وَنَوَاحِيهَا
وَهُوَ حَسَنُ الدِّيَابِجَةِ ، رَقِيقُ حَوَاشِي اللَّفْظِ ؛ وَهُوَ أَخَذَهُمْ ^(٢) غَرَبًا ، وَأَغْرَزَهُمْ
سَكْبًا ^(٣) ، وَأَبْصَدَهُمْ مُنَاخًا ^(٤) وَأَعَذَّبَهُمْ نُقَاخًا ^(٥) ، وَأَعْطَفَهُمْ لِلْأَوَّلِ عَلَى

(١) « خَيْرُهُ » .

(٢) « وَأَجْدَمُ قَرِيبًا » بِالْجِيمِ فِي الْأَوَّلِ وَالْقَافِ فِي الثَّانِي .

(٣) « وَأَعْرَزَهُمْ سَكْبًا » .

(٤) « نُنَاخًا » بِالْتَاءِ .

(٥) « نُقَاخًا » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالنُّقَاخُ : الْمَاءُ الْبَارِدُ الْعَذْبُ الصَّافِي .

الآخر وأنشُرهم للباطن من الظاهر . وقرأتُ له :

« فإن رأى أن ينظرَ نَظَرَ راحم متعطف ، إلى نادم متلهف ؛ ويجعل المَفَوَّعَ عن فَرَطَتِهِ وكفرائِهِ ، صدقةً عن بسطتِهِ وسلطانِهِ ؛ فأجدرُ الناس بالاعتقار أقدرهم على الانتصار ؛ فَعَلَّ — إن شاء الله تعالى — » .

وله مكاتبات واسعة بينه وبين رجل من أهل المراغة يقال له : محمد بن إبراهيم ، من أهل (سُرَّ مَنْ رَأَى) وفي الجملة ، الفضل في الناس مَبْثُوث ، وهم منه على جدود^(١) ؛ والمرذول هو العارى من كُبُوسِهِ ، المتردد بين تخلفه وتقصيه .

قال^(٢) : فكيف يتم له ما هو فيه مع هذه الصفات التي تذكرها ؟ قلتُ : والله لو أن عجوزاً بَلْهَاء ، أو أمةً وَرْهَاء^(٣) أقيمت مقامه ، لكانت الأمور على هذا السياق . قال : وكيف ذاك ؟ قلتُ : قد أُمِنَ أن يُقَالَ له : لِمَ فعلتَ ، ولم لَمْ تفعل ؟ وهذا باب لا يتفق لأحدٍ من خَدَمِ الملوك إلا بجِدِّ مُعِيد ، ولقد نُصَحَ صاحبه الهَرَوِيُّ في أموال تَاوِيَةٍ^(٤) ، وأمورٍ من النظر عارية ؛ فَقَذَفَ بالرقعة إليه حتى عَرَفَ ما فيها ، ثم قتل الراقع خنقاً . هذا وهو يدين بالوعيد ، وله نظائر ، ولنظائره نظائر ، ولكن ليس له ناظر ، ولا فيه مُناظر . وقال لي الثقة من أصحابه : ربما شَرَعَ في أمرٍ مُحْكَمٍ فيه بالخطأ فيقبله جَدُّه صواباً ، حتى كأنه عن وحى ؛ وأسرار الله في خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفيةٌ في أستار الغيب ، لا يهتدى إليها ملكٌ مقرب ، ولا نبيٌّ مرسل ، ولا وليٌّ مهذب ؛ ولو جرت الأمور على موضوع

(١) الجدود : المخطوط ، الواحد جد بالفتح .

(٢) قال ، أى الوزير ، والضمير في « له » يعود على ابن عباد .

(٣) الورهاء : الحقاء .

(٤) تَاوِيَةٍ ، أى هالكة .

الرأى وقضية العقل ، لكان معلماً في مصطبة على شارع ، أوفى دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهيمه وتشاؤقه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تُعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

(٤) قال : هذا قدرٌ كافٍ إلى أن تبيض الرسالة ؛ هات مُلحة الوداع . قلتُ : قال أبو العيناء : قال أبو دعلج : قال المهدي : بايع ؛ قلتُ : أبايعكم [علام ؟ قال^(١)] : على ما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كرز أبو سيار المسمى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين عليّ ومعاوية . فقال دوست بن رباط الفقيمي أبو شعيب : قد علم الأميرُ هذا ، ولكن أحبّ التسهيل على الناس ، وأنصرفت .

الليلة السادسة

(١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على المعجم أم المعجم على العرب ؟

قلتُ : الأُم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصنّب أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وتفاريق ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . فقلتُ : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاماً لابن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في المعجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القائل :

(١) ما بين الرابين لم يرد بالأصل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في ضحاح من الكلام . قال : هات على بركة الله وعونه . قلت : قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصة الميربد — وهو موقوف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان المصر — إذ طلع ابن المقفع ، فافينا أحد إلّا هسن له ، وأرتاح إلى مساء لته ، وسررنا بطلعته ؛ فقال : ما يتفكم على متون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بعث الخليفة إلى أهل الأرض يبتنى مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن في ظل ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب والظمان ، وتتمد الأرض فإنها خير بساط وأوطؤه ، ويسمع بعضنا من بعض فهو أمد للجلس ، وأدرك للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن تنفس الشمال ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أي الأم أعقل ؟ فقلنا أنه يريد الفرس ، قلنا : فارس أعقل الأم ، نقصد مقاربتة ، ونتوخي مصانعة . فقال : كلا ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علّوا فتعلّوا ، ومثل لهم فامتثلوا وأقتدوا^(١) وبُدّوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم استنباط ولا أستخراج . قلنا له : الرّوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء^(٢) وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصين . قال : أصحاب أثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع الهراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم وغرقة^(٣) وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هاملة^(٤) . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بقاء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشموذة : واحد ، وهي أخذ كالسحر ترى

العين بنير ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هاملة ، أي مهمل . وفي الأصل : « هائلة » .

فَتَلَحَّظْنَا وَهَمَسَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ، فَنَظَاهُ ذَلِكَ مِنَّا ، وَامْتَنَعَ لَوْنُهُ ، ثُمَّ قَالَ :
كَأَنَّكُمْ تَنْظُرُونَ فِي مَقَارِبَتِكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَا فِيكُمْ
وَلَكِنْ كَرِهْتُ [إِنْ] فَاتَنَى الْأَمْرُ أَنْ يَفُوتَنِي الصَّوَابُ ، وَلَكِنْ [لَا ^(١)] أَدْعُكُمْ
حَتَّى أَبَيِّنَ لَكُمْ لِمَ قُلْتُ ذَلِكَ ، لِأَخْرِجَ مِنْ ظَنَّةِ الْمَدَارَاةِ ، وَتَوْهْمِ الْمَصَانَعَةِ ؛ إِنْ
الْعَرَبُ لَيْسَ لَهَا أَوْلَى تَوْهْمَةٍ ^(٢) وَلَا كِتَابٌ يَدُلُّهَا ، أَهْلُ بَلَدٍ قَفَرٍ ، وَوَحْشَةٍ مِنَ
الْإِنْسِ ، أَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي وَحْدَتِهِ إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ ؛ وَعَلِمُوا
أَنَّ مَعَاشَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَوَسَّموا كُلَّ شَيْءٍ بِسَمْتِهِ ، وَنَسَبُوهُ إِلَى جَنْسِهِ
وَعَرَفُوا مَصْلَحَةَ ذَلِكَ فِي رَطْبِهِ وَيَابَسِهِ ، وَأَوْقَاتِهِ وَأَزْمَنْتِهِ ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْهُ فِي الشَّاةِ
وَالْبَعِيرِ ؛ ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الزَّمَانِ وَأَخْتَلَفَ فَعَلُوهُ رِبْعِيًّا وَصِيفِيًّا ، وَقَيْظِيًّا وَشَتَوِيًّا ؛
ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ شَرِبَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوَضَعُوا لِذَلِكَ الْأَنْوَاءَ ؛ وَعَرَفُوا تَغْيِيرَ الزَّمَانِ
فَجَعَلُوا لَهُ مَنَازِلَهُ مِنَ السَّنَةِ ؛ وَاحْتَاجُوا إِلَى الْإِتِّشَارِ فِي الْأَرْضِ ، فَجَعَلُوا نَجْمِ
السَّمَاءِ أَدَلَّةً عَلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا ، فَسَلَكُوا بِهَا الْبِلَادَ ؛ وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ
شَيْئًا يَتَّبِعُونَ بِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَرْغَبُونَ فِي الْجَمِيلِ ، وَيَتَجَنَّبُونَ بِهِ عَلَى الدَّاءِ
وَيَحْضَرُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ ؛ حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي فِتْجٍ مِنَ الْأَرْضِ يَصِفُ
الْمَكَارِمَ فَمَا يُبْقِي مِنْ نَعْتِهَا شَيْئًا ، وَيُسْرِفُ فِي ذَمِّ الْمَسَاوِي فَلَا يَقْصُرُ ؛ لَيْسَ
لَهُمْ كَلَامٌ إِلَّا وَهُمْ مُحَاضِرُونَ بِهِ عَلَى أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ثُمَّ حَفِظَ الْجَارُ وَبَذَلَ الْمَالُ
وَأَبْتَنَاءُ التَّحَامِدِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَصِيبُ ذَلِكَ بِعَقْلِهِ ، وَيَسْتَخْرِجُهُ بِفُطْنَتِهِ وَفِكْرَتِهِ
فَلَا يَتَعَلَّمُونَ وَلَا يَتَأَدَّبُونَ ، بَلْ نَحَازُ ^(٣) مُؤَدَّبَةً ، وَعَقُولٌ عَارِفَةٌ ؛ فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ :

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٢) « كوكبه » ، وهو تحريف لا معنى له . وتوهمه ، أى تتوخاه وتقصدته
وتتبع ما يسنه لها .

(٣) النحائر : العادات والطباع ، الواحدة نحيزة . وفي الأصل : « كجابر » وهو تحريف .

إنهم أعقل الأمم ، لصحة الفطرة^(١) واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم .
هذا آخر الحديث

قال^(٢) : ما أحسن ما قال ابن المقفع ! وما أحسن ما قصصته وما أتيت به !
هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبط .

قلتُ : إن كان ما قال هذا الرجل البارِعُ في أدبه المقدمُ بعقله كافياً^(٣)
فالزيادة عليه فضلٌ مستغنى عنه ، وإعقابه بما هو مثله لا فائدة فيه .

فقال : حدِّ^(٤) الوصف في التزيين والتقبيح مختلف الدلائل على ما يُعتقد
صوابه وخطؤه ، متباين ؛ وهذه مسألة — أعنى تفضيل أمة على أمة — من أمهات
ما تدارأ الناس عليه وتَدافعوا فيه ؛ ولم يرجعوا منذ تناقلوا الكلام في هذا الباب
إلى صلح متين وأتفاق ظاهر . قلتُ : بالواجب ما وقع هذا ، فإن الفارسي ليس
في فطرته ولا عادته ولا منشئه أن يعترف بفضل العربي ، ولا في جبلة^(٥) العربي
وديدنه أن يقرَّ بفضل الفارسي . وكذلك الهندي والرومي والتركي والديلمي ؛
وبعد ، فأعتبر الفضل والشرف موقوف على شيئين : أحدهما ما خص به قوم
دون قوم في أيام النشأة بالأختيار للجد والرياء ، والرأى الصائب والفائل ، والنظر
في الأول والآخر . وإذا وقف الأمرُ على هذا فلكل أمة فضائل ورذائل
ولكل قوم محاسن ومساوئ ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها
كمال وتقدير ؛ وهذا يقتضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مُفاضة
على جميع الخلق ، مفوضة بين كلهم .

(١) في الأصل : « الفكرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه تعبيره
الآتي في صفحة ٧٦ سطر ١٥ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) « ما حد » و « ما » زيادة من الناسخ ، فإن سياق الكلام الآتي بعد لا يقتضي الاستفهام .

(٤) « حيلة » .

فللفُرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللرُوم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة^(١) والسحر والأناة ؛ وللتُّرك الشجاعة والإقدام ؛ وللزنَج الصبر والكَد والفرح ؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان .

ثم إن هذه الفضائل المذكورة ، في هذه الأمم المشهورة ، ليست لكل واحد من أفرادها ، بل هي الشائعة بينها ؛ ثم في جعلتها^(٢) من هو عارٍ من جميعها ، وموسوم بأضدادها ، يعني أنه لا تخلو الفُرس من جاهل بالسياسة ، خالٍ من الأدب ، داخلٍ في الزعاع والهمج ؛ وكذلك العرب لا تخلو من جبانٍ جاهلٍ طيَّاشٍ بخيلٍ عبيٍّ^(٣) وكذلك الهند والرُوم وغيرهم ؛ فعلى هذا إذا قوبل أهلُ الفضل والكمال من الرُوم بأهل الفضل والكمال من الفُرس ، تلاقوا على صراطٍ مستقيم ، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلَّا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وتلك لا تخص^(٤) بل تُلَمّ . وكذلك إذا قوبل أهلُ النقص والذليلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى ، تلاقوا على نهج واحد ، ولم يقع بينهم [تفاوتٌ]^(٥) إلَّا في الأقدار والحدود ؛ وتلك لا يُلْتَفَت إليها ، ولا يعار^(٦) عليها ؛ فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفطرة ، وأختيار الفكرة . ولم يكن بعد ذلك إلَّا ما يفتازعه الناس بينهم بالنسبة الترايية ، والعادة المنشئية

(١) في الأصل : « المقة » ، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا . ويريد بالحقفة : الشعوذة ، فإنها بخفة في اليد . وقد سبق وصف الهنود بذلك .

(٢) « أجلتها » .

(٣) « غبي » .

(٤) في الأصل : « يحصل بل تسلّم » ومعنى الكلمتين لا يناسب السياق . ويريد أنها لا تخص أمة دون أمة ، بل تجمع الأمم كلها .

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطبوسة في الأصل تتعذر قراءتها .

(٦) يعار : يعاب .

والهوى الغالب من النفس الغضبية ، والنزاع الهائج من القوة الشهوية .
وها هنا شيء آخر ، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه
والإيحاء إليه .

[وهو أن^(١)] كل أمة لها زمان على ضدها^(٢) ، وهذا بين مكشوف إذا
أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ، لَمَّا غَلَبَ وساس ومَلَك ورأس وفتق
ورَتَق ورَسَم ودَبَّر وأمر ، وحَثَّ وزجر ، ومحا وسطر ، وفعل وأخبر ؛ وكذلك
إذا عطفت إلى حديث كسرى أنو شروان وجدت هذه الأحوال بأعينها ، وإن
كانت في غُلف غير غُلف الأول ، ومعارض غير معارض المتقدم ؛ ولهذا قال
أبو مسلم صاحب الدولة حين قيل له : أى الناس وجدتهم أشجع ؟ فقال : كل
قوم في إقبال دولتهم شجعان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها
أفضل وأمجد وأشجع وأمجد وأسخى وأجود وأخطب وأنطق وأزأى وأصدق ؛
وهذا الاعتبار ينساق من شيء عام لجميع الأمم ، إلى شيء شامل لأمة أمة
إلى شيء حار لطائفة طائفة ، إلى شيء غالب على قبيلة قبيلة ، إلى شيء معتاد
في بيت بيت ، إلى شيء خاص بشخص شخص وإنسان إنسان ؛ وهذا التحول
من أمة إلى أمة ، يشير^(٣) إلى فيض جود الله تعالى على^(٤) جميع بريته وخليقته
بحسب أستجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تطاول الدهر في نيل ذلك من فضله
ومن رَقَى إلى هذه الرتبة بعين لا قَدَى بها ، أبصر الحق عيانا بلا مِرْية ، وأخبر

(١) هذه التكلة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أى لها زمان تكون لها فيه الدولة والقلبة على عدوها . وفي الأصل :
« ضد هذا » وقوله : « ذا » زيادة من الناسخ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من الناسخ .

(٤) « إلى » .

عنه بلا [فريه^(١)] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور
وضح لك هذا كله كالنهار إذا متع^(٢) ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يكتات بالهوى ، ويسمج
بالتعصب ، ويحبب اللجاج ، ويخرج إلى المحك^(٣) ؛ فهناك يطبخ^(٤) المعنى
ويضل المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : انصرف العباس بن مرداس
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلم ، إني رأيت أسرا ، وسيكون خيرا ، رأيت
بني عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية^(٥) ، وكان وجوههم بدور اللجينة
وكان عمامتهم فوق الرجال ألوية ، وكان منطلقهم مطرؤ الوبل على المحل ؛
وإن الله إذا أراد أن يعمرك^(٦) غرس له غرسا ، وإن أولئك غرس الله ؛ فترقبوا ثمرته
وتوكلوا^(٧) غيثه ، وتقيتوا ظلالة ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به » . ولقد قرع
العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله
على المستتر ، وأهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ؛ وهذا
شئ فاش في العرب ، لطول وحدتها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيتها
وأعتدال هيتها ، وصحة فطرتها ، وخلاء ذرعها ، وأتقاد طبعها ، وسعة لغتها
وتصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وجولانها في اشتقاقاتها ، وما أخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تتمتع قراءتها . واستقامة الكلام تقتضي ما أثبتنا أو ما يفيد هذا المعنى .

(٢) متع النهار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) المحك : المنازعة والتماهي في اللجاج .

(٤) « يطبخ » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تقوم الرماح .

(٦) « أعمرا » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تتمتع قراءتهما بموسيقا

الكلام يقتضي ما أثبتنا . ومعنى « توكلوا غيثه » ارتقبوه وانتظروه .

البديمة في أستماعاتها ، وغرائب تصريفها في اختصاراتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصريجاتها ، وفنون تبجُّجها^(١) في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها^(٢) في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلمٌ لهم ، وموفرٌ عليهم ، ومعرفٌ فيهم ومنسوبٌ إليهم ، مع الشجاعة والتجدة والذمام^(٣) والصفاء والفطنة والخطابة والعصية والأتفة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاُّك في حب الثناء والنَّكَل^(٤) الشديد عن الذم والمجاء ؛ إلى غير ذلك مما خُصَّت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا شيء من هذه اللغات نصروع^(٥) العربية ، أعنى الفرج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي ندونها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تُجحد في أبيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم ، فألاحظ عرض^(٦) اللغات التي هو بين أشدها تلاسا وتداخلا ، وترادفا وتماخلا^(٧) وتعضدا وتعوضا^(٨) ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفا ، وأرق

(١) تبججها ، أى التامها .

(٢) « مقاربتها » .

(٣) « والذمام » .

(٤) النكل بالتحريك : لفة في النكول ، أى النكوس عن الشيء والتنجي عنه .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل مطبوسة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والعين .

(٦) « عرض » .

(٧) تماثل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماثل بين الكلام

أى لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وتعوضا » بالفاء والضاد ؛ ولم نجد من معاني التعويض ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه خطه على النص ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .

لفظاً ، وأخفُ اسماً ؛ وألطفُ أوزاناً^(١) ، وأحضرُ^(٢) عياناً ؛ وأحلى مخرجاً وأجلى منهجاً^(٣) وأعلى^(٤) مدرجاً ؛ وأعدلُ عدلاً ، وأوضحُ فضلاً ، وأصحَّ وصلاً إلى أن تنزل^(٥) إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنَّك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماص ، سرى^(٦) قليلاً قليلاً حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده^(٧) كلٌّ من كان صحيحَ البنية ، بريثاً من الآفة ، متنزّها عن الهوى والعصبيّة ، محباً للإنصاف في الخصومة^(٨) ، متحرّياً للحقّ في الحكومة ، غير مسترقّ^(٩) بالتقليد ، ولا مخدوع بالإلف ، ولا مسخرّ^(١٠) بالعادة ، وإني لأعجب كثيراً ممّن يرجع إلى فضل واسع ، وعلمٍ جامع ؛ وعقلٍ شديد ، وأدبٍ كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب أيضاً فضل عجب من الجيّهانيّ^(١١) في كتابه وهو يسبّ العرب ، ويتناول

(١) « أوزاناً » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عياناً : أنها شديدة الظهور .

(٣) « منهجكم » .

(٤) « ولعلا » .

(٥) « تترك » .

(٦) « سرى » ؛ والناء زيادة من الناسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الدال والماء . وسياق الكلام يقتضى لإبائها على هذا الوجه .

(٨) « الخصومية » .

(٩) في الأصل : « مستفرغاً » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرّناً » .

(١١) الجيّهاني : نسبة إلى جيّهان مدينة بخراسان . وقد شهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية ببخارى ، كان أديباً فاضلاً من الكتب كتاب آيين نامه وكتب أخرى ؛ وجيّهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان كذلك وزيراً للسامانيين . =

أعراضها ويحيط من أقدارها ، ويقول : يأكلون اليرابيع والضباب والجُرذان والحَيَّات ويتعاورون ^(١) ويتساورون ، وَيَتَهَاوُونَ ويتفاحشون ، وكأنَّهم قد سُلِّخوا من فضائل البَشَر ، ولبسوا أَهْبَ الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى يسمَّى ملك العرب : « سَكَّان شاه » ، أى ملك الكلاب . قال : وهذا ^(٢) لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئاب وأطلائها ^(٣) وكلاما كثيرا من هذا الصَّوب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أترأه لا يعلم لو نزل ^(٤) ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوى وتلك القياى والتوامى ، كل كسرى كان فى الفرس ، وكل قيصر كان فى الروم ، وكل بلهور ^(٥) كان بالهند ، وكل يقفور كان بخراسان ، وكل خاقان كان بالترك وكل أخشاد ^(٦) كان بفرغانة وكل صَبْهِيذ ^(٧) كان من أسكنان ^(٨) وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أديا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكليهما ياقوت . وقال ابن النديم فى الأخير : لمة من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ويصنفون فى نصرية الأتينية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتعاورون ، أى يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٣) أطلائها : أولادها .

(٤) فى الأصل : « كوثر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيبويه فى كتابه ، وفسره السيرافى .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان للوك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى بالله العباسى محمد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

(٧) فى الأصل : « شبه » بالثين ؛ وفيه تحريف وتعمس حرفين إذ لم نجد المعنى المناسب

فما راجعناه من معجمات اللغتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا ، فقد ورد فى شفاء الغليل أن صبهيد معناه الأمير ؛ وهو معرب ورد فى شعر جرير . وفى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة أن صبهيد بالفارسية معناه قائد العسكر وهو مركب من كلمتين « سبه » أى عسكر و « بد » أى صاحب .

(٨) لعله « أشكيشان » كما فى معجم البلدان ، وهى من قرى أصبهان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجبل وبلاد خوزستان .

ما كانوا يَعْدُونَ هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد ، وطِعم ما لحق^(١) ،
 وشَرِب ما قدَّر عليه ، حبَّ للحياة ، وطلباً للبقاء ، وجزعاً من الموت ، وهرباً من
 ألقناء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وَبَرَ^(٢) (وَبَار^(٣)) وسُفوح
 طيبة^(٤) ، ورَمَلٍ يَبْرِين وساحةَ هَبِير^(٥) ، وجاعٍ وعَطَشٍ وعَرِيٍّ ، أما كان
 يأكل اليزْبُوعَ والجُرْذَانِ ؛ وما كان يشرب بَوَّلَ الجِلِّ وماءَ البئر ، وما أَسَنَّ في
 تلك الوَهْدَاتِ ؟ أو ما كان يلبس البُرْجُدَ^(٦) والخَيْصَةَ^(٧) والسَّيْلَ^(٨) من الثياب
 وما هو دونه وأخشن ؟ بلى والله ، ويأكل حشرات الأرض ونبات الجبال ، وكلَّ
 ما حمض ومَرَّ ، وخُبثَ وضَرَّ ، هذا جَهْلٌ من قائله ، وخَيْفٌ من منتعِله ؛ على أن
 العرب — رحمك الله — أحسنُ الناس حالاً وعيشاً إذا جادتْهم السماء ، وصدقتْهم
 الأنواء^(٩) ؛ وأزدانت الأرض ، فهُدَّتْ الثمار ، وأطردت الأودية ، وكثر اللبن
 والأقط^(١٠) والجُبْن واللحم والرُّطْب والتَّمْر والقمح ، وقامت لهم الأسواق ، وطابت

(١) « بالحق » .

(٢) وبار : أرض واسعة ببلاد اليمن زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشحر
 إلى تخوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زرود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) الهبير : رمل قرب زرود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء
 ولم نَجده فيها راجعناه من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح
 للخباء وغيره .

(٦) الخيصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٧) السيل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع
 نجم بحاله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضبف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه
 الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يتخذ من الخبيض الفنى يطبخ ثم يترك حتى يعصل . وقيل : من
 لبن الحليب .

المزايح وفشا الخصب ، وتَوَالَى التَّنَاج ، وأَتَصَلَّت الميرة ، وصدق المصاب ^(١) وأَرْفَعَ ^(٢) المنتجع ، وتَلَاقت القبائل على المحاضر ^(٣) ، وتَقَاوَلُوا ^(٤) وتضايفوا ، وتعاقدوا وتعاهدوا ، وتزاوروا وتناشدوا ؛ وعقدوا الذمم ، ونطقوا بالحكم ؛ وقرروا الطُّرُقَاتِ ووصَلُوا العُفَاةَ ، وزَوَّدُوا السَّالِبَةَ ، وأرشدوا الضَّالَّ ، وقاموا بالَحَمَّالَاتِ ^(٥) وفكَّروا الأَسْرَى ، وتَدَاعَوْا ^(٦) الجَفَلَى ، وتعاَفُوا النَّقْرَى ، وتَنَافَسُوا في أَفْصَالِ المعروف ؛ هذا وهم في مساقط رهوسهم ، بين جبالهم ورمالهم ، ومناشئ آبائهم وأجدادهم ، ومَوَالِدِ أهلهم وأولادهم ، على جاهليتهم الأولى والثانية ، وقد رأيت حين هَبَّتْ رِيحُهُمْ وأُشْرِقَتْ دولتهم بالدعوة ، وأنتشرت دعوتهم بالملَّة ، وعزَّتْ ملَّتْهم بالنبوة ، وغَلَبَتْ نبوتهم بالشرعية ، ورسخت شريعتهم بالخلافة ، ونُصِّرَتْ خُلافتهم بالسياسة الدينية والدنيوية ، كيف تحوَّلت جميع محاسن الأمم إليهم وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم من غير أن طلبوها وكَدَّحُوا ^(٧) في حيازتها أو تعبوا في نيلها ، بل جاءتهم ^(٨) هذه المناقبُ والمفاخرُ ، وهذه النوادرُ من المآثر عفوا ^(٩) ، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوا رهوا ^(١٠) ؛ وهكذا يكون كلُّ شيء .

(١) المصاب : المقصد . يريد المكان الذي يقصدونه للالتجاع ، من صاب يصوب إذا قصد .

(٢) أرفع له العاش : وسعه .

(٣) المحاضر : المناهل ، لحضور القبائل واجتماعها عليها ، الواحد محضر بفتح الميم والضاد .

(٤) « وتقاوَلُوا » بالفتح والزاي ؛ وهو تصحيف .

(٥) الحَمَّالَات بفتح الحاء : الديات والفرامات يحملها قوم عن قوم .

(٦) تداعوا الجفلى ، أى دعا بعضهم بعضا إلى الطعام دعوة عامة لا تخصيص فيها .

والنقري : الدعوة الخاصة ، قال طرفة : (نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر) وتعاَفُوا أى كرهوا ، من عاف المنيء يافه .

(٧) « وقدحوا » بالقاف .

(٨) « جلتهم » .

(٩) « حقوا » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(١٠) سهوا رهوا ، أى عفوا بلام مشقة . يقال : آناه هذا الأمر سهوا رهوا ، أى في سهولة ورفق .

تولاه الله بتوفيقه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّ مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدّل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . والله في خلقه أسرار ، تتصرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذلّلها تجارى الأقدار ، حتى يُنتهى بمحبوبها ومكروهها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محودا مقصودا . وبعد ، فالنبي لا شك فيه من وصف العرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيلٌ من الناس ينزلون القفر ، وينتجعون السحابَ والقَطَرُ ؛ ويعالجون الإبلَ والخيولَ والنعم وغيرها ، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عندها ، وبكلّ ما قلّ وكثُر ، وبكلّ ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صَوْبِهَا^(١) ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الألوان بعد الألوان ، وثقة بالحال بعد الحال وتبصرة فيما يُفعل ويُجتنب ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخِصْبِ والجَدْبِ ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحابِ الكاذبة ، والمخايلِ الصادقة ، والأنواء المحمودّة والمذمومة ، والأسباب القريبة العجيبة .

وهذا لأنهم مع توحّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد اجتمع لهم من عادات الحضرة أحسنّ العادات ، ومن أخلاق البادية أطهرُ الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدّمه أصحاب المَدُن وأربابُ الحَضَر ، لأن الدناءة والرّقّة والكَيْسَ والهُيْنَ والخَلابة والخداع والخيلة والمكر والخبّ تغليب

(١) « صوتها » بالهاء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتمليكمهم ، لأن مدار أمرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس^(١) ، والخلف في الوعد .

- (٤) والعرب قد قدّسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجبّلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تجد أحدهم وهو في بَتٍّ^(٢) حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالحمدة ، وينتحل النجدة ، ويحتمل الكلّ^(٣) ، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : * أحذثه إن الحديث من القرى * ثم لا يقنع ببيت الشرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحضّ الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهض نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشى في سَمَلٍ^(٤) : أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ فقال : أمشى الخيزَلَى^(٥) ويكفيني حسبي . والفارسي لا يحسن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المعنى ولا يحلم بهذه اللطيفة ؛ وكذلك الرومي والمهندي وغيرهما من جميع العجم .

- (٥) ومما يدل على تحضرهم في باديتهم ، وتبديهم في تحضرهم ، وتحليلهم بأشرف أحوال الأسرى ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة^(٦) الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والتاء زيادة من النسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من النسخ . والبت : كساء غليظ من صوف

أو وبر .

(٣) الكل : الضعيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يمتون الضعفاء الذين لا يستطيعون الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الختلى » وهو تصحيف . والخيزلى : مشية فيها تتأقل وانكسار ، كالخوزلى .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى وبينها وبين دمشق

سبع مراحل ، وكانت منازل لكثافة من كلب .

كلب^(١) وهي النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناس أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ؛ وكان يمشرون أكبر^(٢) دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيمشرون^(٣) بمض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر^(٤) ، وهو المشقر^(٥) في شهر ربيع الآخر^(٦) ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يمشرون المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم ، ثم يرتحلون نحو عمان^(٧) ، فتقوم سوقهم بديار دبا^(٨) ، ثم بصحار^(٩) ، ثم يرتحلون فينزلون إرم^(١٠) ، وقرى الشعر^(١١) فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرتحلون فينزلون عدن أبين ، ومن سوق عدن تشتري اللطائم^(١٢) وأنواع الطيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيبا ، ولا أحذق صناعا للطيب من عدن ؛ ثم يرتحلون فينزلون الراية من حضرموت ، ومنهم من

(١) في الأصل : « كليب » والماء زيادة من النسخ .

(٢) أكبر ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يمشرون ، أى يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت : وهو الصواب .

(٥) المشقر : حصن بالبحرين قديم كان لعبد القيس على حصنا لهم آخر يقال له : الصفا قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت تقوم في أول يوم من جادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهي في شرق هجر .

(٨) في الأصل : « دبا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديما قصبه عمان » .

(٩) صحار : بلدة بعمان كانت فيما مضى قصبه هذه الكورة ، وهي على البحر وتلى الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما في كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الشعر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان .

(١٢) اللطائم : نوافج المسك ، أى سرره ، الواحد لطيمة .

يمجوزها ويرد صنعاء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تُجلب آلة الخرز والأدم والبرود ، وكانت تُجلب إليها من معافر^(١) ، وهي معدن البرود والخبر^(٢) ثم يرحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون ، ومن له أسير يسعى فى فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ؛ ثم يقفون بعرفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد . هذا حديثهم ، وهم همّل لا عنّ لهم إلا بالسودد ، ولا معقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخليل ، ولا غفر إلا بالبلاغة .

- (٦) ثم لما ملكوا الدور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يقعدوا عن شأو^(٣) من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شئ كان لهم ؛ بل أبرؤا عليهم وزادوا ، وأغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لمجاهده^(٤) ومنكره دليل .

فليستخى الجيهانى^(٥) بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإنصاف من القذع والسفّه اللذين حشا بهما كتابه ، وليرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكّام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المسكين ؛ لا يسلط

(١) فى الأصل : « معافر » والباء زيادة من الناسخ . ومعافر : مغلاف باليمن تنسب إليه الثياب المعافرية .

(٢) فى الأصل : « والخبر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا : شا « و » والصواب ما أثبتنا .

(٤) « مجاهدة » ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « الجانى » .

خصه على عرضه بلسانه ، ولا يستدعى مرّ الجواب بتعرضه ويرضى بالميسور في غالب أمره ؛ فإن المصيبة في الحق ربما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأبدت عورته ، واجتلبت مساءته ^(١) ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونعوذ بالله أن نكون لفضل أمة من الأمم جاحدين ، كما نعوذ به أن نكون بنقص أمة من الأمم جاهلين . فإن جاحد الحق يدل من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدل من نفسه على قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة المسلمة ، والدعوة المرسلّة ، أن أهل البرّ وأصحاب الصّحارى الذين وطّأهم الأرض ، وغطّأهم السماء ، هم في السدد أكثر وعلى بسيط الأرض أجول ، ومن الترفّه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوة أعلّق وإلى التكرّة والفتنة أفرّغ ^(٢) ، وعلى المصالح والمنافع أوقع ، ومن التخازى آنف وللقبائح أعيف ؛ وهذا للدواعى الظاهرة ، والحاجات ^(٣) الضرورية ، والملائق الخاصة ^(٤) على الألفة والمودة ، والشدائد المؤذية ، والموارض اللازمة ^(٥) ؛ ولهذا يقال : عيب الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ؛ وهذا معنى كريم ، لا يُقرّ به إلا كل نقاب عليم .

(٧) وقال الجيهاني أيضا : مما يدل على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلو مكاننا ، أن الله أفاض علينا النعم ، ووسّع لدينا القسّم وبوّأنا الجنان والأرياف ، ونعمنا وأثرّفنا . ولم يفعل هذا بالعرب ، بل أشقاهم ^(٦) وعذبهم ، وضيق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أفرع » .

(٣) في الأصل : « وإلى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الحاضرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازمة ، أى الناجية الشديدة .

(٦) « سقام » .

وَجَمَعَهُمْ فِي جَزِيرَةِ حَرَجَةٍ ، وَرُقْمَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَسَقَامٍ^(١) بَارْتَقَ ضَاخٍ ؛ وَبِهَذَا يُعَمَّ أَنْ الْخُصُوصَ بِالنِّعْمَةِ وَالْمَقْصُودَ بِالْكَرَامَةِ فَوْقَ الْمَقْصُودِ بِالْإِهَانَةِ .

فَأُطَالُ هَذَا الْبَابَ بِمَا ظَنُّ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ لَا جَوَابَ عَنْهُ ، وَلَا مُقَابِلَ لَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لَمَّا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ وَتَجَلَّى لَهُ ، بَلْ قَدْ خَصَّتِ الْعَرَبُ بَعْدَ هَذَا بِأَشْيَاءٍ تَطُولُ حَسْرَةُ^(٢) مَنْ قَاتَنَتْ عَلَيْهَا ، وَلَا يَفِيدُ أَلْفَاتُهُ بِالْفَيْظِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ دَلَّ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالنِّعْمَةِ ، غَافِلٌ عَمَّا هُوَ سِرُّ الْحِكْمَةِ .

وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا لَبَسَ الثَّوْبَ النَّاعِمَ ، وَأَكَلَ الْخُبْزَ الْخَوَّارِيَّ^(٣) وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَتَقَلَّبَ عَلَى الْحَشِيَّةِ ، وَشَرِبَ الرِّحِيقَ ، وَبَاشَرَ الْحَسَنَاءَ ، هُوَ أَشْرَفُ مِنَ الْعَالِمِ إِذَا لَبَسَ الْأَطْيَارَ ، وَطَعِمَ الْعُشْبَ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَتَوَسَّدَ الْأَرْضَ ، وَقَنَّعَ بِالْيَسِيرِ وَرَخِيَ الْعَيْشَ ، وَسَلَا عَنْ الْفُضُولِ ؛ هَذَا خَطَأٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَرْدُودٌ مِنَ الْحُكْمِ ، عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا ، ثُمَّ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحِجَابِ ، وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالنُّهْيِ ؛ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ أَيْضًا أَنَّ الْبَصِيرَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَعْمَى ، وَالْفَنَى أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ .

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي مَنَ حُرْمُهُ فَهُوَ أَنْقَصُ مِنْ كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعَلَى الدِّينِ الَّذِي مِنْ عَرَى مِنْهُ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ كُلِّ مُوسِرٍ ؛ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى صُرِيِّينَ : أَحَدُ الضَّرْبَيْنِ عَمَّ بِهِ عِبَادَهُ ، وَغَمَرُ بَفَضْلِهِ خَلِيقَتَهُ ، بَدَأَ بِهَا أَسْتَحْقَاقَ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ وَرَزَقَ وَكَفَلَ وَحَفِظَ وَنَعَشَ وَكَلَأَ وَحَرَسَ وَأَمَهَّلَ وَأَفْضَلَ وَوَهَّبَ وَأَجْزَلَ ؛ وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ الْمَخْلُوطُ بِالْإِحْسَانِ ، وَالتَّسْوِيَةُ الْمَعْمُومَةُ بِالتَّفَضُّلِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ سَاقِطًا مِنْهَا الْحَرْفُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ الْفَافُ ، وَأَرْتَقَ ، أَيْ أَكْدَرَ مِنْ رَتَقِ الْمَاءِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَفَرَحَ إِذَا كْدَرَ . وَضَاحٌ ، أَيْ مَتَرَضٌ لِلشَّمْسِ .

(٢) « حَرَهُ » .

(٣) الْخَوَّارِيُّ : لِبَابِ الدَّقِيقِ وَخَالِصِهِ .

والقدرةُ المشتملةُ على الحكمة ؛ والضرب الثاني هو الذي يُستحقّ بالعمل والأجتهاد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا حَرَّمَ العاميَ الخائف ، وأثال الطائع للوافق ؛ فقد بان الآن أن المدار ليس بالجنان والترفة ، ولا بالذهب والفضة ، ولا الوبر والتدر .

وقد مر^(١) هذا الكلام كله فليَسْكُن من الجَهانيِّ جأشه ، وليفارق طيشه ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسلم الفضل لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفعة والترفع بالباطل ضمة^(٢) .

(٨) وهما بقيّة ينبغي أن يُتبصّر فيها ؛ من عَرَف النقص البحت ، والنقص المشوب بالزيادة ؛ والفضل الصّرف ، والفضل المزوج بالنقيصة لم يَجِدْ بالهوى الثغوى فضلاً ، ولم يدّعِ للمصيبة المردية شرفاً ، ولم يُنكِر بالحسد مزية ؛ والخلق كلُّهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديهم مغسوسون وبمواهبه متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكمته مخبرون ، ولآلائه ذاكرون ، ولنعمائه شاكرون ، ولأياديهم ناشرون ، وعلى اختلاف قضائه صابرون ، ولثوابه بالحسنات مستحقّون ، ولعقابه بالسيئات مستوجبون ، ولعفوه برحمته منتظرون ، والله خيرٌ بما يعملون ، وبصير بما يُسرون وما يُعلنون مع الجماعة ، وأبو سليمان يقول : القرب^(٣) أذهب مع صفو العقل ؛ ولذلك هم^(٤) بذكر المحاسن أبده ، وعن أصدادها أنزه . ولو كانت رويّتهم في وزن بديّتهم ، كان الكمال ؛ ولكن لما عزّ الكمالُ فيهم ، عزّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضمة » .

(٣) « كقرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا^(١) في غيرهم من الأمم ، فالأُم كلها شرعٌ واحد في عدم الكمال إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخلق الأول ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا الموضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسان في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدِّدْ طَرَفَكَ ، وأَكْحِلْ عَيْنَكَ ، ومُدِّ^(٢) ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَن ، في هذا الزَّفَاقِ حتى تدخل ، وتَقَاصِرْ حتى تصل ؛ وأما ما لم يُمنعهُ الإنسان في الأول ، بل أُعْطِيَهِ وَوُهِبَ لَهُ ، فهو فيه مَطْلَبٌ بما عليه وله كما أنه مطالب بما له وعليه .

وقال الجبّهاني أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقي^(١) ولا كتاب الفلاحة ، ولا الطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فلْيَعْلَمْ الْجَبّهَانِيُّ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَنْوَعْ إِلَهِيَّ لَا بِنَوْعِ بَشَرِيٍّ ، كَمَا أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَغَيْرِهِمْ بِنَوْعِ بَشَرِيٍّ لَا بِنَوْعِ إِلَهِيٍّ ، وَأَعْنَى بِالْإِلَهِيِّ وَالْبَشَرِيِّ الطَّبَاعِيَّ وَالصَّنَاعِيَّ ؛ عَلَى أَنَّ إِلَهِيَّ^(٣) هَؤُلَاءِ قَدْ مَازَجَهُ بَشَرِيٌّ هَؤُلَاءِ ، وَبَشَرِيٌّ هَؤُلَاءِ قَدْ شَابَهُ إِلَهِيٌّ هَؤُلَاءِ ؛ وَلَوْ عَلِمَ هَذَا الزَّارِي لَعَلِمَ أَنَّ الْمَجْسطَى وَمَا ذَكَرَهُ لَيْسَ لِلْفُرسِ أَيْضًا ، وَمَا عِنْدِي أَنَّهُ مُكَابِرٌ قَيِّدَعِي هَذَا لَمْ . فَإِنْ قَالَ : هُوَ لِلْيُونَانِ ، وَيُونَانُ مِنَ الْعَجَمِ ، وَالْفُرسُ مِنَ الْعَجَمِ ، فَأَنَا أُخْرِجُ^(٤) هَذِهِ الْفَضِيلَةَ مِنَ الْعَجَمِ إِلَى الْعَجَمِ هَذَا مِنْهُ حَتْفٌ عَلَى نَفْسِهِ ، وَشَهَادَةٌ عَلَى تَقْصِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ فَاخَرَ يُونَانَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ

(١) رسمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عزا يضا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالفتح ؛ وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « للهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .

يدعى هذا للفُرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضا عجم ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجعة إلينا . ومتى قال جُبِهَ ^(١) بالمكروه وقوبل بالقُدْع ^(٢) ، وقيل له : صه ، ^(٣) كما يقال للجاهل — إن لم تقل له : « أخسأ » ، كما يقال — في كل ^(٤) الأحاديث ، وإن أغفلته ^(٥) ظلمتُ نفسي ؛ ومن حابي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروزي ^(٦) : لو كانت الفضائل كلها بمقدِّها وسمِّعها ، ونظَّمها ونثرها ، مجموعة للفُرس ، ومصبوبة على أروسهم ، ومعلقة بأذانهم ، وظالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يخرسوا عن دِقِّها وجِبِّها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ، وضعيف بالسَّماع ، ومردود عند كل ذى فِطْرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جِبَّة ^(٧) معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا بإذن من الله تعالى ، وبشرية أتت من عند الله ، والله تعالى حرَّم الخبائث من المطاعم فكيف حلَّ ^(٨) الخبائث من المنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) القُدْع : الشتم والرمى بالفحش وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » وهى زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا يستقيم معناه .

(٥) « أغفلته » بالعين والقاف ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن بشر البصرى المروزي ، كان عالما بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان بحرا يتدفق حفظا للسير ، وقياما بالأخبار ، واستنباطا للعاني ، وثباتا على الجدل وصبرا في الخصام » . وكان يقول فيه : « إنه أنبل من رأيته في عصرى » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضى إثبات ما يفيد معنى الجلبة كما أثبتنا وإن كان بعيدا عن الرسم الموجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مُبَلِّغ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة التلك الذي قبل ذلك منه وحمل الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإلّهين اثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمُحَقِّق والباطل للمُبْطِل ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائما عند أهل الكتابين ، أعنى اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يذكرها ويذكر غيرها ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى^(١) لكنني بُعِثْتُ ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصى الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وهي فرقومه ، وإلى حرام بللعل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أُتْرِزِيَ الفحل منها على أمه لم يطاوع ، وإذا أُكْرِهَ وَخُدِعَ وَعَرِفَ غضب على أهله وَنَدَّ عنهم ، وَشَرَّرَ عليهم ؛ فما تقول في خُلِقَ لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه^(٢) فيه الطبيعة ، بل ياباه حسه مع كُؤُلِهِ^(٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه النقط كلام ساقط من الأصل فيما يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أى تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تعريف .

وتبرّد شهوته مع اشتغالها ، ويرضاه هؤلاء القوم مع عُجْبِهِمْ بمقولهم ، وكِبَرِهِمْ في أنفسهم .

ولو كان زرادشت أقام لهم على هذه الحَصَلة اللّثيمة والفَعْلة الذميمة كلّ آية وكلّ برهان ، ونثر عليهم نجومَ السماء ، وأطْلَعَ لهم الشمس من المغرب ، وفَتَتْ لهم الجبال ، وغَيِّضَ لهم البحار ، وأَرَامَ الثَّرْيَا تَمْشِي على الأرض تَخْتَرِقُ السَّكَّكَ وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل والنَّيْرةِ وبالْحَمِيَّةِ وبالأَنَفَةِ وبالتَقَرُّزِ وبالتَعَرُّزِ ألاَّ يَجْبِيوه إلى ذلك ، ويشْكُوا في كل آية يرون منه ، ويقتلوه ، ويُنَكِّلُوا به .

ولكن يمثّل هذا العقل قبلوا من مَزْدَكْ ما قبلوه مرّة ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحدا ، ولا كان الحق إلا منصورا ، ولا كان الباطل إلا مقهورا ، ولكن اتَّفَقَ على مَزْدَكْ ملك عاقل فَوَضَعَ باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فَرَفَعَ باطله ؛ وما نَزَعَ الله عنهم الملك إلا بالحق ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) . ثم قال : وبعد ، فكلّ شيء خارج من الحكمة الإلهية والمقلّية والطبيعية فهو ساقطٌ بهَرَج ، ومردودٌ مرذول ، إذا فعله جاهل عُذِرَ بالجهل ، وإذا أتاه عالم عُذِلَ للعلم .

قال : وكانت العرب بهذا الخُلُقِ الذميمة ، وهذا الفعل اللثيم ، لو فعلته أعذّر ، لأنهم أشدّ غُلْمَةً من غيرهم وأكثرُ تَهَيُّجًا ، وأقوى على البضاع ، وأوثبُ على النساء يدلك على هذا غَزَلُهُمْ وعشْقُهُمْ ونظْمُهُمْ ونثرهم وفراغُهُمْ وشهوتُهُمْ ، وتَرام مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه ، ولو أكرههم على هذا مكره ودعاهم إليه داع لما أطلعوه ، ولذلك لم يَنْجُم منهم ناجم بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أولَ مَنْ دُقَّ رأسُه بالصَّعد ، ويُبيح بطئه بالخنجِر ؛ وما منعهم من هذا إلا الأُنس الكريمة ، والطباع المعتدلة ، والشكائم الشديدة ، والأرواح العيِّفة ، والعادات الرضيّة ، والضرائب الطيّبة ؛ وكان وأد البنات عندهم أنقى للتعابير ، وأطرَدَ للقبائح من هذا الَّذي أُستحسسه زرادشت وقيل منه الفُرس ، وهم يدعون الحُكم والعلم والعزم والعزم ، ولقرط جهلهم وغلبة شهوتهم غفلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حاضرا ، أو مطلقا أو مانعا ، أو محلا أو محرّما ؛ هيات ما كلف الله أهل العقل القيام بالدين والتصفّح للحق^(١) من الباطل إلا لما شرفهم به في العاجل ، وعرضهم له في الآجل ؛ والمأقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصارى^(٢) — وكان حاضرا — الهند أوضح عذرا في هذا الحديث لأنهم جعلوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه الخديعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أستجازوا الكذب عليه ، ولا علقوه أيضا على نبي من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع^(٣) ثم طابت أنفسهم من هذا الفعل بالمران والمادة . وبعد ؛ فمقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم إلى الإفك^(٤) والوهم والسحر أميل ، وفي أبوابها أدخل ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر إلى جهل زرادشت في هذا الحُكم وإلى ضعف عقول الفُرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالباء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كذا بالأصل ولله الأنطاكى ، فإننا لم نجد فيها بين أيدينا من الكتب من يلقب بالأنصارى . وأبو الحسن الأنطاكى هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ، وكان مهندسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات بغداد سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

العمل ، وخيّرَ بينها وبين عقول العرب ، فإنهم قالوا : « اغتربوا لا تُضَوُّوا »^(١) .
 وأستفاض هذا منهم حتى سُمِعَ من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، وذلك
 أن الضوى مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقراءتهم الصافية ، وأذهانهم
 الواقذة ، وطينتهم الحرة ، وأعراقهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة : وإنما شعروا
 بهذا لأن الضوى الواصل إلى الأبدان هو سارٍ في العقول ، ولكن الفرس عن
 هذا السر غافلون ، ولا يفطن لهذا وأمثاله إلا الأملعيون الأحوذيتون^(٢) ؛ ثم قال :
 أنشد الأحمى عن العرب قولَ قائلهم في مدح صاحب له :

فنى لم تلده بنت عمٍ قريبةً قيصوى وقد يصوى رديد الأقارب
 قال : وقالت العرب : « أضواء حقّه » : إذا نقصه . قال : وقال آخر لولده :
 والله لقد كفيبتك الضؤولة ، وأخترت لك الخؤولة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من
 القرائب » وقال الشاعر :

أنذرت من كان بعيد المم تزويج أولاد بنات المم
 ليس بناج من ضوى أو سقم وأنت إن أطعمته لا ينبي
 وقال الأمدى يفتخر :

ولست^(٣) بضوى تموج عظامه ولادته في خالد بمد خالد
 تردد^(٤) حتى عمه خال أمه إلى نسب أدنى من السرواحد

(١) اغتربوا لا تضووا ، أى تزوجوا في بباد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادكم
 أى تنحف وتضعف .

(٢) الأحوذى : الحاذق المشر للأمر القاهر لها لا يشذ عليه شيء . وفى الأساس :
 « رجل أحوذى » : يسوق الأمور أحسن مساق لعله بها .

(٣) فى الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الفخر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « تردده » والماء زيادة من الناسج .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا نقص الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة . ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات ^(١) زكت الأرض ، لأنَّ الرياح إذا اختلفت حوّلت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغتراب يؤثر من التراب إلى التراب ، فبالحرى ^(٢) أن يؤثر ^(٣) الإنسان في الإنسان بالأغتراب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فإظنك بقوم يجهلون آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة ^(٤) ؟ ما أذلهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظالما ، ولا ضربهم بالحرى والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والكابرة ، وما الله بظلام للعبيد .

فلما بلغ القول مداه قال ^(٥) : الله ^(٦) [دَرُّ] ^(٧) هذا النفس الطويل والنفس ^(٨) الغزير ! لقد كنت قَرِّما إلى هذا النوع من الكلام ، ففرغ فسك لرسمه في جزء لأنظر فيه ، وأشرب النفس حلاوته ، وأستنتج العقيم منه ؛ فإنَّ الكلام إذا مرَّ بالسمع خلّق ، وإذا شارفَ البصر بالقراءة من كتاب أَسَفٌ ؛ والمحلق بعيد التمثال ، والمُسِفٌ حاضر العين ، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) المؤتفكات : الرياح التي تقلب الأرض ؛ أو التي تختلف مهابها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله : « المريعة » قوله « من المريعة » وهي زيادة من

الناسخ لا تتسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطموسان ؛ وسباق الجملة يختص ما أثبتنا .

تذكر منه الشيء بعد الشيء باليوم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا مرجح عليه . فقلت : أفضل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، فقيم كنتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهوبها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد ، والأخرى هنل ؛ ألا ترى أن التشادق والتفيهق والكذب والخداع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحساب والتحصيل والأستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعة معروفة بالمبدأ ، موصولة بالناية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرفة وحيلة ، وهي شبيهة بالشراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسرقَعون ويُستَحْمَقون ؛ وكان الكتاب قديما في دُور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة المنشئين ، وحقاقه المعلمين ، وركاكة النحويين ، والمنشئ والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلات ؛ والآفة تشملهم والمادة تجمعهم ، والنقص يفرهم ، وإن اختلفت منازلهم ، وتباينت أحوالهم قال : ولولم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن للملكة العريضة الواسعة يُكتفى فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتفى فيها بمائة كاتب حساب (١) وإذا كانت الحاجة إلى هذه أَمَس ، كانت الأخرى في نفسها أخص ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » للمعلم ، أي لكن كتابة الحساب غرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هذا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه الجديلة^(١) والوتيرة يجري الصغار والكبار والعليّة والسفلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحثون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلّم الحساب ، ويقولون لهم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأقبح غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّفون بالريبة ، ويُرمون بالآفة ، كآل الحسن بن^(٢) وهب وآل ابن ثوبة . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

- (٢) قلتُ : ما قام من مجلسه إلا بعد النلّ والقماء ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وأنتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحق وزرى على الحق . قلت : أيّها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنةً من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة^(٣) . فأنا وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومشمّلة عليها وحاجية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا^(٤) تعلم أن أعمال

(١) الجديلة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جديلته ، أى على شاكلته .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الهيثم بن ثوبة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقد حبس حتى مات في حبسه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه وللسلطان . ويقال : إنه احتال على قتله خفية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استثمار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « إلا أن تعلم » « وأن » زيادة من الناسخ .

الدواوين التي يتفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاملونه ؛ بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان المكشوف والأحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكاتب المنشئ الذي عبته وعرضته ^(١) ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان الفس ^(٢) ، وديوان النقد والعيار ودور الضرب ، وديوان النظام وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين ^(٣) والمؤامرات ، وباب النوادر ^(٤) والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبل وبعد ، كما ^(٥) يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال ^(٦) حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها ، فلا يمكنه ^(٧) أن يجي ^(٨) إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة واللطائف المستعملة ، ومن تلك الوجوه التي ، وهو أرض القنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عبته بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « الفس » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالفس : فس - الكتب المختومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقايض ويستخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٢٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « التقادير » أي تقادير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « فا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من الناسخ ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله جدد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » . والسياق يقتضي زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجي » .

وجزية رؤوس أهل الذمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماس الفنائم والمعادن والركاز^(١) والمال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالماشر^(٢) والألقطة والضالة وميراث من لا وارث له ومال^(٣) الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية ، كعهد يُنشأ في إصلاح البريد وتقسيط الشرب ، وكتاب في العبارة وإعادة ما نقص منها ، وفي^(٤) حَزْرِ الفلّة^(٥) والدياس^(٦) ، وفي الدوالي والدواليب والفرافات ، وفي القلب والقسمة ، وفي تقدير الخضر^(٧) للبكرة وفي المساحة وفي الطراز^(٨) ، وفي الجوالي^(٩) ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي افتتاح الخزاجات ، إلى غير ذلك من كُتُب^(١٠) الحاسبين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهت ، لأن مدار المال ودوره ، وزيادته ووموره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظّ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لأسمه مستحقا ، إلا بعد أن ينهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) الماشر ، هو الذي يأخذ منهم عشر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » بفتح واو العطف ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) في الأصل « حرز العلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الحنطة ؛ دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : مقسم الماء في النهر كما ذكره . صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : البرقات والزرقات .

(٩) يريد بالجوالي : مال الجوالي ، وهو الجزية المضروبة على أهل الذمة ، والجوالي هم الذين جلوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .

بهذه الأتقال ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخلوطة ^(١) بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سمته ^(٢) فيها ، وأخباراً كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عُدّة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيات النادرة ؛ والفقر البديعة ؛ والتجارب المهودة ، والمجالس للشهود ، مع خطّ كتبر مسبوك ، ولفظ كوشى تحوك ؛ ولهذا عنّ الكمال في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نظنّ أنّه أجمع هذا كله إلّا الجعفر بن يحيى فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سحباتية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ^(٣) ، وشمائله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أن البليغ مُستلّ بلاغته من العقل ، ومأخذه فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [قلو ^(٤)] ظنّ ظانّ بأن مدار الملك على الحساب — [فهو ^(٥)] صحيح — ولكن بعد بلاغة للنشئ ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلاطف ويخاطب ويحتج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمنّى ويعلق الأمل ويؤكد الرجاء ويحسم المادّة الضاربة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويجنبهم مرارة الجور ، ثم يجي ، فإذا جى احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالماً ، ثمّ يتقدّم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمناً ، فانظر إلى المزلتين كيف أختلفتا ؟ وكيف حصلت المزية لإحدهما ؟ ولو أنصفت لعلت أن الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتى إلى صناعة فيشقّها نصفين ويشرّف ^(٥) أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخلوطة » .

(٢) إلى سمته فيها ، أى إلى تبره في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم ليستا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتهما أو

إثبات ما يؤدّى معناهما .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزل والأخرى جد » فبئسما سَوَّلَتْ لك نفسك على البلاغة ، هي الجد ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقِّق الحقَّ وتُبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمرُ عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحقِّ لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشرٍّ ، وإباء وإذعان ، وطاعة وعصيان ، وعدل وعدول^(١) ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدُّ العقل والآخر حدُّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ » فقد خَرَفْتَ^(٢) ، لأنَّ مبدأها من العقل ، وممرُّها على اللفظ ، وقرارها في الخط ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دَلَلْتَ من نفسك على أنه ليس لك [ما]^(٣) تبصر^(٤) به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوَّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرفة وهي شبيهة بالسراب » فقد أَوْضَحْنَا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فانت محتاج إلى يئنة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسْتَرْقَعُونَ » فهذا شَنَعٌ من القول ، ولو عرفتَ الصِّدْقَ^(٥) فيه لم تَنَبِّسْ به ولم تنطق بحرف منه ، فإن فيه زِرايةً على الساف الصالح والصدر الأوَّل ، ولو وجب أن يُسْتَرْقَعَ البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُسْتَعْقَلَ العيى^(٦) إذا كان أحمق ؛ وهذا خُلْفٌ .

(١) يريد بالدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) صدقت .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) تنصر .

(٥) الصرف .

(٦) النقي .

وأما قولك : « المنشئ والعلم والنحو إخوة في الركابة » فإيتعلم الناس إلا من العلم والعالم والنحو وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .

وأما قولك : « إن الملكة تكتفي بمنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد في قوته يفي بأحاد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس في جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لالك . لكن بقي أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما تحتاج إلى المطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من المطار ، والمطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحثون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : « هوسلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات يحتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشئ والحرر ، لأنه لسانه الذي به ينطق ، وعينه التي بها يبصر ، وعيته التي منها يستخرج الرأي ويستبصر في الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والمحدث بالمكنونات ، والمفضي إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأفهم غيره فقد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا الرأي ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ ولقد قال رجل بالرمي كان نبيلاً في حاله جليلاً في مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقمد حتى تنغذي بنا » . وهو يريد : « حتى تنغذي معنا » ؛ فأُنظر إلى هذا المُحال الذي ركبهُ بلفظه

وإلى المراد الذى جانتبه بجملة ؛ ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلاً بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوةها ؛ فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يُقِلُّها ويُثقل غيرها ؛ وهذا أمر بديع وشأن عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتنا أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالسيب » فهذا ما لا يستحق الجواب ، وما يضرّ الشمس نباح الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقوم من قِدَحٍ لَوُجِدَ له غامر . وآل ابن وهب وابن ثوبة كانوا أنبل وأفضل وأعقل من أن يُظنّ بهم ما لا يُظنّ بخساس العبيد وسفهاء الناس ودأصة^(١) الرعية وسفلة العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلا فى مجلس ابن عباد ، منه وممن كان يحيط^(٢) فى هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم فى صناعتهم يعمته على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالمعجب أنه يظن أن كذبه على غيره ينفى الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه^(٣) لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوتّه لكان أولى به وأزین له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمَتَا عقلا سائسا وحزما حارسا مودينا متينا وطريقا قويا أوردتا ولم تُصدرا وَخَذَلَتَا ولم تَنْصُرَا ؛ ونعود بالله من نعمة تَحَوُّرُ بلاء ، ومرحبا ببلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما تقص من التقصير ؛ ولكن مَنْ هذا الذى يَشْرَبُ فلا يَسْكُرُ ولا يَشْمَلُ ؟ ومن هذا الذى اذا سَكِرَ عَقَلَ ؟ ومن هذا الذى إذا سَجَا لا يعتقب من شرايه تُمارا يصدع الراس ويمكن الوسواس ؟

(١) الدأصة : الخساس الجبناء . والصورس أيضا .

(٢) فى الأصل : « يحيط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) كلمة .

فقال : هذه جملة قائمة لمن أدعى دعواه أو نحا منحاها ؛ وأنى لك هذا ؟
 لِمَ لَا تُدَاخِلُ صَاحِبَ دِيْوَانٍ وَلِمَ تَرْضَى لِنَفْسِكَ بِهَذَا اللَّبُوسِ ؟ فقلتُ :
 « أنا رجلٌ حُبُّ السَّلامَةِ غَالِبٌ عَلَيَّ ، والقناعةُ بالطَّيفِ محبوبَةٌ عِنْدِي » .
 فقال : كُنَيْتَ عَنِ الْكُسْلِ بِحُبِّ السَّلامَةِ ، وعن الفُسُولَةِ بِالرَّضَا بِالْيَسِيرِ .
 قلتُ : إِذَا كُنَيْتُ لَا أَصِلُ إِلَى السَّلامَةِ إِلَّا بِالْفُسُولَةِ ، وَلَا أَتَحْتَمُّ الرَّاحَةَ إِلَّا
 بِالْكُسْلِ ، فَرَحِبَا بِهِمَا .

فقال : لِكُلِّ إِنْسَانٍ رَأْيٌ وَأَخْتِيَارٌ وَعَادَةٌ وَمَتَشَأْ وَمَأْلُوفٌ وَقُرْآنٌ مَتَى زُحِرِحَ
 عَنْهَا قَلْبٌ ، وَمَتَى أُرِيغَ ^(١) عَلَى سِوَاهَا فَرِقَ ؛ أَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :
 لَعَلَّهُ . قال : فِي الدَّعَةِ ؛ قَدْ خَبَأْتُ لَكَ مَسْأَلَةً ، وَسَأَلْتُهَا عَلَيْكَ بِمَدَّهَا — إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ تَعَالَى — وَانصرفتُ .

الليلة الثامنة

وقال لي مرة أخرى : أَوْصَلَ وَهْبُ بْنُ يَمِيشَ الرُّقِّيَّ ^(٢) الْيَهُودِيَّ رِسَالَةً يَقُولُ
 فِي عَرَضِهَا بَعْدَ التَّقْرِيطِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ : إِنْ هُنَا طَرِيقًا فِي إِدْرَاكِ الْفَلَسَفَةِ
 مِثْلُ مَسْلُوكَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَسِيحَةٍ ، لَيْسَ عَلَى سَالِكِهَا كَدٌّ وَلَا شَقٌّ فِي بُلُوغِ مَا يَرِيدُ
 مِنَ الْحِكْمَةِ وَنِيلِ مَا يَطْلُبُ مِنَ السَّعَادَةِ وَتَحْصِيلِ الْفَوْزِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ وَإِنْ أَصْحَابُنَا
 طَوَّلُوا وَهَوَّلُوا وَطَرَحُوا الشُّوْكَ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَنَعُوا مِنَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ غَشَامَهُمْ وَبَخَلُوا
 وَلَوْمْ طَبَاعَ وَقَلَّةَ نَصَحَ وَإِتِمَاعًا لِلطَّالِبِ وَحَسَدًا لِلرَّاعِبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَتَّخَذُوا
 الْمُنْطَقَ وَالْمُهَنْدَسَةَ وَمَا دَخَلَ فِيهِمَا مَعِيشَةٌ وَمَكْسَبَةٌ ، وَمَا كَلَّةٌ وَمَشْرَبَةٌ ، فَصَارَ ذَلِكَ

(١) « أُرِيغَ » .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْمَقَابِسَاتِ ؛ وَكَانَ أَبُو حَيَّانَ يَسْأَلُ فِي مَسَائِلِ فِلَسْفِيَّةٍ .

كسور من حديد لطلاب الحكمة والمحبتين للحقيقة والمتصفحين لأئناء العالم وكلاما هذا معناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين^(١) ، وتقرّب بها ، ونفعته بالمسألة والتفقد له ، فإنه شديد الفقر ، ظاهر الخصاصة ، لاصق بالدقء^(٢) ؛ ولّذى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح وحجة ظاهرة ؛ ولّذى قاله أصحابنا — أعنى مخالفيه — وجه أيضا وتأويل وللقولين أنصار ومحمّة ، وحفظة ورعاة .

قال : هاتِ — على بركة الله — فأتى أحب أن أسمع في هذا الخطب^(٣) كل ما فيه وأكثر ما يتّصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسيره^(٤) مغمور ؛ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع^(٥) المحكم ، وذو نضائد مزينة بالتأليف المحب المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحتويه ذو قوى متقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه مع هذه الأحوال منتبه بالحسّ ، حالم بالعقل ، عاشق^(٦) للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنس بالوطن الذى أُلّفه ونشأ فيه ، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يُلمّ به وإن كان صدّر عنه^(٧) ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) يعنى بعد الثلاثمائة .

(٢) الدقء : الأرض لا نبات بها . والتراب . وهذه العبارة كناية عن الفقر الشديد .

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « وشره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « عاشق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .

المنعوت بهذا الضعف والعجز أم يلمس مسلكا إلى سعادته ونجاته قريبا
 ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل
 الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف
 هذه الجملة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر
 ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات
 الورق الكثير ، مع العناية المتصلة في الدرس والتصحيح والنصب في المسألة
 والجواب ، والتنفير عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف
 ولا خارج عن حومة الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا
 وعاملا ، ولكن ليس لكل أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛
 وهذا الاستبصار الحسن ، وهذا الطبع الوقاد ، والذهن المتقاد ، والقريحة الصافية
 والاستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛
 وإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعت
 إلا في الشاذ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة القدد ؛ والفائق من كل
 شيء والبائن من كل صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الرديء
 والفاسد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من
 يتكلم بالإعراب والصحة ولا يلعن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة
 والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن عديم هذه السجية
 وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويجري على منهاجه ، ويفي
 بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها ؛
 ومتى أتفق^(١) إنسان بهذه الحلية^(٢) وعلى هذا النجار ، فلعمري إنه غني عن تطويل

(١) اتفق إنسان ، أي وجد بطريق الاتفاق ، أي الصدقة .

(٢) لعله « الجيلة »

النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذاك الفرد والشاذ والناذر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والقنأ والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبدیع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود ، وإن الكامل مربوط بما منحه من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فتحاً للمثالة ^(١) العاجلة » ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى ^(٢) كان يُبلى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسر بن أعمالا ، الأسفلين أحوالا .

ثم إنى أيها الشيخ — أحيالك الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه — ذكرت ^(٣) للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [الفضل بن ^(٤)] جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر ^(٥) متى وأختصرتها ؛ فقال لى : اكتب هذه

(١) المثالة : حسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زادك الله رعاة ؛ والرعاة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتناهما عن معجم ياقوت . وأبو الفتح هذا كان وزير المقتدر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم حروف مطبوسة في الأصل ؛ وقد أثبتناه هكذا نقلاً عن المقابسات وأخذنا من الكلام الآتي . وأبو بشر متى ، هو ابن يونس الثاني من أهل دير في . كان =

المنظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبوي بين هذين الشيخين بمحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُغتمَّ سماعه ، وتُوعَى فوائده ، ولا يُتَهَاوَنَ بشيء منه . فكتبت^(١) : حدثني أبو سعيد بلُغ من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أُنْعِدَ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والسكتي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والرزباني صاحب آل سامان^(٢) — : ألا^(٣) ينتدب منكم إنسان لمنظرة متى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها^(٤) من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لَمَن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإنى لأعدكم في العلم بحارا ، وللدّين وأهل أنصارا ، ولالحق وطلّابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتغامز اللذان^(٥) تَجَلَوْنَ عنهما ؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المروض في هذا

== نصرانيا طاملا بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة .

- (١) « وكنت » .
- (٢) « سامان » .
- (٣) « أن ينتدب » .
- (٤) « جربناه » .
- (٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيخة^(١) والميرون المحدث والعقول الحادة^(٢) والألباب الناقدة ؛ لأن هذا يستصحب الهيبة ، والهيبة مكمّرة ، ويحتلب الحياء ، والحياء مغلبة ؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع^(٣) في بقعة عامة .

فقال ابن الفرات : أنت لها يا أبا سعيد ، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك . فقال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما رسمه هُجْنة ، والأحتجاجُ عن رأيه إخلاد إلى التقصير ؛ ونعوذ بالله من زلة القدم ، وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلام ؛ ثم واجه متى [فقال^(٤)] : حدثني عن المنطق ما تعني [به] ؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سننٍ مرضى وطريقة معروفة .

قال متى : أعني به أنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسد المعنى من صالحه ، كاليزان ، فأتى أعرف به الرّجحان من النقصان ، والسائل^(٥) من الجانح .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنّا نتكلّم بالعربية ؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنّا نبحث بالعقل ؛ وهبّك عرفت الراجح من الناقص من

(١) « المنجبة » .

(٢) في الأصل : « الجامة » وهو تحريف . وفي معجم الأدباء ترجمة أبي سعيد السيرافي : الجامة ؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) الصاع : من صاع الفجاء أفرانه : إذا حل عليهم ففرق جمهم .

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل .

(٥) في الأصل : « والسائل » بالسين للهلة ؛ وهو تصحيف . والسائل : المرتفع .

والجانح : اللائل .

طريق الوزن ، فمن لك^(١) بمعرفة الموزون أيما^(٢) هو حديد أو ذهب أو شيء^(٣) [أو رصاص]^(٤) ؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلاّ نعمنا يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فأنت^(٥) كما قال الأول^(٦) :

* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء *

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُذرع ، وفيها ما يُمسح و [فيها ما]^(٧) يُحزّر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المربّية ، فإنّه على ذلك أيضا في المقولات المقرّرة ؛ والإحساسات^(٨) ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وَضَعَهُ^(٩) رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فن ابن يلزم التّركّ والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكره رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « أيما » .

(٣) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٤) الكلمة التي بين مربعين عن باقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : فقل لمن بدى في العلم فلسفة * حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس ظلال العقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث^(١) عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الماحسة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شُعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا^(٢) باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمّت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقولك في مثل هذا. قال: انت إذا لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تقي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وأقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريدها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة^(٣) بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بعد قوله: «إلا» جيم وألف وذال، وهي زيادة ممن الناسخ والصواب حذفها.

(٣) «مملوكة».

الخالفة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والذائل بمدت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهل^(١) تمن يظنه بهم ، وعناد ممن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كخيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسئون في أحوال ؛ وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ^(٢) وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات^(٣)] هذا محال ، ولقد بقي العالم بمد منقطعه على ما كان عليه قبل منقطعه ؛ فأمسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لأنه منمقد بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها ، وتجارينا فيها ، وتدارس أصحابك بفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها ، لملت أنك غنى عن [معاني^(٤)] يونان كما أنك غنى عن لغة يونان .

وها هنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من الخط .

(٢) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل . وقد أبتناها من اللغات س ٣

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرّفت ، ووزنت^(١) وما جرّفت ، وأنها [ما]^(٢) أثاثت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخّرت ، ولا أخلّت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا [بأخصّ الخاصّ]^(٣) ولا [بأعمّ العامّ] — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المصاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولستهم من بين الأمم أصحابُ عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به وينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفشا ما فشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع ؛ ولم نجد هذا لغيرهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعصّبت ومِلتَ مع الهوى ، فإنّ عِلْمَ العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه الماقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جَدَدِ^(٤) الأرض ؛ ولهذا غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالمصمة الغالبة ، والقِطْنة الظاهرة ، والبنية

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال جرف فلان الشيء ، أى باعه أو اشتراه جزاءً بلا كيل ولا وزن .
 (٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .
 (٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقاييس .
 (٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدلّ به وتباهي بتفخيمه ، وهو (الوارو) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فهبت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ^(١) [والنحو يبحث ^(٢) عن اللفظ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحو على المعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام ^(٣) والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار ^(٤) والقرض [والتمنى ^(٥)] والنهي والحضّ والدعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة ، ألا ترى أن رجلا لو قال : « نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان المراد ولكن ما أوضح ، أو فاه بمحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبا » ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستميلا للفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن المقابسات ، إذ

لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في المقابسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أن في قوله « والاستخبار » تبديلا من الناسخ صوابه « والإنباء » بدليل

قوله في التمثيل الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبا »

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن مصحح الأديب .

شهادة [من] عقله^(١) وعقل غيره ؛ والنحو منطوق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقف أثر الطبيعة [بأثر آخر^(٢) من الطبيعة] ولهذا كلف المعنى ثابته على الزمان ، لأن مستلزم المعنى عقل ، والعقل إلهي ؛ ومادة اللفظ طينية ، وكل طيني متهايف ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التي تنتحلها ، وآلتك التي ترهى بها ، إلا أن تستعير من العربية لها أسما فتعوار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة^(٣) فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلطة اللاحقة .

قال متى : يكفيني من لغتكم هذه الأسم والفعل والحرف ، فاني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هدبتها لي يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحرّكات ، وهذا باب [أنت^(٤) وأصحابك ورهطك عنه في غفلة ؛ على أن هاهنا سرا ما علق بك ، ولا أسفر لعقلك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق^(٥) لغة أخرى من جميع جهاتها بمحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجربة » .

(٤) هذا الكلام الذي بين هذين المربعين لم يرد في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن المقابسات .

(٥) « تتطابق » .

صفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقها ، وتشديدها وتخفيفها ، وسعتها وضيقها ونظمتها ونثرها وسجعها ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُشكلة من عقل أو نصيب من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجِم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف الماعى اليونانية ؛ على أن الماعى لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزعم أن الماعى حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزرى على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها ، مع جهلك بحقيقتها ؟

وحدّثني عن قائل قال لك : حالى في معرفة الحقائق والتصفح لها [والبحث عنها ^(١)] حال قوم كانوا قبل واضع المنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبّر كما تدبّروا ، لأنّ اللغة قد عرقتها بالمشأ والوراثه ، والماعى نقرت عنها بالنظر والرأى والأعتقاد والاجتهاد . ماتقول له ؟ أقول : إنه لا يصحّ له هذا الحكم ولا يستتبّ هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التى عرقتها أنت ؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؛ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين ^(٢) .

ومع هذا ، خدّثني عن الواو ما حكاه ؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغنى عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التى تدعو بها إلى

(١) هذه العبارة التى بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن معجم الأدباء لياقوت والمقاسبات للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير المستين » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً ، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها ، فله يجهل ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخفى القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، ومطالبك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، والتي لها بالتجوز ؛ سمعتم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [يقولون] : « إن الباء للإصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [في السياسة] » والسياسة في السائس .

أرى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ؟ ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطأٌ من القول الذي أقاض فيه ؛ النحوي إذا قال « في » للواء^(١) فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التكنية^(٢) .

فقال ابن الفرات : أيها الشيخ الموفق ، أجهه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « للوما » وما أثبتناه عن المقاييس ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التبكيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا القطين تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

حتى تكون أشدَّ في إخمائه ، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع^(١) به .

قال أبو سميذ : للواو وجوه ومواقع : منها معنى المطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستثناء في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بـ «مده ابتداء وخبر ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم^(٢) : * وقائم الأعماق خاوي المخترق * ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصلٌ واقِدٌ واقِدٌ ، وفي الفعل كذلك ، كقولك : وجِلَ يَوجِلُ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل . (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ) ، أي نادينه ؛ ومثله قول الشاعر^(٣) :

* فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * المعنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي التَّهْدِ وَكَهْلًا) أى يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة أى مع الخشبة .

قال ابن الترات : [لمتى] : يا أبا بشر : أكان هذا في نهوك^(٤) .

ثم قال أبو سميذ : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقل أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل والمقابسات « مشنَّع » . وفي معجم ياقوت « مشنَّع » . وفي كلا اللغتين تصحيف .

(٢) هذا الشعر من شعر رؤية بن المبراج .

(٣) هذا الشعر صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : بنا بطن خبت نبي حفاف عفتل .

(٤) في المقابسات « في منطقك » ؟ وهى ألسب .

قال : صحيح . قال : فما [تقول ^(١)] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .
قال : فما [الفرق بينهما [مع الصَّحَّة ^(٢)] فتلَحَّ ^(٣)] وجَنَحَ وغصنَ بريقه .

فقال أبو سعيد : أفتبتَ على غير بصيرة ولا أستاذة ؛ المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلاً عن وجه محنتها ؛ والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها .

قال متى . بين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرت الحلقة ^(٤) استفتدت ، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك أخطأت ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويحيل ^(٥) فكره في المعاني ، ويرتب ما يريد بالوهم السامع والخطر العارض والحدس الطارى ؛ فأما وهو يريد أن يبرر ^(٦) ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر ، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده ، ويكون طباقاً لفرضه ، وموافقاً لقصده ^(٧) .

قال ابن الفرات لأبي سعيد : تَمَّ لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكيكُ عاملاً في نفس أبي بشر .

(١) هذه العبارة الموضوعية بين مربين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات وبها يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة التي بين مربين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٣) بلغ : أعجز وعجز . وجنح ، أى مال .

(٤) « المختلفة » .

(٥) « ويجيد » .

(٦) « يزن » .

(٧) « لضده » .

فقال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مَلَلَ الوزير ؛
فإن الكلام إذا طال مُلٌّ .

فقال ابن الفرات : ما رغبتُ في سماع كلامك وبينى وبين المللِ علاقة ؛
فأما الجماعة فحرصُها على ذلك ظاهر .

فقال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يحز ، وإذا قلت :
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .
لم يحز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما ^(١) تقول : بكر وعمرو وخالد]
ولا يدخل زيد في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم ، فلم يحز
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يحز أن تقول : « إن حمارك أفره ^(٢) البغال »
لأن الحمر غير البغال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عددته فيهم ، قلت : « زيد وعمرو وبكر
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحمر » لأنه داخل تحت الأسم
الواقع على الحمر . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و « حمارك أفره حمار » فيدل « رجل »
على الجنس كما دل الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) هذه العبارة التي بين مرتبين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها
يستقيم الكلام .

(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

فقال أبو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفا بالأستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم ، وكل ذلك محصور بالتبعية والرواية والسمع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغة هم فيها ^(١) ضعفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف ^(٢) يا أبا بشر أن الكلام أسم واقع على أشياء قد أختلفت بمراتب ، وتقول ^(٣) بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوبا ، لأنه نُسج بعد أن غزل ، فسداته لا تكفي دون لُحْمَتِهِ وَلُحْمَتُهُ لا تكفي دون سَدَاتِهِ ، ثم تأليفه ^(٤) كنسجه ، وبلاغته كقصارته ^(٥) ورقة سِلْكِهِ كرقّة لفظه ، وغِلْظُ غِزْلِهِ ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

(١) عبارة الأصل : « فترجموا لغتهم فهما » ؛ وهو تحريف .

(٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضا .

(٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن تقول » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « بالنقل » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لنضارته » ؛ وهو تحريف .

عليه بأن أقطعاه ، وأنخفض أرتفاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [١٧] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالى علم بهذا التَّمط . قال : لست نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنك صاحب غرقة وزرق^(٢) ، هاهنا ما هو أخفّ من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقل آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ .

قال متى : لو ثرت أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحّ لفظه على العادة الجارية أجبت ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلا ما استعرت من لغة العرب [كالسبب والآلة^(٣)] والسلب والإيجاب والموضوع والحمول والكون والفساد والمهمل والمحصور وأمثلة لا تنفَع ولا تُجدي ، وهي إلى العي أقرب ، وفي الفهاة أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) يريد بالزرق : الخلع كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرک التاج

« رجل زراق » ، أى خلع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مصدره .

(٣) الزيادة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

ثم أتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تقولون^(١) بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه^(٢) وتذكرون^(٣) الخطابة وأتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعت قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلم يقطع الزمان بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسة إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم صنف مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه . هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق .

وإنما بودكم^(٤) أن تشغلوا جاهلا ، وتستدلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهلية^(٥) والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأينية^(٦) والليسية والنفسية ؟ ثم تتناولون^(٧) فتقولون : « جئنا بالسحر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذا « لا » في كل « ج »^(٨) ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تدكرونه » ؛ وما أثبتناه عن المقابسات .

(٣) في المقابسات « وتدعون » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستفهاميتين ؛ والنسبة في الألفاظ

التي بعدها معروفة .

(٦) الأينية والليسية : الإثبات والنفي .

(٧) في المقابسات : « يسمطون » أى بتشديد الطاء .

(٨) كذا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « أ » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « أ » إذن لا في « ج » و « أ » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب »

ف « أ » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .

وهذه كلها خرافات وتُرَّهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقُب رأيه وأنارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإنارة النفس من منافع الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالركم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد تقص عليكم وتتبع طريقتكم ، ويبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة ^(١)] مما قال ، وما زدتم ^(٢) على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه ^(٣) اعتراض هذا قولكم في « يفعل وينفعل » لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ، ولم تقفوا على مقاسمهما ، لأنكم قنعتن فيهما بوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « ينفعل » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الإضافة .

فأما البدل ووجهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [لا] مجال .

وأنت إذا قلت لاإنسان . « كن منطقيا » ، فإنما تريد : كن عقليا أو عاقلا أو أعقل ما تقول ^(٤) لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مربعين عن المقابسات .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكاف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر : « كن محويًا لغويًا فصيحًا » فإنما يريد : افهم عن نفسك ما تقول ، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك .

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه ، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه ؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به . فأما إذا حاولت قرّش المعنى وبسط المراد فاجلّ اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقرّبة ، والاستعارات الملمّعة ، وبين^(١) المعاني بالبلاغة ، أعنى لوّح منها شيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها ، لأن المطلوب إذا ظفّر به على هذا الوجه عزّ وحلا ، وكرّم وعلا ؛ واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يُمتَرى [فيه] أو يُتعب في فهمه أو يُمرّج عنه لأعماضه ؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق ؛ وهذا بابٌ إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس ؛ على أنى لا أدرى أيؤثر فيك ما أقول أو لا ؟

ثم قال : حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين ، أوقفتم الخلاف بين اثنين ؛ أثرك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة ، وأن الواحد أكثر من واحد ، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد ، وأن الشرع ما تذهب إليه ، والحق ما تقوله^(٢) ؟ هيات ، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم ، وتدقّ عن عقولهم وأذهانهم .

ودع هذا ، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً ، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك . قال قائل : « لفلان من الحائط إلى الحائط » ما الحكم فيه ؟ وما قدّر المشهود به لفلان ؟ فقد قال ناس : له الحائطان معا وما بينهما . وقال آخرون :

(١) في معجم الأدباء : « وسدد » .

(٢) « ما هو له » .

له [النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون ^(١) : له] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأتّى لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظري أحبابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعارض وأرنا قوة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته ، والآخر لم أحصلُ اعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتلا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصلٌ عندك وما يصح به أو يرد عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر ^(٢) علينا ، فإن هذا لا يخفى على [أحد ^(٣) من] الجماعة .

قد بان الآن أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس في قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، ويتنصب عليه سورا ، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الاختلاط الجالب للفساد ، أغنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذى وقع الصحيح منه فى الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح فى الثانى بعد ^(٤) المنطق ؛

(١) التكلفة التي بين مربعين لم ترد فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) « تنقلش » .

(٣) كذا فى المقابسات . والذى فى الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) فى المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرفَ العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغورِهم في استنباطهم ، وحُسنِ تأويلهم لِمَا يَرُدُّ عليهم ، وسَعَةِ تشقيهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحقَّتْ نفسُك ، وأزدريتَ أصحابك ، وَلَكانَ ما ذهبوا إليه وتابَعوا عليه أَقلَّ في عينك من الشَّها عند القمر ، ومن الحِصَا عند الجبل . أليس الكِنْدِيُّ وهو عَلمٌ في أصحابك يقول ^(١) في جواب مسألة « هذا » ^(٢) من باب عدِّ . فَمَدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوم بلا ترتيب ، حتَّى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأرَوْه أنها من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أَنَّهُ [صحيح وهو ^(٣)] مريض العقل فاسد المزاج حائلُ الغريزة مشوشُ اللَّب .

قالوا له : أخبرنا عن أَصْطِكَالِكِ ^(٤) الأجرام ، وتَضَاعُطِ الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان ؟ أو يخرج من باب التَّقْدان إلى ما يَخْفَى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصُّور الهَيُولائية ؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان ، أو مزايلة له مزايلة على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير قُتْدان الوجودان في عدم الإمكان عند أمتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُفِظ جوابُه عن جميع هذا على غاية الرِّكَاكَةِ والضعف [والفساد] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والواو والنون زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة

المعنى في كلتا الروايتين ؟ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٤) في الأصل : « استقصائك » ؟ وهو تحريف .

والسُخف . ولولا التوقُّ من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرَّ بي في خطِّه :
التفاوت في تلاشي الأشياء غيرُ مُحاطٍ به ، لأنَّه يلاقى الاختلاف في الأصول
والإتفاق في الفروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا النهج فالنِّكرة تُراحٍ عليه
المعرفة ، والمعرفة تُناقِضُ النِّكرة ، على أنَّ النِّكرة والمعرفة من باب الألبسةِ
العارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك الشكلى ويُشمت العدو
ويُضمرُّ الصديق ، وما ورث هذا كله إلَّا من بركات يوزن وفوائد الفلسفة والمنطق
ونسأل الله عصمة وتوفيقا نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والفعل
الجارى على التعديل ، إنَّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن علي بن عيسى الرَّمَّاني الشيخ الصالح بإملائه .
وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمَّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلَّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ
حَضَرُوا في ألواح كانت معهم ومُحَابِرُ أيضا ؛ وقد أختلَّ علي كثير منه .

قال علي بن عيسى : وتقوَّض المجلس وأهلُه يتعجَّبون من جأش أبي سعيد
الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلِّل وفوائده المتتابعة .

وقال الوزير ابن الفرات : عين الله عليك أيُّها الشيخ ، فقد نَدَّيتُ أكبادا
وأقررتُ عيوننا ، وبيضت وجوها ، وحُكَّتْ طِرازَا لا يلبيه الزمان ، ولا يتطرق
إليه الحدثان .

قلت لعلِّي بن عيسى : ولم كانت سِنُّ أبي سعيد ^(١) في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « علي بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يومُ المناظرة أربعون سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ^(١) مع السَّمْتِ والوَقَارِ والدِّينِ والجِدَّةِ ، وهذا شِعَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ والتَّقَدُّمِ ، وَقُلٌّ مِنْ تَظَاهِرِهِ أَوْ تَحَلٍّ بِحَلِيَّتِهِ إِلَّا جَلٌّ فِي الْعِيُونِ وَعَظَمٌ فِي النُّفُوسِ ، وَأَحَبَّتْهُ الْقُلُوبُ ، وَجَرَتْ بِمَدْحِهِ الْأَلْسُنَةُ .

وقلت لِمُتَّى بْنِ عِيسَى : أَمَا كَانَ أَبُو عَلِيٍّ^(٢) الْفَسَوِيُّ النُّحَوِيُّ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ ؟ قَالَ : لَا ، كَانَ غَائِبًا ، وَحُدِّثَ بِمَا كَانَ ، فَكَانَ يَكْتُمُ الْحَسَدَ لِأَبِي سَعِيدٍ عَلَى مَا فَازَ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ ، وَالثَّنَاءِ الْمَذْكُورِ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ^(٣) عِنْدَ مُنْقَطَعِ هَذَا الْحَدِيثِ : ذَكَرْتَنِي شَيْثًا قَدْ دَارَ فِي قَسِي مَرَارًا ، وَأَحْبَبْتَ أَنْ أَقِفَ عَلَى وَاضِحِهِ ؛ أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَأَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ، وَأَيْنَ ابْنُ الْمِرَاغِيِّ أَيْضًا مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ التَّرْزُوبَانِيُّ وَأَبْنُ شَازَانَ وَأَبْنُ الْوَرَّاقِ وَأَبْنُ حَكِيوِيهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ ، أَبُو سَعِيدٍ أَجْعَ لَشَمْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْظَمُ لِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَأَدْخَلُ فِي كُلِّ بَابٍ ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَأُلْزِمُ لِلْجَادَةِ الْوَسْطَى فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، وَأُرْوَى فِي الْحَدِيثِ ، وَأَقْفَى فِي الْأَحْكَامِ ، وَأَقْفَهُ فِي الْفَتَوَى ، وَأَحْضَرُ بَرَكَةً عَلَى الْمُخْتَلَفَةِ ، وَأَظْهَرُ أَثَرًا فِي الْمَقْتَبَسَةِ . وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ نُوْحُ بْنُ نَصْرِ — وَكَانَ مِنْ أَدْبَاءِ مُلُوكِ آلِ سَامَانَ — سَنَةَ أَرْبَعِينَ^(٤) كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالْإِمَامِ

(١) الْهَازِمُ : جَمْعُ لَهْزَمَةٍ بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَهِيَ مَجْتَمِعُ الْحَمَمِ بَيْنَ الْمَاضِغِ وَالْأُذُنِ ؛ أَوْ هِيَ الْعِظْمُ النَّاتِقُ فِي الْأَحْيَاءِ تَحْتَ الْأُذُنِ ، وَمَا لَهْزَمَتَانِ ؟ وَيُرِيدُ هُنَا الشَّعْرَ النَّاتِبَ عَلَيْهِمَا .

(٢) أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ ، هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبَانَ الْهَارَمِيِّ النَّحْوِيِّ ، وَلَدَ بِمَدِينَةِ نَاصِرَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ إِمَامًا وَقَفَهُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَلَهُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْثُوقَاتِ الْوَاقِيَةِ النَّافِعَةِ ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثًا مِائَةً .

(٣) يُرِيدُ الْوَزِيرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْهَارِثِيَّ .

(٤) أَيْ وَثَلَاثًا مِائَةً .

وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالب عليها الحروف ، وباقى ذلك أمثال مصنوعة على العرب شكَّ فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البلعَمِيَّ خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه التُّرْزِيَان بن محمد ملكُ الدَّيْلَمِ من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقى ذلك في الروايات عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم .

وكتب إليه ابن حِزَابَة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم وعن السلف .

وقال لي الدارقُطْنِي سنة سبعين : أنا جمعتُ ذلك لأبن حِزَابَة على طريق المعونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملكُ سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق التكميلين .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلتُ : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلتُ : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والأستمتاع بها والأستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كلَّ يوم نُدفع إلى طامة تُنسى ما سلف ، وتُعيد بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولني بالعصمة ، وأخصني بالسلامة ، وأجعل عقبائي إلى الحسنى .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي^(١) فأشد تفرّدا بالكتاب^(٢) وأشد إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه ممّا هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافا ممّا لغيره ؛ وهو متّقد بالغیظ على أبي سعيد ، وبالحسد له ، كيف تمّ له تفسير كتاب سيويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، لأن هذا شيء ما تمّ للبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي على أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب^(٣) على النظم المعروف .

وحدثني أصحابنا أن أبا علي اشتري شرح أبي سعيد في الاهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة المرسومة به ، والندامة^(٤) الموقوفة عليه — بألفي درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يأتون الإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقض عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(١) يريد أبا علي الفسوى السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيويه . يقول : إنه اقتصر على دراسته على الطريقة المعروفة .

(٤) الندامة ، أى المناداة على المراب ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .

وأبو علي يشرب ويتخالم ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الرابطين^(١)
وعادة المتسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلي إلا في الجماعة ، ويقوم على مذهب
أبي حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله^(٢) ويتخرج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان القلم يجري بما هو خاف ويخبر بما هو مجتم^(٣)
ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى ، والإعراض عما يجلب اللائمة أحرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصيبري أبو جعفر على الإنشاء
والحرير فاستعفى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى ذرمة وأنا عار منها ، وإلى
سياسة وأنا غريب فيها * ومن القناء رياضة الهرم *

وحدثنا النضرى^(٤) أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للمهلبى — بحديث
مفند^(٥) لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنت أخط بين يدي الصيبري أبي جعفر
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتسنى يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب
فلم يحدنى ، وكان أبو سعيد السيرافى بحضرته ؛ فظن^(٦) أنه بفضل علمه أقوم
بالجواب من غيره ، فتقدم إليه أن يكتب ويحجب ، فأطال في عمل نسخة كثر
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرق ، والصيبري يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرابى : التأله المارف باقه . وفى الأصل : « الديانين » ولم نجده فى كتب اللغة
بهذا المعنى .

(٢) تأله ، أى يتعبد ويتنسك .

(٣) بمجم : من هجم الكلام فى نفسه إذا لم يبينه يريد به المستر الحافى .

(٤) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذى فى الأصل :
البقرى ؛ وهو تحريف .

(٥) « معد » .

(٦) كذا فى معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذى فى الأصل : « فبان » .

لجاري العادة لفظاً ، مبيناً لما يريد^(١) ترتيباً .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيّمرى بقول الشاعر :

يا باري القومِ برّياً ليس يُصلِّحه لا تظلم القومَ ، أعطِ القومَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تليذك ليحبب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحيّر متى أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان متى ، ولا بمستكثر ما كان منك ، إن مال النّبي لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج^(٢) وجهبذ ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فتبسم الصيّمرى وأعجبه ما سمع ، وقال : على كل حال ما أخلقتنا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والمهندسة والحديث والأخبار وهو في كل هذا إماماً في النّاية وإماماً في الوسط .

وأما علي بن عيسى^(٣) فعلى الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به ، إلا أنه لم يسلك طريقاً واضح المنطق ، بل أفرد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتاباً قيساً ، هذا مع الدين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراغبي^(٤) فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدباء : « لأثورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جانيها ومحصلها . والجهبذ : الناقد العارف بالجميل والردى .

(٣) يريد بطي بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماماً في النحو ، بصيراً بالمغالطات ، معتزلاً ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراغبي هو أبو الفتح محمد بن جعفر الهمداني وكان معلماً في دولة أبي منصور ،

وكان حافظاً نحوياً بليغاً إخبارياً في نهاية العرف والحرية ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على مثال كتاب الكامل .

النفس ، وبلل^(١) الريق ، وغزارة النفث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتاب
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل^(٢) أكثر مما أبذل .
وأما الرزباني^(٣) وابن شاذان وابن القرمسيني وابن حيوية^(٤) فهم رواية
وسيلة ليس لهم في ذلك نقط ولا إعجام ، ولا إسراج ولا إجمام .

(٤) فقال : فصل حديثك [عن^(٥)] هؤلاء بحديث أصحابنا الشعراء ، صف لي
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خص كل واحد منهم . قلت : لست من
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دحض^(٦) ، وأحتسى غير
محض . قال : دع هذا القول ، فما خضنا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية
ما كان في النفس ، ونهاية ما أفاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أما السلاوي^(٧) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يتيسر عن ثمر الغمام
خفي السركة ، لطيف الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف المغارس ، جميل الملابس ؛
لكلامه لينة^(٨) بالقلب ، وعبث بالروح ، وبرد على الكبد .

-
- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .
(٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبذل في وصفه .
(٣) الرزباني ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان
من الأدباء الإخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدها صاحب الفهرست
وقال : إنه كان صادق المهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٣٧٨ .
(٤) ابن حيوية ، هو محمد بن حيوية بن المؤمل ، عالم نحوي من أهل همدان مات سنة ٣٧٣ .
(٥) لم ترد هذه الكلمة في أصل .
(٦) على دحض ، أي على مزلة ومزلة للاقتدام .
(٧) السلاوي : من أشهر أهل العراق ، عربي الأصل من بني غزوم ، ولد بكرخ بن نداد
سنة ٣٣٦ وانضم بالصاحب بن عباد وعضد الدولة البويهى ومدحهما ، وقد روى له صاحب
التيمة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .
(٨) لينة بالقلب ، أي التصاق به وتعلق .

وأما الحامئي^(١) فحليظ اللفظ ، كثير المقد ، يحب أن يكون بدوياً قعاً ،
وهو لم يسم حَضَرِيّاً ؛ غزيرُ المحفوظ ، جامعُ بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في
الجفوة^(٢) وقلة السلاسة ، والبعد من السلوك ، بادی العورة فيما يقول ، لكأنما
يُبْرِز ما يُخْفى ، ويكدر ما يُصْنى ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خَيْر^(٣) وإذا
خَيْر سَدِر^(٤) ؛ يتناول شاخصاً ، فيتضاد متقاعساً ؛ إذا صدق فهو مَهِين ، وإذا
كَذَب فهو مَشِين .

وأما ابن جَلَبَات^(٥) فجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع
الحيلة ، كثير الزُوق^(٦) ، قصير الرشاء^(٧) ، كثير الفشاء^(٨) ؛ غَرَّة نَفَاقَه^(٩)
ونفقه نَفَاقَه .

(١) هو محمد بن الحسين الحامئي ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحامية التي
شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي ، مات سنة ٣٨٨ .
(٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في الهوة وقلة السلاسة والبعد من السلوك » ؛ وفي
هذا الكلام تحريف لا يستقيم به المعنى في ثلاثة ألقاظ ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .
(٣) خر ، أى أصيب بالحجار ، وهو ألم في الرأس وصداع يقبان السكر . والكلام هنا
على طريق الاستعارة .
(٤) سدر : تحير . أو لم يبال ما صنع ولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به المعنى .
(٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وهو أبو القاسم علي بن
جلبات ، ذكره صاحب القيمة في الجزء الثاني ص ٢٧٠ وروى شيئاً من شعره .
(٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، فانه
يصدد الكلام في الشعر لا في الرزق . والزوق بالتحريك : جمع زاووق ، وهو ما يحسن به
الغنى ويزين ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحسناً ظاهرياً . والزاووق في الأصل :
الزئبق ، وكان يدخل في التصاوير ، ولذلك قالوا لكل مزين : مزوق .
(٧) الرشاء : الجبل الذي يستقي به ، والمراد هنا قصر بابه في الشعر وقصوره عن الإطالة .
(٨) الفشاء في الأصل : البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . ويريد به هنا
ما لا فائدة فيه ، ولا يعتد به .

(٩) النفاق بفتح التون : الرواج . ونفقه بتشديد الفاء : رواجه . والمراد رواج شعره
وانتشاره بين الناس ، وعبارة الأصل : « غرّة نفاقه ونفقه نفاقه » وفي كلتا الجملتين تصحيف .
هنا لى أنهما على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع القوي يريده المؤلف كما يظهر .

وأما الخالغ^(١) فأديب الشعر، صحيح النحت، كثير البديع، مستوى^(٢) الطريقة، متشابه الصناعة، بعيد من طرفة المتعير، قريب من فرصة المتخير؛ كان ذو الكفايتين يقدمه بالزمي، ويقبله على النشر والطنى.

وأما مسكويه^(٣) فلطيف اللفظ، رطب الأطراف، رقيق الحواشي، سهل المأخذ، قليل السكب، بطل في المنكب؛ مشهور المعاني، كثير التواني؛ شديد التوقي، ضعيف الترقى؛ يرد أكثر مما يصدر، ويتناول جهده ثم يتفصر؛ ويطير بعيدا ويقع قريبا، ويسقى من قبل أن يغرس، ويمتدح^(٤) من قبل أن يُنيه؛ وله بعد ذلك مأخذ كشذو^(٥) من الفلسفة، وتأثر^(٦) في الخدمة، وقيام برسوم الندامة^(٧)؛ وسنة^(٨) في البخل، وغرائب من الكذب؛ وهو حائل^(٩) العقل لشغفه بالكيمياء.

وأما ابن نباتة^(١٠) فشاعر الوقت، لا يدفع ما أقول إلا حاسدا أو جاهل

(١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالغ شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وهو من شعراء البتية.

(٢) في الأصل: «مستوسق»، وهو تحريف. وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «متشابه الخ».

(٣) انظر التعريف به في ص ٣٢ رقم ٥.

(٤) متح الدلو ومتح بها: استخرجها من البئر عند الاستقاء، وأما الحافر إمالة: بلغ الماء واستخرجه من الأرض. والكلام كله جار على طريق الاستعارة، يشير بهذه العبارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والمكس.

(٥) شدا شدوا، أخذ طرقة من العلم والأدب.

(٦) التأثر في اللطف.

(٧) الندامة بكسر النون: حرفة الندامة على العراب.

(٨) «وثيقة».

(٩) حائل العقل، أى متغير متحول من الاستواء إلى العوج.

(١٠) ابن نباتة السعدي، هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء سيف الدولة بن حمدان، واتصل كذلك بابن العميد ومدحه؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥.

أو معانِد ، قد لَحِقَ عَصَابَةٌ (سيف البولة) وعدًا معهم ووراءهم ، حَسَنُ العَدُوِّ على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأتِّامِ بهم ، خَفِيَ التَّغَاصُّ في واديهم ، ظاهرُ الإِطْلَالِ على نَادِيهم ؛ هذا مع شُعْبَةٍ من الجنون وطَائِفٍ من الوَسْوَاسِ .

وأَمَّا ابنُ حَجَّاجٍ ^(١) فليس من هذه الزُّمْرَةِ بشيء ، لأنَّه سَخِيفُ الطَّرِيقَةِ بَهِيدٌ من الجِدِّ ، قَرِيعٌ في المَزَلِ ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مِثَالٌ ^(٢) ، ولا له في قَرْنِهِ ^(٣) مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قَوِيمُ اللَّفْظِ ، سَهْلُ الْكَلَامِ ، وَشَمَائِلُهُ نَائِبَةٌ بِالْوَقَارِ عن عَادَتِهِ الجَارِيَةِ في الْخَسَارِ ؛ وهو شَرِيكَ ابْنِ سُكَّرَةٍ في هذه التَّرَامَةِ ^(٤) ؛ وإذا جَدَّ أَقْبَى ، وإذا هَزَلَ حَكَى الْأَفْصَى .

وله مع ذِي الْكِفَايَتَيْنِ مَنَازِلَةٌ طَيِّبَةٌ . قال : ما هِيَ ؟ قلتُ : لما ورد ذُو الْكِفَايَتَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَهَزَمَ الْأَتْرَاكُ مَعَ أَفْتِكَيْنِ ^(٥) ، وكان من الحديث ما هو مشهور ، سأل عن ابنِ حَجَّاجٍ — وكان متشوقًا له لَبَّا كان يُقْرَأُ عليه مِن قَوَافِيهِ ^(٦) ، فَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ ، لأنَّه ليس الخبِرُ كَالْمَعَايِنَةِ ، وَالْمَسْمُوعُ وَالْمَبْصَرُ كَالْأَثَى وَالذِّكْرُ ؛ يَنْزِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَمَامِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْتَبَسَهُ لِلْعُلَامِ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَشَاهَدَ سَمْعَهُ ، وَاسْتَحْلَى شَمَائِلَهُ ، فَقَامَ

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل بالوزير المهملّي وسابور بن أزدشير وعُضِدَ البولة وابن عباد وابن المبيد ، لشعره متخيلات في التَّيْبَةِ وفي التَّحْفِ الْبَرِيطَانِي وفي مَكْتَبَةِ بَارِيس ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « عرصته » .

(٤) التَّرَامَةُ : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ههنا عن الكامل لابن الأثير وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بسقوط القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تَهَتَّ^(١) عَجَبًا منك ، فأما عَجَبِي بك فقد تقدّم ؛ لقد كنت أفلي ديوانك ، فأتممت لقاءك ، وأقول : من صاحب هذا الكلام ، أطيّش طائش ، وأخفّ خفيف ، وأغرّم غارم ؛ وكيف يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، فتهاكتُ على وقارك وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفرط حيائك وناضر ماء وجهك ، وتعاذل كُلك^(٢) ويمضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله وطُرف عباده^(٣) ؛ والله ما يصدّق واحد أنّك صاحب ديوانك ، وأنّ ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافي الذي بين شعرك وبينك في جدك . فقال أبو عبد الله : أيها الأستاذ ، وكان عجبِي منك دون عجبك مني ، لو تقارنا على هذا لفلجت عليك بالتعجب منك . قال : لأنّي قلت : إذا ورد الأستاذ فسألني منه خلُقًا جافيا وفظًا^(٤) غليظا وصاحب رواسير^(٥) وآكل كوامخ^(٦) وجبليّا ديلميّا متكاثبا متماظما ، حتى رأيْتُك الآن وأنت أَلُف من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغرل من جيل^(٧) بن معمر ، وأعذب من الحياة ، وأرزن من الطّوبى ، وأغرر من

(١) تهت ، أى تحيرت .

(٢) في الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورسمت افاء بعيدة عنها .

(٤) « وعظما » .

(٥) في الأصل : « رواصير » .

(٦) الكوامخ : جمع كوامخ بفتح الميم ، وهو إدام يؤتم به يقال له : المرى ، ويقال : هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز بخل مرّ ب « كاه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات التي تستعمل لتفتيح الطعام .

(٧) جيل بن معمر ، هو المعروف بجبيل بثينة العنبرى .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من الغيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخبان ، وأندى من الغمام ، وأشد من السهام ، وأكبر من جميع الأنعام . فقال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع^(١) فضلك ، وبواعث تفضلك . ووصله وصرقه .

قال^(٢) : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطبقة في شيء ، لكنه يقرص فيجر^(٣) ويسم فيجر^(٤) ، ويخرج فيجر^(٥) والمدهوون^(٦) منه كثير ؛ « وأصحابنا^(٧) يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله در الحسين من قر ردت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلت هذا منهم خفت أن يقال : ماح نفسه يقرئك السلام ؛ وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت سخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصابة العلماء ، فلم تركنا ذكرهم ونحن لا نخلو في حديثهم من غرة لأمة ، وفائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل وفضيلة على الأدب ، وحلم يزدان به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في داهية ؛ ورأى يكون مقبلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أى من فضلك الذى تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك جزاء وفا .

(٢) قال ، أى الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) فى الأصل : « يقرض فيجر » ، وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين . ويريد بهذه العبارة والبارتين اللتين بعدها أن أثره بالغ غاية فى الهجاء .

(٤) المدهوون ، أى المبتلون بالدواهي منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه الكلام فى ابن حجاج السابق ذكره إذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .

قلتُ : أما أبو عبد الله الجُعَلُ (١) فقد شاهدته . قال : صدقت ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخَلتِه وسيرته في اعتقاده .

قلتُ : كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غشاة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوَّة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم ومُعارَكة القِرْن ، بيميد العهد بالمصاع والدفاع والوَفاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوَر قلة الضراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَرَّيَ في مشاهد عظيمة .

وأما يتيهه فكان ضعيفا ؛ وأما سيرته فكانت واقفة على حب الرياسة وبذل المال والجاء إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدمه وأحبه ، وإنهاء مفرط على من عاداه ، وكان خَوْضُه في الدُول والولايات — ولهذا رغب عنه (٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال (٣) : هذا منفر (٤) عن الدين والمذهب ، ودافع (٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب . وكان يجهر بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاه الرجل لا يُنتقص بهذا القدر وركنُه لا يتخلخل على هذا الهد ، لأسباب انعدت له ، وأصحاب ذبوا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقى ، محمود القناعة

(١) في الأصل « جفل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجعل ، هو أبو عبد الله الحسين بن علي ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانهت إليه الرياسة في علم الكلام في عصره ، وكان كذلك فقيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتاب نقض كلام الراوندى ونقض كلام الرازى . مات ببغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أى الواسطي .

(٤) « منفر » .

(٥) « ونافع » .

ظاهر الرضا ؛ تَذَلُّ (١) سيرته الجميلة على أنه حَسَنَ العقيدة .

وأما ابن العلم (٢) فَحَسَنَ اللِّسَانَ والجَدَلَ ، صبور على الخصم ، كثيرُ الحيلة ظنين (٣) السرّ ، جميل العلاتية .

وأما أبو إسحق النصيبي فدقيق الكلام ، يشكّ في النبوات كلّها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبهاً ، ولُغته (٤) معقّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلّ بهمذان كاتبُ فخر الدولة ابنَ المرزبان . وحمله على قلة الأكرثاظ بظلم الرعية ، وأراه أنه لا حرج عليه في غيبتهم لأنهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .
وأما ابن خيران (٥) فشيخ لا يعدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدّاركي (٦) فقد اتخذ الشهادة مكسبةً ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويغلب عليه اللّواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتكت بنيسابور قديما ، وببغداد حديثا ؛ هذا مع القدامة والوخامة ؛ ولقد ندّ بجُعَلٍ (٧) غلام ، وهو اليوم قاضي الرى . وابن عباد يَكْنُفه ويقرّبه ليكون داعية له ونائبا عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همذان ، وأبوه كان فلاحا ، ولقد رأيته ، إلا أنه يأتي لابن عباد في سَمْتِهِ ولزوم ناموسه حتى خفّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يذل » .

(٢) ابن المكلّم ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ولد سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولغبه » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، ألف في الفقه كتاب « اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) لعله يريد أبا القاسم الداركي ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الشافعية وهو بغدادى ، أقام بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه ببغداد ، وأخذ عنه عامة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « نذر » ؛ ولعل صوابه ما أمبقتنا . ويد : هرب .

الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك تَعْلَمُ^(١) الباطن ، خبيث الخبء ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وسلكوها لا تقضى بهم إلا إلى . الشك والأرتياب ، لأن الذين لم يأت بكم وكَيْفِ في كل باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدال بغير قط . وقد قيل : من طلب الدين بالكلام ألحد ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفقر . وما شاعت هذه الوصية جُرَافاً ، بل بعد تجربة كررها الزمان ، وتطاولت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعاً ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يحتجّون ولا يناظرون ولا يُكرّمون^(٢) ولا يفضلون خيراً من هذه الطائفة وألینُ جانباً ، وأخضع قلباً ، وأتقى لله عز وجل ، وأذكرُ للعاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الهفوة ، وألوذُ^(٣) بالله من صغير الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أر متكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمعت عينه خوفاً ، أو أقلع عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنّفون متحاملين ؛ جَذَّ الله عروقهم ، وأستأصل شأقتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفتهم على صفار الناس وكبارهم ؛ ودَبَّ داؤمهم ، وعسر دواؤمهم ؛ وأرجوا ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعفاً ، وساكنته متجمجعا^(٤) .

(١) « تَعْلَمُ » . والنقل : الفاسد السي .

(٢) « يلزمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطموسة بالأصل .

(٤) متجمجعا ، أى ضارباً بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ ^(١) . قلت :

فما شرَّ ^(٢) الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبِّحينا

يزعم أنه ينصر السنَّة ويُفحِّم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرَّمِيَّة ، وطرائق الملحدة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمَحَنَ الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إنَّ الليل قد ولَّى ، والنعماس قد طرق العين عابثا ؛ والرأى أن نستجِمَ لنشَط ، ونستريح لنعَب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزودك هذا الإعلام ليكون باعثاً لك على أخذ المتاد بعد أختماره في صدرك ، وتَحِيلَ الحال به عندمخوضك وفيضك ولا تجبن جبن الضعفاء ، ولكن قلْ وأتسع مجاهرا بما عندك ، منفقا بما معك . وانصرفْتُ .

الليلة التاسعة

- (١) وعدتُ ليلة أخرى فقال : فأتحمُّ الحديث معك ، فهايت ما عندك . فكان من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفةٌ في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفوُّ الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كدَّر النوع الذي هو الإنسان والإنسان صفوُّ الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفواً ومُصاصاً ^(٣) بهذا النظر أنتظم فيه من كلِّ ضرب من الحيوان خُلُقٌ وخُلُقَانٌ وأكثر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام المتكلمين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعرى ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) المصاس : المصاراة .

وظهر ذلك عليه وبطن^(١) أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالكمون الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرز الذى فى طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى فى طباع الفيل أمان قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثلا بصاحب الساقة ، والحراسة التى فى طباع الكلب ، وكاوب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمعاقل وغيرها بالدغل^(٢) والأشب والنياض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكورَه فى الحوائج ، ومن الكلب نُصحَه لأهله ، ومن المرأة لطفَ نفسها عند المسألة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب لحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وحيلة الخنزير وروغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الغراب ، وغارة الذئب ، وسمن بمرأ^(٣) ، وهى دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

ولما وهب الإنسان الفطرة^(٤) ، وأعين بالفكرة ؛ ورُفِدَ بالعقل ، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير^(٥) والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه المزية التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤثر بعضها

(١) « وِظَن » .

(٢) الدغل والأشب : الشجر الكثير اللثف بعضه يعض .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجد فيها بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتنجير والاقال » .

إلى بعض بالفيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بديهيةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد^(١) الاتفاقى والاتفاقِ النسيبى ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث المعلوم عند الله عز وجل غيب ؛ فلو ظهر هذا النيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع النيب .

فانقسمت الأحداث [بين ما هو]^(٢) على جديلة^(٣) واحدة معروفة ، وبين نادر لا يدوم المهد به ، فدلّ ما ظهر وأستمرّ على ما جاد به ووهب ، ودلّ ما غاب وأستتر على ما تفرّد به وغلب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالأختيار ، صحّ^(٤) له من الإلهام نصيب حتى يكون رفدًا له فى أختياره ، وكذلك يكون النحل أيضا ، صحّ له من الأختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعينًا له فى اضطراره ، إلّا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقلّ كما أن قسط سائر الحيوان من الأختيار أنزر^(٥) ؛ وثمرة أختيار الإنسان إذا كان مُعانًا بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى^(٦) وأقع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان سرفودًا بالأختيار ، لأن قوة الأختيار فى الحيوان كالعلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالظلم .

ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم مُلهم

(١) « اندد » .

(٢) هذه التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضئها .

(٣) الجديلة : الشاكلة يقال : هم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « وأحد » .

فيتعلم^(١) ويعمل ، ويصير مبدأً للمقتبسين منه ، المقتدين به ، الآخذين عنه ، الحاذين على مثاله ، السارّين على غرارهِ ، القافين على آثارهِ ؛ وواحد يتعلم ولا يُلهم فهو يماثل الأول في الدرجة الثانية ، أعنى التعلم ؛ وواحد يتعلم ويُلهم ، فتجتمع له هاتان الخلّتان ، فيصير بقليل ما يتعلم مُكثراً للعمل والعلم بقوة ما يُلهم ويعود بكثرة ما يلهم مصفياً لكل ما يتعلم ويعمل .

والكلام في هذه المواضع ربّما جَمَعَ فلم يمكن كفه ، فينبغي أن يضح المذر إذا عرض تفاوتٌ في الترتيب ، ودخل الخلُّ من ناحية التقريب .

وقال أبو سليمان لنا في هذه الأيام : [الإنسان^(٢)] بين طبيعته وهي عليه وبين نفسه وهي له ، كالمنتهب المتورّع ، فإن استمد من العقل نوره وشعاعه قوى ما هو له من النفس ، وضمف ما هو عليه من الطبيعة [وإلا قد قوى ما هو عليه^(٣) من الطبيعة] وضمف ما هو له من النفس .

وحكى لنا فقال : كان للحكماء الأولين مثلٌ يضربونه ويكتبونه في هَيَا كِلهم ومتعبّديهم وهو : « الملك للوكل بالدينيا يقول : إن ههنا خيراً وههنا شراً ، وههنا ما ليس بخير ولا شر ، فمن عرف هذه الثلاثة حق معرفتها تخلص متى ، ونجا سليماً ، وبقي كريماً ، وملك نعيماً عظيماً » .

ومن لم يعرفها قتلته شرّ قسلة ، وذلك أنى لا أقتله قتلاً وحياً^(٤) يستريح به متى ، ولكن أقتله أولاً فأولاً في زمان طويل ، بحسرات على قوت مأمول

(١) في الأصل : « فيلهم » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا بدليل قوله بعد في القسم الثاني « فهو يماثل الأول في الدرجة الثانية أعنى التعلم » .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « له » .

(٤) وحياً ، أى سرياً .

بعد مأمول ، وبلايا يكون بها كالمغلول المكبول .

قال^(١) : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكنك خلّيت يدك من طُرْف الحديث في الخُلُق . قلتُ : إذا طاب الحديث بأسرّ سال السجّية ووقع العلمانية لها الإنسان عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطل والزلل حدّ إذا بلغه كل الخاطر وأختل .

ثم نعود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبية ، والنفس الشهوانية ، وسمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين المحمودة وبين المذمومة ، وبين المشوبة بالحمد والندم ، وبين الخارجة منها . فمن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت —^(٢) البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنه إذا عرف الإنسان قد عرف العالم الصغير ، وإذا عرف العالم قد عرف الإنسان الكبير ، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وجد ما وجد ، وبقدرته ثبت ما ثبت ، وبحكمته ترتب ما ترتب ؛ وبمجموع هذا كله دام ما دام .

بهذا البحث يتبين له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوية فإن توابع هاتين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي^(٣) الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حدّفت زوائدهما ، ونفّت فواضلهما

(١) قال ، أى الوزير .

(٢) « صفت » .

(٣) « وعن » .

وَوَفَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذَيْلَتْ قَوَالِصَهُمَا^(١) أَعْنَى إِذَا رَأَتْ غُلْمَةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَارَهَا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ^(٢) فِي الْغَضَبِيَّةِ قَصَّرَتْ عِنَانَهَا^(٣) ؛ لَخَيْنِئِذٍ يَقُومَانِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَعُودُ السَّفَهَ حِلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدَ غِبْطَةً أَوْ تَغَابُطًا وَالغَضَبُ كَفْلًا أَوْ تَكَاطُلًا ، وَالنَّيْءُ رُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أُنَاةٌ أَوْ تَأْنِيَا^(٤) وَصَرَفَتْ هَذِهِ الْكُومَانَ فِي التَّكَامِينِ — إِذَا سَارَتْ سَوَرَتُهَا ، وَثَارَتْ ثَوَرَتُهَا — عَلَى مَنَاجِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعِظَةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزَّجْرِ وَالضَّنْفِ وَتَارَةً بِالْأَثَقَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ^(٥) الْحَذَرِ ، وَتَارَةً بَعُلُوِّ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ أَلَدًّا مِنَ الْأُنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمُسَائِجِ أَلَدًّا مِنَ قَضَاءِ الْوَطَرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمَحْتَاجِ أَشْرَفَ مِنَ الْإِسْفَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَتِّرِ آثَرٌ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَالْمَذَارَاةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ^(٦) أَطْيَبَ مِنَ الْمَارَاةِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْحَسَنُ^(٧) مُسْتَقٌّ مِنَ الْخُلُقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخُلُقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنَّ الْحَصْنَ^(٨) عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحُكَمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ مُوجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْحَبَشِيَّ يَتَدَلَّكَ بِالمَاءِ وَالْفُسُولَ لَا يَسْتَفِيدُ^(٩) بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وتنبض منهما .

(٢) « الصبر » .

(٣) « عتلاتها » .

(٤) « تأنيا » .

(٥) « بإشعار » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فسياق الجملة يقتضى أنه يريد

الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكراحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ثناء شديداً^(١) بالبياض ؛ ويقال للمهذار : « أُكُفْ » لا يكف^(٢) عن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تمقد » لا يزول عنه ما حَقَّ^(٣) عليه ، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبداً .

وقد تقرّر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة ، أعنى أن كل ما يدور عليه ويمحور إليه^(٤) مقابل بالصد^(٥) أو شبيه بالصد كالحياة والموت ، والنوم واليقظة ، والحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والخير والشر ، والرجاء والخوف ، والعدل والجور ، والشجاعة والجبن ، والسخاء والبخل ، والحلم والسفَه ، والطيش والوقار ، والعلم والجهل ، والمعرفة والنكرة والعقل والحمق ، والصحة والمرض ، والأعتدال والانحراف ، والعفة والفجور والتنبه والغفلة ، والذكر والنسيان ، والذكاء والبلاهة ، والغبطة والحسادة والدمائة والكزازة^(٦) ، والحق والباطل ، والنجى والرّشيد ، والبيان والحصر والثقة والأرتياب ، والطمانينة والثّمة ، والحركة والسكون ، والشك واليقين والخلاعة والوقار ، والتوقّي والتهوّر ، والإلف والمَلَل ، والصدق والكذب والإخلاص والنفاق ، والإحسان والإساءة ، والنصح والنش ، والمدح والذم وعلى هذا الجزر والسّحب^(٧) ؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع .

(١) « تشبها » .

(٢) « لتكفى عنه » .

(٣) « طيق » .

(٤) « ويجوز عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالهملتين .

(٧) « الجراء والسحب » .

فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ المحبُّ للتبصرة، المؤثرُ للتذكرة، الجامعُ للنافع له، النافِىُ^(١) للضارِّ به فى هذه الأحوال التى وصفناها بأسمائها معرفةً — ما استطاع — باجتلاب^(٢) محمودها واجتناب مذمومها، وتمييزه بما يمكن^(٣) فيه أو تقليله، أو إطفاء جهرته، أو أجتناء ثمرته، والطريق إلى هذا التمييز واضح قريب، كأن^(٤) ننظر إلى الحياة والموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق ولا مما يعالج بالاجتهاد، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من وجه، وغير ضروريين من وجه، فتتفنى^(٥) منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسَلِّمُ البدن ما دخل فى حدِّ الضرورة؛ ولا يكثر^(٦) الإنسانُ نومَه ولا سهرَه، ولكن يطلب العدل بينهما بقدر جهده.

فأما الحسن والقبيح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجور^(٧) فيرى القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً، فيأتى القبيحَ على أنه حسن، ويرفض الحسنَ على أنه قبيح؛ ومناشئُ الحسن والقبيح كثيرة: منها طبعي، ومنها بالعادة، ومنها بالشرع، ومنها بالعقل، ومنها بالشهوة، فإذا أُعتبر هذه المناشئُ صدق الصادق منها وكذب الكاذب، وكان أסתحسانه على قدر ذلك ومثال ذلك الكبر فإنه مَعِيبٌ بالنظر الأول، لكنه حسنٌ فى موضعه بالعلَّة^(٨) الداعية إليه، والحال الموجبة له.

(١) « الثانى » .

(٢) « اجتلاب » متعلق بـ « يعنى » .

(٣) « يمكن » .

(٤) « كأنك » .

(٥) « فيستعمل » .

(٦) « يكون » .

(٧) « يجوز » .

(٨) « بالعلّة » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليساً
بمُخْلِقَيْنِ مُخْضَيْنِ ، ولكتهما موكولان إلى نور العقل ، فما أَشْرَقَ ^(١) عليه العقل
بنوره فهو صواب ، وما أَقْلَ ^(٢) عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشرّ فهما في العموم والشُّمول ليسا بدون الصواب والخطأ
لهما مناط بكلّ شيء ، وَيَغْلِبَانِ عَلَى الْأَفْصَالِ ، وإن كان أحدهما عَدَمًا لِلْآخَرِ .
وأما الرجاء والخوف فهما عَرَضَانِ لِلْقَلْبِ بِأَسْبَابٍ بَادِيَةٍ وَخَافِيَةٍ ، ولا يدخلان
في باب الخُلُقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ [ولا يخرجان أيضا بكل وجه] وهما كَالْعِمَادَيْنِ
لِلْإِنْسَانِ قَدْ اسْتَصْلِحَ لهما ، وَرُبطَ قِوَامُهُ بِنُصْرَتِهِمَا وَضَعْفِهِمَا .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بِالْفِطْرَةِ ، ويكونان فِعْلَيْنِ بِالْفِكْرَةِ
وجانباهما بِالْفِعْلِ ^(٣) ألصق ، وإلى الأُكْتِسَابِ أَقْرَبُ .

وأما الشجاعة والجبن فهما خُلُقَانِ مُتَصِلَانِ بِالْخُلُقِ ، ولهذا يعزّ على الشجاع
أن يتحوّل جباناً ، ويتعذّر على الجبان أن يصير شجاعاً ، وكذلك طرفاهما
داخلان في الخُلُقِ أَعْنَى التَهَوُّرِ وَالتَوَقُّقِ ^(٤) .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ مُحَضَّانِ أَوْ قَرِيبَانِ مِنَ الْمُخْضِ ، ولهذا
تعلق الحمد والذم بهما وبأصحابهما ، والمدح والمجوسر ^(٥) إليهما وأتصلا بهما ؛

(١) « أَشْرَفَ » .

(٢) « أَقْلَ » .

(٣) « بِالْعَقْلِ » .

(٤) في الأصل : « والجبن » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ
الجبن لا يكون طرفاً للجبن ، ويدل على صحة ما أثبتنا ذكره التوقى بجانب التهوير فيها سبق

في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « رِيَا » .

وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلقته الأسنة الحداد ، وجبه^(١) بالتوبيخ ، وشمخ^(٢) عند رؤيته الأنف ، وغضن^(٣) الجبين وأورم^(٤) بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشع إلا على بطاء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاقى الناس وتعاطيهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفة فهما أيضا خلقان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بوالده ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقلل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجر أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضعيفة .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفة ويجريان معهما ؛ فليس ينبى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل والعلم فليسا^(٥) من الأخلاق ولا من الخلق وإنما^(٦) يُبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين^(٧) واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعش » .

(٤) فى الأصل « واكيل بالعدل وقوتل » .

(٥) « فليا » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والعدم^(١) لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان يكون أين من وجدان .

وأما المعرفة والنكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحس وألصق بالنفسين ، أى الشهوية والنفسية .
وأما العقل والحكم فليسا من الخلق ، والكلام في تفسير العقل مشهور^(٢) ، وعدمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]^(٣) وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخلق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ، ويعتبان أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلاهما بالإضافة . وأما العفة والفجور فخلقان لما جَمَرَة^(٤) وهُمُود ، والحاجة تمس إلى العدل في استعمال العفة وتنفى^(٥) الفجور ، وإذا قويت العفة حالت عصمة ، وإذا غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخلق ويغلبان على الإنسان ، إلا أن فرط التنبيه موصول بالوخى ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والعدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « حمرة » بالمهملة .

(٥) « وتنفى » .

وأما الذكر والنسيان فليسا بخُلُقَيْنِ محضَيْنِ ، ومنشؤهما بالمزاج ، وأحدهما من علائق النفس العالمة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .
[وأما الذكاء والبلادة^(١)] فهما خُلُقَانِ ، ونعتهما كنعمت الذكر والنسيان ، إلا أن هذين^(٢) يعرضان في الحين^(٣) بعد الحين ، والأخريان^(٤) كالراسخين في الطينة .

وأما الغبطة والحسد فخلقان رُسمِ الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أُوتِيَه صاحبُك [ورُسمِ الثاني بأن تتمنى زوال ما أُوتِيَه صاحبُك]^(٥) وإن لم يصل إليك . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لأنَّ الكلام الذي كان يجري ، هو على مذهب الخدمة .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعتمدا حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لأنهما^(٦) تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين الأخريين ؛ ولبعضها حِدَّةٌ بالزيادة ، ولبعضها كَلَّةٌ بالنقص ، فلم يكن التحديد يُفَصِّلُ^(٧) كلَّ ذاك ، فلم نخرج^(٨) على شيء عجزنا عنه قبل أخذنا فيه . وتُتمُّ بقية ما علق بهذه الجملة ، فنقول :

وأما الدماعة والكزازة فخلقان محضان تابعان للمزاج ، ثم المران يزيدهما قوة وضعفا ؛ وهما للنعمة أقرب ، كالسهولة واليسر ؛ ولذلك يقال : « ما أذمت

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أى الذكر والنسيان .

(٣) « الحين بعد الحين » .

(٤) الأخريان ، أى الذكاء والبلادة . وفي الأصل « والأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يخرج » .

هذه الأرض » ، أى ما أَرخاها وأَليَنها ؛ وفي التَّمَثَل : « دَمَتْ لَجَنِّكَ قبل النوم ^(١) مضطجماً » .

وأما الحق والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخُلُق فى شىء ، وهما من نتائج المعرفة والنكرة ، لأنك تعرف الحق وتنكر الباطل ، وذلك لأغراض تتبعهما ، ولواحق تلتبس بهما .

وأما القوى والزُّشْد فليسا من الخُلُق ، لكنهما من علائق الأفعال الحميدة والنسيمة ؛ وللرأى والعقل ^(٢) فيهما مدخل قوى وحفظ تام .

وأما البيان والحَصْر فليس بينهما وبين الخُلُق علاقة ، وإنما يتبعان المزاج ريزيد فيهما وينقص الجهد والتوانى والطلب والقصور .

وأما الثقة والأرتياب فخلقان يغلبان ينفعان ويضران ويُحمدان ويُذمَّان ألا ترى ^(٣) أنه يقال : لا تثق بكل أحد ، « ولا ترتب بكل إنسان » وهكذا العلَّمانينة والثَّهمة ، لأنهما فى طبيهما .

وأما الحركة والسكون فليسا ^(٤) من حديث الخُلُق فى شىء ، لأنهما عامتان ^(٥) لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشراً أم كان معتقداً ؛ وفى الحركة والسكون كلامٌ واسع ، وذلك أن ههنا حركة إلهية ، وحركة عقلية ، وحركة نفسية ، وحركة طبيعية ، وحركة بدنية ، وحركة فلكية ، وحركة كوكبية ، وحركة

(١) فى الأصل « الترب » . وهذا صدر بيت ، وبجزه :

* لا تسلكن طريقاً غير مأمون *

(٢) « والمقد » .

(٣) « إلا أن ترى » .

(٤) « فلياً » .

(٥) « علان » .

كأنها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الأقسام في السكون ، كما وُجد الأقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كافٍ في هذا الموضع .
وأما الشك واليقين ، فن علائق النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما ^(١) .
وأما التوقى والتهور ، فهما خلقان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يبطل ^(٢) أحدهما ^(٣) ، والحسن ^(٤) يغلب الآخر ^(٥) .
وأما الإلف والممل فخلقان محضان ، يُدَمَّان ويَحَمَدان على قدر المألوف والمملول ، وإن كان جريان العادة قد وفر الحمد على الإلف ، والذم على الممل .
وقد مديح زيد فقيل : هو ألوف . وذم عمر و فقيل : هو مملول .
وأما الصدق والكذب ، فن علائق النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان ^(٦) [راسخين ^(٧)] فيلحقان بالخلق ، إلا أن الصدق ممدوح ، والكذب

(١) يلاحظ أنه لم يرد فيما سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « تغل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « والحسن » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » التوقى .

(٦) « يكرآن » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة : « فإذا رسخ اعتيادهما استحالا خلتين » .

مذموم ، هذا فى النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجى به ؛ فهما إذن بعد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كَذَبَ لينتفع ، ولم نجد من صدق ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكتهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يعتمان الأفعال والأقوال ، فإذا رَسَخَ اعتيادها أستحالا خلقيين .

وأما النصيح والغش ، فهما خلقتان ، وطرفاهما يتعلقتان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، والألّهج والسؤ ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجز هذا كله فى المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضّم هذا كله إلى حرمته ^(١) ، وأبلغ الممكن من مقتضاه فى تشتمه .

وقال ^(٢) لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد همّ بالإقلاع . قلت : قال أبو سعيد الذهبي الطيب : لو علم الذى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجانا لصال على الثيران ^(٣) .

فضحك — أضحك الله سنّه ، وحقّق فى كلّ خير ظنّه — وقال : إن كنت تحفظ فى غرائب أخلاق الحيوان شيئا فأذكره إذا حضرت ، فقد مرّ فى أخلاق الإنسان ما يكتفى مجلس الإمتاع والمؤانسة ، فإذا ضمّ هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصّر كافٍ ، وتذكرٌ شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمة » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .

لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميع قوى الحيوان
ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار رجا له سائسا ، ومصرفا له حارسا ، ونظرا
إلى ما سُخِّرَ له منه فاعتبر ، وقاد^(١) نفسه إلى حسن ما رأى ، وعزفها عن^(٢)
قبيح ما وجد ، ولم يَجْزُ في الحكمة أن يُحَرِّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب
السنئية ؛ والمنافع الهنية ، فإن قال قائل : فالملائكة إذن قد حُرِّمت هذه الفضيلة ،
فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِقَ كاملا لم يَكْفُ أن يَكُلَّ ويتكامل
ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سببا إلى كماله المُعَدَّ له وغايته المقصودة .
فإن زاد فقال : فهلا خُلِقَ^(٣) كاملا ؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدَل ، لأعلى
طريق البحث عن المَلَل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وجب أن يكون الأمر مقسوما
بين ما يحوز الكمال بالجَبَلَة^(٤) ، وبين ما يَكسِب الكمال بالقصد .

ولما وجب هذا بالحكمة سَرَتْ إليه القدرة ، وساج به الجود ، وأُشتملت
عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

وههنا زيادة في شرح الخُلُق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع
الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة
عليه في مزاج القلب يكون شجاعا بذلا^(٥) ملتها ، سريع الحركة والغضب
قليل الحقد ، زكي الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليدا ، غليظ الطباع ، ثقيل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالجبل » .

(٥) « دالا » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب ، سمح النفس ، سهل التقبل كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صعب القبول يضبط ويحتد^(١) ، ويمسك ويبخل ؛ وهذا النعت على هذا التنزيل — وإن كان مفهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخفية^(٢) ، وفيها بدائع لا تكاد تنتهى ، ومجائب لا تنقضى ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئِهِ وإن تَخَلَّقَ أخلاقا إلى حينٍ
وقال آخر :

إرجعْ إلى خِيَمِكَ المعروفِ دَيْدَنُهُ إنَّ التَخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ
ولولا أن النزوع عن الخلق شاق لما قالوا : تخلق فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالق الناس بخلق حسن » ، وعلى هذا يجرى أمرُ الضريبة والطبيعة والتَّحِيَّةِ والغريزة والتَّعِيِزَةِ والسَّجِيَّةِ والشَّيْمَةِ ، وربما قيل : الطبيعة أيضا ، ثم العادة تاليةٌ لهذه كلها ، أوزائدة فيما نقص فيها ، وموقدة لما أخذ منها .

الليلة العاشرة

ولما عُدْتُ في الليلة الأخرى ونَمِيتُ بهذه الفضيلة ، تفضَّل وقال : ما في العلم شيء إلا إذا بُدِئَ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مَقْطَع ولا منفذ ثم قرأتُ عليه نوادرَ الحيوان ، وغرائب ما كنتُ سمعتهُ ووجدتهُ ، فزاد عجبًا

(١) « ويحد » .

(٢) « وخفية » .

وأنا أرويه في هذا المكان حتى يكون تذكرة وفائدة — إن شاء الله تعالى .
يقال : إن أسنان الرجل أثنان وثلاثون سنا .
وأسنان المرأة ثلاثون سنا .
وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .
وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .
وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .
وأسنان الثيس ثلاث وعشرون .
وأسنان الغنز تسع عشرة سنا .
الذى ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط .
ومن الحيوان الوحش ما يستأنس سريعا : الفيل
ويحكى أن الحيوان الذى أسنانه قليلة عمره قصير ، والذى أسنانه كثيرة
عمره طويل .
الفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار
فتظهر إذا شب وكبر .
قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن
قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .
الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .
الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .
وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :
(إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذى يتأخر نباته ،
وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبير .
 وشعر الأشفار لا يطول .
 للأرانب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .
 القنفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .
 والبرية منها تسفد قائمة وظهر الأنتى لاصق بظهر الذكر .
 الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .
 الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزوي على الأنثى .
 الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع
 قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا تربى ولا يبقى
 لها ولد .
 الفيل الذكر ينزوي إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع
 والأنثى تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .
 إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف المريض
 ثم يرق بعد ذلك .
 كل ما كان من البيض مستطيلا محدّد الطرف فهو يفرخ الإناث
 وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرخ الذكور .
 وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض ^(١) تمرض .
 القبيج ^(٢) إذا هاج ووقفت الأنثى قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية
 الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القبيج : الكروان .

الحمامة إذا نُتِفَت ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .
مبدأ خلق الفَرخ من بياض البيضة ، وغذاؤه من الصُّفرة ، فإذا خرج
فرخان كان أحدهما أكبر جَسَةً من الآخر ، والذكر منهما من البيضة الأولى
ومن الثانية الأُنثى .

الفاخنة^(١) تعيش أربعين عاما .

والحَجَل^(٢) يعيش عشرين عاما .

الرَّخمة تُفرخ على صخور مشرفة عالية لا ينالها أحد ، ولا توجد رَحمة
وفراخها إلا في الفَرط^(٣) .

العقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كل طائر عظيم الجثة
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجثة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالحداة
والبُرّة وما أشبه ذلك .

إناث الغربان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والذكر يأتيها بالطعم حينئذ .
الحَجَل تَعْمَلُ عُشَّين يجلس الذكر على واحد ، والأنثى على واحد .

الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .
ويحضن بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبيض في كل سنة
مرة واحدة ، وعدد بيضه اثنتى عشرة بيضة ، ويُلقى ريشه في زمن الخريف
وبعد قليل ، وذلك حين يُلقى الشجر ورقه ، فإذا بدا أول الشجر وظهرت
فروعه ، ونبت ورقه بدأ ريشه يَنْبُت .

(١) الفاخنة : ضرب من الحمام الطوق .

(٢) الحجل : طائر على قدر الحمام كالمقار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو
صنفان : نجدي وتهامى ؛ فالنجدي أخضر اللون أحمر الرجلين ؛ والتهامى فيه بياض وخضرة .

(٣) الفرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الثَلْفَيْن ^(١) له لبن ، ويُرضع ، ويَحْمِل عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غلب تحت الموج في ثلث ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو محب لخُرثه يأكله .

الجمل الذكْرُ يكره قُربَ الفرس ويقَاتله إذا تمكن منه .

الشاة إن مُطرتْ بعد نَزْوِها أُنْتَقَضَ حَمْلُها .

الغَنَمُ إذا أُزِيَتْ والريحُ جَنُوبٌ تضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت المروق آتت تحت السن الكباش الفحول بيضا فإن إناث الغنم تضع حُمَلانا بيضا ، وإن كانت المروق سودا فإنها تضع حُمَلانا سودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شُقرا خرجت شُقرا .

الغَنَمُ إذا هاجت المُسِنَّة منها أولا فالسنة ذاتُ خِصْب ، وإن هاجت الفتية أولا فالسنة رديئة على الغنم .

الكلبُ السَلُوقِيّ [يَزُو ^(٢)] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأُنثى منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها عُمى ^(٣) اثنين وعشرين يوما . ومنها ما يحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تطعمت في كل سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رِجلها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر وبعضها في ستة أشهر .

(١) الدلفين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجي الغريق ؛ وصفته كالزق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .

ذكور الكلاب^١ السلوقية تعيش عشر سنين ، وإناثها اثنتى عشرة سنة ، ومن أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلها أطول أعمارًا من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .
وليس تلقى الكلابُ شيئًا من أسنانها سوى النابيين ، فإذا تمَّ للكلب أربعة أشهر أبقاها .

البقر تلقى أسنانها لسنتين ، وإذا كثر نزوُّ الذكور منها وحملُ الإناث يكون ذلك علامةً شتاء وجودِ أمطار وخصب ، وإناثها تطمئ .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهرًا ، أوفى الثانى عشر .
الحيات رغبةٌ نهمة ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت الشراب فإنها تشتاق إليه جدًا .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .
البقر تشتهي شرب الماء الصافى النقى ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل الجمال الماء الكدر الغليظ .

الغنم فى الخريف تشرب الماء الذى تصيبه ريج الشمال ، وذلك الوقت أوفق لها .

الثَّزَاج إذا هبَّت الرِّيح شمالًا تتزَاج^(١) وتُخصِب ، وإن كانت جنوبًا ساءت حالها ومرضت .

السماك الذى يأوى إلى الشطوط من ناحية البرِّ الذى يأوى إلى البحج وما كان منها مستطيل الجثة فهو يُخصب فى الصيف وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تتزَاج » .

الجملة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب الطَّم .

والسمك الجاسى الجلد يخصب في السنة المطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها .
الكلب له ثلاثة أمراض : الكَلْب ، والدُّبْحَةُ^(١) — وهو القاتل لها —
والنَّقرس .

والداء الذى يقال له الكَلْب يعرض للجمال أيضا ، فإذا كَلِبَ الجمل بَحْرَ ولم يؤكل لحمه .

الخيل إذا أَلَت حوافرها وقت تَنْصُل^(٢) نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلاوة ذلك اختلاج الخصية اليمنى .

ويعرض للخيل داء شبيه بالكَلْب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها ، وامتناعها من المَلَف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون فى بلد الهند خنزير . لا أنيس^(٣) ولا برى ، وفى أرض تُعرف بكذا يحجز البقر كما يحجز الغنم ، وفى أرض الثوبة تولد الكباش نابثة^(٤) القرون .

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتَّنين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حينما وجدتتها .

(١) « والدحة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « لا أنس ولا يرى » .

(٤) « ناثثة » .

الغُذاف^(١) يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله ، لأن البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شددت البومة على بيض الغُذاف فأكلته . بين العنكبوت وبين الحرذون^(٢) شرٌّ ، لأن الحرذون يأكل العنكبوت . عصفور الشوك يقاتل الحمار ، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع يبيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فلهذه العلة يطير هذا العصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما .

والحية تعادى الخنزير وأبن عرس ، لأنها يأكلان الحية حيث وجداهما . الغُذاف مصادق للثعلب ، والثعلب مصادق للحية ، « والسبب^(٣) في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرعى ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم .

الخليل إذا ضلت الأنتى منها أو هلكت ولما ولد فإن إناث الخليل ترضعه وتربيه ، وذلك أن جنس الخليل في طباعها حب أولادها .

الأيائل تُلقي قرونها في أماكن عَمِرة صعبة ، لا تَرْتَقِي لثلاثاً تؤخذ ؛ ولذلك قيل في المثل : حيث تُلقي الأيائل قرونها ، فإذا أَلقتها توقّت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد أَلقت سلاحها . وقيل : إنه لم يماين أحد القرن الأيسر من قرنيتها ، لأن فيه منعمة عظيمة .

(١) الغُذاف : غراب كبير يكون ضمن الجناحين .

(٢) الحرذون : دوية شبيهة بالضب ؛ وقيل : ذكر الضب .

(٣) بلا حظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشائهما من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصغير والغناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يغنى ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصغأها^(١) إلى الصغير والغناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [عليه] .

الفهد إذا أكل العشب التي تسمى خائقة^(٢) الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالمج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

القالق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صمغاً برياً .

يقال إن ذكور العصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواقها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .
إذا دنا الصياد من عش القبج فخرج الأنتى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع بيض أنثاه فيدحرجه — مخافة أن تقعد عليه وتشتغل عنه — فيفسده ، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتخفي موضع عشاها ، فتبيض في أماكن خفية ، ومتى^(٣) قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خائقة » .

(٣) « ومن » .

قامت عنه وأطعمت في نفسها حتى تبعد عن أما كن يبضها ، فإذا بعد طارت
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رائحته كريهة .

العقاب تصيد منذ حين الضدة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح^(١)
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنقار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها
لأنها لا تنال به العظم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضعها في عشه
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير الملققة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القروط ، لأن خشونة
الصخر مخالفة لتعقف مخالبا .

النحل تعمل عشها في زمانين : في الربيع والخريف . والعسل الذي عمله
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف

وأضعف العسل يكون أبدا في أعلى الإباء ، والنقي الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دُلكت بمض عظامه ببعض خرجت منها
نار كما تخرج من الحجارة .

الحيوان الذي له شعر [في أشفار^(٢) عينيه] ليس في أشفار عينيه شعر إلا
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشفار في الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « الصبح » وهو تبديل وقع من الناسخ ينافى ما قبله .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

القفذ تبيض خمس مبيضات، وليس هو يبيض بالحقيقة، بل هو على صورة البَيْض، يُشبه الشحم.

قلب كل حيوان طرفه حاد، وهو أصلب من سائر جسده، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى، لأنه يكون بإزاء^(١) الجانب^(٢) الأيسر فيعادل الناحية اليمنى، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا.

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظاما دون غيرها من الحيوان. وكل حيوان له قلب كبير يكون جزوعا. الكلاب الهندية تتولد من كلب وسبع يشبه بالكلب. والحمار حيوان بارد، ولذلك لا يكون الوحشي منها [إلا^(٣)] في المكان البارد.

ذكور البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر. بَيْض الطير فيه لونان: بياض وصُفْرَة. وبيض السمك فيه لون واحد. إذا كانت الريح جنوبا كان المولود أنثى، لأن الجنوب إذا هبت رطبت وإذا أشملت كان المولود ذكرا. عيون جميع الصبيان ساعة ولادتهم سُهل^(٤)، ثم تنتقل إلى الطباع الثابتة عليها.

(١) « بإزاء ».

(٢) « الجانب ».

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٤) سهل: من الصلة بضم الشين، وهو أن يتوب سواد العين زرقة؛ وقيل أن تشوب الحديقة حمرة وليست خطوطا.

وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر^(١)
ألوان كثيرة .

صاحب العين الناتئة^(٢) لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيّدا ، والغائرة تُبصر
ما بعد عنها ، لأن حركتها لا تتفرّق ولا تتبدّد .

الفهد ربما نكح الذبّ فيتولّد بينهما سبعٌ مختلف المنظر ، لا يتناول الناس
ويصيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أيلٌ مفاجأة وثب
عليه وأنشب^(٣) مخالبه في أكتافه ومصّ دمه حتى يضعف الأيل^(٤) ويسقط
فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه
وتركت الفريسة له تقرّبا إليه .

بأرض يونان معزى جمدة الصوف ، يقال لها : المعزى البرية ، فإذا
أصابت قرونها شيئا من قُضبان الكرم لم يَنْبِت ورقه ولا ثمره ، بل يحفّ مكانه
ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السُّلْحَفَة تخرج من البحر إلى الرمل فتَبْيِض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه
وخرج أولادها ، فسا كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه
إلى ناحية البر كان برّيا .

والسُّلْحَف تمتنع من الذُّكران ، فيأتونها بعود يحملها في فمها ، ويدنون منها ،
فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السُّلْحَف بحريا فخرج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنشب » .

(٤) الأيل .

الرجوع إلى البحر وبقي حتى هلك . وما كان برّياً فوقع إلى ناحية البحر تَلَف ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيُّ عُشَّهُ وَوَكْرَهُ ذَا سُبْعَةِ أَجْحَرَةٍ ، فَإِذَا^(١) طَرَقَهُ الْكَلَابُ وَغَيْرُهَا مِمَّا يَتَخَوَّفُ [فِي جَحْرِ^(٢)] خَرَجَ مِنْ غَيْرِهِ .

وَإِذَا قَارَبَ الزَّرْعَ أَنْ يُسْبِلَ^(٣) دَخَلَ الثَّعْلَبُ فِيهِ وَتَمَكَّكَ فَرَحَابَهُ ، فَيُفْسِدُ ذَلِكَ الزَّرْعَ ، وَلِذَلِكَ سَمِيَ اخْتِرَاقُ^(٤) الشَّعْرِ : دَاءُ الثَّعْلَبِ ، لِأَنَّهُ^(٥) يُسْقِطُهُ كَمَا يَذْهَبُ وَرَقُ السَّنْبِلَةِ وَالشُّوْكَ .

الْقَنْفَذُ يَمْعِدُ إِلَى الْكُرْمَةِ فَيَحْزِرُهَا فَيَقَعُ مِنْهَا الْعَنْبُ ، فَيَتَمَرَّغُ فِيهِ حَتَّى يَمْلَأَ شَوْكَهُ وَيَعُودُ إِلَى عُشِّهِ ، فَإِذَا بَصُرَتْ بِهِ جَرَاؤُهُ أَطْلَفَتْ بِهِ تَلْتَقِطُ ذَلِكَ الْحَبَّ مِنْ شَوْكِهِ وَتَأْكُلُهُ .

الذَّنْبُ إِذَا هُمِّيَ مِنْ مِعَاهُ وَتَرَّ وَهَمِّيَ مِنْ مِعَى الشَّاةِ وَتَرَّ ، ثُمَّ عُلِقَا بِآلَاتِ اللَّامِي ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِمَا ، صَوْتُ الْمَعْمُولِ مِنَ الذَّنْبِ ، وَخَرَسَ الْوَتَرُ الْمَعْمُولُ مِنَ الشَّاةِ . وَكُلُّ شَاةٍ يَتَنَاوَلُ الذَّنْبَ مِنْ لَحْمِهَا يَكُونُ لَحْمُهَا حُلُواً لَذِيذاً ، وَكُلُّ جِزَّةٍ صَوْفٍ تَهَيَّأُ مِنَ الشَّاةِ الَّتِي قَدْ تَنَاوَلُ الذَّنْبَ مِنْهَا قَلِيلُ الثَّوْبِ الْمَعْمُولِ مِنْهَا مِنْ قِلِيلٍ سُمِّ^(٦) أَسْفَانِهِ .

الْكَلْبُ إِذَا مَرَضَ أَكَلَ حَلْفَاءَ رَطْبَةً .

(١) « كَمَا إِذَا » .

(٢) هَذِهِ التَّكْلَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَفْتَضِيهَا .

(٣) « يُسْبِلُ » .

(٤) « اخْتِرَاقٌ » .

(٥) « لِأَنَّهُ » أَيْ دَاءُ الثَّعْلَبِ ؛ « يُسْقِطُهُ » ، أَيْ يُسْقِطُ الشَّعْرَ .

(٦) « سُمٌّ » .

والأيل إذا مرض أكل حية .

والضبع إذا مرض أكل كلبا .

الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد ضرس فيزول ذلك .

الرخة إذا ضعف بصرها بقرت مرارة إنسان

الأعز البرية [تألف^(١)] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا
حق تأتي البحر لكان تلك الحيتان ، فلما عرفت ذلك الملاحون سلخوا جلود تلك
الأعز ، ودنوا^(٢) بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت^(٣) تلك
الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها الملاحون .

ليس من السباع شيء صلبه عظم واحد بلا خرز إلا الأسد والضبع .

من ربط على بدنه سيفا^(٤) من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئب .

والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجري .

المعز البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا
من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت أنفسها من تلك الصخور
لتفيتها بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات
على قدر ما يكون عدد سننها^(٥) .

والعجب أنها تحفظ إناثها عند الكبر وتتمهدها بالمطعم والمشرب تحمله
على أفواهها .

(١) في الأصل : « الأعز البرية حيتانا » بقوط كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها .

(٢) « وذبوا » .

(٣) [ظهرت] .

(٤) « شيتا » .

(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخالها تبعته ورضيت بالعبودية مع ولدها
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدتْ هلكَتْ مكانها .

الورشان^(١) يتحرّز بأن يضع ورق الغار في عُشه .

والحدأة تضع في عُشها ورق الملق يتحرّز به .

الخطاف يضع في عشه قضيب كرفس .

التدرج^(٢) يضع في عُشه سرطاناً نهرياً .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزَوْ^(٣) حماراً على فرس جزّوا عُرفها ففقر^(٤) حينئذ
وتذلّ لكدم^(٥) الحمار لها .

يؤنان ثيران لها أزيمة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجماع إناث
الخليل ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر .

الجاموس لا ينام أصلاً وإن أرخى عينيه إرخاء يسيراً ، لكنه ساهر
الليل والنهار .

الجل إذا وقع على الناقة وقع الضراب سُترَ عن الرجال ، فإن نظر إليه
رجل غضب .

قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبى وحجازى ، والنوبى أشجاءها صوتاً .

(٢) التدرج : طائر كالفرج حسن الصوت يفرّد في البساتين .

(٣) « يشترّوا » .

(٤) « فيفر » وهو عريف .

(٥) « لكدم » . والكدم : المض .

[لَا يَنَامُ^(١)] البوم إلا إغفاء^(٢) .

ومن العجب أن السنور يكون صافى العين كثير البريق عند أمتلاء الهلال وينقص ذلك الصفاء^(٣) والبريق عند نقصان الهلال .

الأفعى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقها له .

ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أسود صغير ، سريع المشى ، جاد^(٤) الذهب الحرذون^(٥) تفسيره بالعربية الذى يخرج من الزعفران .

النمساخ لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرئيس ويبيض كبيض الإوز ، وربما يؤلّد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما ازدادت سنو حياته . وسنّه اليسرى نافعة لحمى النافس .

وذكر أنه يجامع ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد .

الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والفيّل ، وله قرن ينبت من أنفه كأنه سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيّل ويبعج^(٦) بطنه بقرنه ، ولم يُعَين من هذا الجنس أنثى قط .

فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولّد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة مساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) « إغفاء » .

(٣) « الصفا » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحرذون غير عربى ولا أن تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « وبعج » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكلوا منه تمهاتاً ولا يحقد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذئبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرمى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأتون بجسمها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كان منها ذكر لم يجامع أنثى قط ، وإذا أرادت الجماعة فإنها تجتمع وتجلد^(١) فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحداً وثبت كلها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضاً .

ومن لبس جورباً من جلودها وبه نقرس انتفع به جداً .
وإذا ابتلى إنسان برعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنقذ في لبن وأشتمه أنقطع ذلك الرعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف أو على صخرة أو تل ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحداً مقبلاً أو سبها صر^(٢) بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن الموضع إلى جحرتها فإذا أغفل ذلك وعابت البقية سبها أو راجلاً قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييعه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع فقطعت أطراً ما يكون من الخضرة وأطيب المشب فحملت بأفواها حتى تأتيه تحية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتفرخ » والمراد بالجلد هنا جلد مميرة .

(٢) « صر » .

وإذا كانت في جِحرَتها خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحداً صرَّ بأسنانه وصوت لها لتخرج فترعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعاً لياً كله يظن^(١) أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارته ولقيت ذلك الحوت رَمَى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرَح أداة صيده .

فإذا رأى الحوت أن الصنارة داخلته أضلاعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون يغطون سُنُفهم به عندما يتبيّنون^(٢) الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه^(٣) اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فنأخذ من جلدها وسنمر به شراع السفينة لم يخف على سفينته^(٤) غرقاً .

السريع الحضر أربعة : النمر والتحرّيش^(٥) وعنز الجبل وكباشها .
عدو الحيات أربعة : القنفذ والفيل والأيل والعقّاق .

(١) « فظن » .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « سون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : العقيق .

(٤) « لسفيتها » .

(٥) الحرّيش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جداً ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يسجّر القناس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصبب مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .

ذو الزهو ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .

ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والغُلْدُ ^(١) .

القادر في التزاوج ثلاثة : المصفور والحمام والمَقَقَّ ^(٢) .

ذو الشهوة ثلاثة : المصفور والثور والباشق ^(٣) .

لمتحارس بالليل اثنان : السكركي والبط .

نافى فراخه ثلاثة : النعام والغُذاف والعُقاب .

محب الظلمة ثلاثة : اليوم والحفّاش والغُلْدُ .

ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والباشق .

من أخذ لسان ضبع وصر به بين الكلاب لم تكلم عليه .

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحية هربت

منه . وعَنَبَ الحية هو الحنظل :

وذكر الحُبَارَى يقال له : الخَرَبُ .

إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فليُنظر إلى أبيها وأخيها فإنها بعيانه ^(٤)

وبين يديه أحدهما .

(١) الحُلْدُ : دوية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجرذان .

(٢) المَقَقَّ : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب ، وجناحاه أكبر من جناس الحمامة ، ذولونه : أبيض وأسود ، طويل القنب .

(٣) الباشق : ضرب من بزاة الصبد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأكل ديناً ويستوحش حيناً .

(٤) الواو في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يعاينها حال كون أحدهما مائلاً ن يديه بعيانه . وفي الأصل « بعيانه وبين يديه بأحدهما » .

من الحيوان ما لا يشبه الولدَ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبَرُ^(١) .
 أما الديبة فتضع أولادها توائمَ لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهيبُ
 ، وتسويها بلحسها إياها بالسُّتْها...^(٢)
 وأما الدَّبَرُ فإنها تلد دودا يتصوّر بعد ذلك .
 الضفادع والفيالم^(٣) والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما
 عندها سيّان لا تهلك في برّ ولا تُخَنَّق في بحر .
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذو أسنان قواطع صلاب ، وأعناقٍ قصارٍ شداد ،
 ومخالبٍ وأظفارٍ حداد ، ومناقيرٍ معقّيةٍ جذابة .
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشمّ ريح الصيادين عَنَى
 على آثاره بذنبه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيدوه .
 والثانية أن القبوة تلد شبلها ميتة ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يقظتان .
 ومن تمسّح بشحم كلى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن
 افترس^(٤) الأسدُ الفريسةَ ولم يأكلها ميّز أن ريحها منتنة جدا .
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسُّتْها : الكلابُ والسنائير .

(١) « الدين » . والدبر : الزناير .

(٢) « سورده » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكور السلاحف ، الواحد غيلم بفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفتحة العيون ، وإنما تنفتح بعد ذلك .
 وأما الأسد^(١) خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرى شيئا من السباع
 كفؤا له فيصحبه ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع
 ويهر^(٢) زهير^(٣) كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .
 وإنما تلد اللبؤة واحدا ويحرق^(٤) بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .

الثلب إذا جاع فلم يتقدر على صيد عمده إلى أرض شديدة الحر وإلى
 موضع الطير^(٥) إذا حمى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه
 وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه
 ليا كل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سرعا وقبض على
 ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب^(٦) ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فآثر
 فيه آثارا وكلّم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا^(٧) فأبرأها به .

القرد أهيا الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غضوب سريع الحس ،
 لا يكون في بلد كثير السباع ، عدو لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش^(٨)
 خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يفيد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان

التي له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من النسخ .

(٢) يهر ، أى يجعلها تصوت من الفزع والخوف .

(٣) « ويحرو » .

(٤) « البير » .

(٥) الحب بكسر الحاء وتشديد الباء : الخداع والسكر .

(٦) كذا في الأصل . والذي في ابن البيطار : قنطريون ؛ وهو صنفان : كبير وصغير ،
 فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب ؛ وله ساق شبيهة بساق الحمّاض
 طولها ذراعان أو ثلاث . وله شعب كثيرة من أصل واحد ، عليها رهوس شبيهة بالخشخاش الخ
 وهذا هو المراد هنا .

عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .
ومن أراد قتله ^(١) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غارِه ، فإنه لا يمتنع ؛
خفيفُ الجرم ، حديدُ الشد ^(٢) يَقْظان .
دابة يقال لها بالفارسية (درباست) إذا طلبه القانص ^(٣) أَسْتَلَقَ لظهوره
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يُطلب منه .
خُلِقَ الجبانُ من الحيوان الخائفِ سريعَ الحُضُرِ سريعَ الحركة ، وجُعِلَ
الصنفُ الجريءُ العادي بطيء الحُضُرِ ^(٤) مبلداً .
الضبع مخالفة ^(٥) لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصير مرة ضبعا ذكرا
ومرة أنثى ، تُلَقِّحُ أحيانا كالذكر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأُنثى .
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت
ظله ^(٦) فوقع .
« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومرّ بين الكلاب لم تَكَلِّبْ ^(٧) عليه ، ولم
تعرّض له .
ومن مرّ بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه
وهربت منه » .

(١) « قتله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القانص » .

(٤) « الحذر » .

(٥) « مخالف » .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأسكتته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

القنفذ عدو الحيات ، إذا قبض على حية تركها تضطرب على شوكة حتى تموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل^(١) الثور ، والغالب عليه الانبحار في مغارته^(٢)

الفيل ليس له شهوة السَّفاد^(٣) ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناناً^(٤) فيها اللُّفاح^(٥) هو وإنائه فهيج له اللُّفاح برائحته وقوة حرارته شهوته فتسافتت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصالها ليست مواتية كأوصال التي تلد بركة وراضة غير أنها تلد في الماء حذراً على دَغْفِلِها أن يموت إذا وقع على الأرض ، فلذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ الماء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والدَّكْر في ذلك يحرسها وولدها من الحية .

ما أشدَّ عداوة الفيل للحية ؛ حيثما أصاب الفيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومه إذا اتكأ على شجرة . ومن هناك — لما عَرَفَ أهل تلك البلاد^(٦) كيف نومه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمنشار ، فإذا أتاها الفيل واتكأ عليها وقفاً على الأرض معا ، وحينئذ يشتدَّ صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جَزَعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتي الفيل الذي هو في الجسم أصغر ، وفي

(١) في الأصل : « يصل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما يأتي في

س ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مغارته » .

(٣) « الفساد » .

(٤) « وحصاناً » .

(٥) « اللُّفاح » بالفاء .

(٦) تلك البلاد ، أى التي تكون فيها القبيلة .

الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره^(١) تحت القيل الساقط ، وتفعل كفعله جميعا في إدخال مشافيرها^(٢) تحته حتى تدنمه فينبعث ، وإنما كَوْنُ رأسُ القيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدلَ العنق الطويل المشفر الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرابه .

وخُلقت قوائمُه غيرُ منفصلة ، لكنَّها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقل ؛ ورُبِطت بمراقيب صغار غير منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكنَّ عظامه مفرغة إفراغا .

تطول أعمارُها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أنَّ الجُرْذان والبق تعلق بالقبيلة فتؤذيها . السَّمْدَل^(٣) : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبيد الأجسام مبعثا لهذه الدابة التهمينة الحقيرة ، تستلذّ التقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه^(٤) الطيبة ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسن لون .

الأرنبُ من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة .

الكلب ذو فخص وأقتناء للأثر ، وبشمه يسترشد^(٥) ويهتدى ويستدل إذا شمَّ العوْلى عرقه إن كان له أولفيره .

ومن طباعه التزمى والبصصة والمشاشة^(٦) لمن صرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مشافيرها » .

(٣) السمدل : دابة دون الثعلب خلجية اللون ، جراء العين ، ذات ذنب طويل .

وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوبة » .

(٥) « يسترشد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشدّ حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له ^(١) على صيد وثب ناصبا رأسه وافما ذنبه مستعدّا كالقارص ، البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكنّ ذلك منه حسن طاعة .
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأمّ ولأب فما قد عهد وشوهد ، وذلك أنه حيث كان يُطرح لها الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها يسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسفاد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .
الذئب إذا رأى الإنسان مبطلًا خطوه وهو ساكن سكّته ، فإن رآه خاف وجبن اجترأ ^(٢) وحل عليه وكبسه .

وليس كلّ ذئب يعدو ، ولكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلّتان : أحدهما أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة سمّيه ، إن خفي عليه مكان الغنم أتى مكانا وعوى صوتين ^(٣) أو ثلاثة ، ثم سكّته منصتا لأصوات الكلاب التي مع الغنم ونباحها حين سمعت عواءه ^(٤) ، فإذا سمع نباح الكلاب شدّ ^(٥) مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من الغنم مال إلى ناحية أخرى خالية من تحرّس ^(٦) الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من الغنم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاءه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي الثانية تحريف .

(٢) « واجترأ » .

(٣) « قوتين » .

(٤) « عواء » .

(٥) « مدّ » .

(٦) « محرّس » .

حمار الوحش إذا ولدت الأنتى الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى
تلك الذكور وقطعها بأسنانه لكيلا^(١) تُصَادَ أو تُشاركه في طروقة^(٢) ، إلا
أن الأنتى ربما وضعت ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسمه وتصلب
خوافره ، ويقوى بالشدة على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يقل منها القحول .
الحريش^(٣) دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من
قوة الجسم وسرعة الحضر ما يُعجز القناص^(٤) عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن
واحد منتصب مستقيم ، به تُناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيفة ، فإذا رأتها وثبت إلى
حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت
في حجر الفتاة أَرْضَعَتْها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان
من الخمر والوسنان من النوم ، فيأتيها القناص^(٥) على تلك الحال فيشد من
وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الابل عدو الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً
الابل فاه من القدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم أجتذب
الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت
أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قتلها وتركها
فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المُميت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون
على اصطيادها .

(٢) يريد بالطروقة : الأتان التي يطرقها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملأها لذبا عندها .
وإن دخن البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل فرمت
منه كلها خوفا .

على أن الأيائل نفسه جبان شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنها حتى
ينتهي إلى رأسها ، ثم يقطعه بأسنانه ، وأكبر^(١) من ذلك [أنه] يتعلق
برءوسها وتبقى في الهواء . وتكثر فيه الميرة^(٢) ويعطش عطشا شديدا فيعوج
إلى غدير الماء .

الغزال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الغلباء ؛ ويقال لها باليونانية
النفطارة والمبصرة .

الثور دابة عمول كدود مقدر جسمه بقدر قوته . من طبيعته كثرة اللقي
وتوقد شهوة السفاد ، إن لم يخص لم يذل للعمل ولم يسكن ولم يصح جسمه
لأن الغلظة تحمل^(٣) جسما تنحله ، والخصاء يقطع ذلك كله . وبينه وبين
الذئب^(٤) عداوة شديدة .

أعز^(٥) الجبل وكباشه وهي الأزواء والتياتل هذا جنس متمرّد في الجبال
سريع الحضر في الشواقي والتوقل^(٦) فيها^(٧) وطبيعتها أن تلد توأم .

(١) أى وأكبر مما مرّ من دلائل جبنه أنه لا يقطع رءوسها بأسنانه كما سبق ، بل
يتعلق بها فلا يأكلها خوفا ولا يلقيها من فيه فتبقى رءوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا
من معنى هذه العبارة .

(٢) المرة : خلط من أخلاط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الذئب » .

(٥) « أعزج » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقل : الصعود .

(٧) « في الماء » .

قد يوجد من البهائم ما لا يحمل ، فأما أتى الخليل إذا كانت حاملا فوطئت
أثر الذئب بحافرها أجهضت حملها .

الحارث في طبيعته معرفة صوت الإنسان الذي اعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن
طريق سلكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضلّ راكبهُ الطريق هداه وجهه على الصحبة .
وأما حدة السمع ، فليس في البهائم فيما يُذكر أحدٌ سَمما منه .

اليامورة ^(١) دابةٌ وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران
تنشُرهما الشجر ؛ إذا عطِشتُ وردت الفرات وعليه غياطل ^(٢) وغياض ملتفةٌ
أشجارها تفرّعت من أغصانها غصونٌ طوال دقاق مشبكة ، فإذا شربت ربيها
وأرادت الصّدر أشتت الاستتار ^(٣) والقُدو بين تلك الأشجار « ولجّت ^(٤) هناك »
فملق قرّناها بتلك الغصون اللدنة المتينة ، وكلما علجتها لتفلى أزدادت ارتباطا
فإذا ضجرت مما وقع فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأتوها فقتلوها .
الجل : حقود ، يرتصد من ضاربه القرصة والخلوة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنام مقبب يكون لكثرة الحمل
وأحتمال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد ^(٥) بضغط التحام مفاصله وأتصالها ولم
يسترخ مطويا ^(٦) ، لكنها هيئت على الاعتدال ^(٧) ليهون عليه بذلك البروك

(١) « اليامورة » .

(٢) الغياطل : الكثير المنف من الشجر والنبات .

(٣) « الانقيار » .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضى وضعها هنا .

(٥) « لم يشتد » .

(٦) « مطويا » .

(٧) في الأصل « الاعتدال » ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هي بين ذلك .

والنهوضُ بعمله ، مع تسهيل الارتقاء عليه في ذلك .
البغال : نوعٌ هَجِينٌ قد أنبثنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق ^(١) للناس
وأثبت حفظا .

الثيران وكل ذى قرن لا يأخذهُ القُواق .
وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ ^(٢) المتناقير
ذات حدة وقوة ، قوية الأجنحة .

والنواهض ^(٣) التي فيها القوادم أكثر طيرا .
الديك صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظا للنائم بصياحه في آناء
الليل ، والتبشير بإقبال الصبح وطلوع الشمس ، يؤنس السيارات في السفر ^(٤)
بصياحه في الليل ، ويحترضهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصنّاع
لصناعاتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ^(٥) ذلك رَوْحٌ وخفةٌ من مرضهم .
الطاوس يحب الزينة ، غير عفيف الطبيعة ، يدعوه زهوه وحرصه على
التزيّن إلى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الأتني بحسن زينته .

الكرّاكى تتحارس ^(٦) بالليل ؛ ويجمل الحارس منها يتردد في المحلة
ويهتف بصوت يسمع محذرا ^(٧) ، فإذا قضى نوبته أسترّاح وأعقبه الذي كان
مستريحا نائبا عنه حتى تقضى كلّها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر

(١) أهدى الطريق للناس ، أى أكثر هداية — لراكيه من الناس — إلى طريقه .

(٢) حجن المتناقير ، أى معوجتها ، الواحد أحجن ، والأثني حجناء .

(٣) النواهض : فراخ العقبان التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناهض .
وفي الأصل : « والنواهض » ولم نجد فيها راجعنا من كتب اللغة .

(٤) « يؤنس في السفر والسيارات (بصياحه) » .

(٥) « مع » .

(٦) « تتحارس » .

(٧) « محذرا » .

مقطعةً ، لكنها تطير نَسَقًا غير مشتعة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوه كلها لازمةً صفها ، ثم يعقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرًا في آخرها ، وتنقسم كرامة المتقدم كلها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينتقل عن مصيفه إذا هم الشتاء .

البط له يقظة حارسة تدل على حدة حسّه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين^(١) الماء ، فإذا أصابتها تحلق طائرة إلى حر الشمس وهو موضع دورانها فيحترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تقوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة^(٢) « وتذهب ظلمة عينها »^(٣) .

وأما الطريق^(٤) فيقتض الله له طائرا يقال له : قاس^(٥) فيضّه إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنه يقوّيا ويربّيه مع أفراده .

وأجنحة العقبان مفصّلة شبه ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحَجَل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تهرّكت القراخ وطارت لحقت بأمتاتها .

البُوم مأواه ومحلّه الخراب ، يوافقه الليل ، لأنه بالليل بصير وبالنهار كليل ، مع حبّه التوحّد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ماتنقضى .

(١) « من » .

(٢) « منابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريق : الملقى الذي لا يفدر على الطيران لضعفه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرُ يَتَّخِذُ وَكْرَهُ فِي الْمَكَاتِ لِعَالِي الْمَرْتَفِعِ ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ وَفِيهِ يَنَامُ كَالرَّاصِدِ ، إِمَّا فِي ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شِظَايَاهُ^(١) وَثَنَايَاهُ وَمَوْضِعِ التَّمَنُّعَةِ . وَإِذَا حَمَلَتْ زَوْجَتَهُ مَضَى إِلَى الْهِنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْجَوْزَةِ إِذَا حُرِّكَ سَمِعَ بِهِ صَوْتُ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ^(٢) — كَصَوْتِ الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسُرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَلَادَةُ جَمَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرُ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ فَيَذْهَبُ عَنْهَا الْعُسْرُ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ مَرَّةً أَتَى مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ مَاتَ زَوْجَهَا فَامْتَنَعَتْ مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ لِيَالِي^(٣) كَثِيرَةٍ صَارَتْ فِيهَا كَالنَّامْحَةِ الْبَاكِيةِ عَلَى زَوْجِهَا بِتَنْفُسِ الصَّعْدَاءِ وَزَقَرَاتِ الْحُزْنِ لَا تَلْقُطُ أَيَّامًا مُتَتَابِعَةً شَيْئًا .

الْبَزَاءُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْمَرَضِ وَالْدَاءِ^(٤) نَجْتَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبَّهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ^(٥) » . النَّعَامُ : لَا يَعُولُ أَفْرَاحَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدَحِّضُهَا^(٦) وَيَطْرُدُهَا مِنْ عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْعُدَافُ لَا يَبْيِضُ وَلَا يُفْرِخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَثْنَاهُ أَفْرَاحًا لَمْ يَزُقْهَا^(٧) وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [أَنْ^(٨)] الْبَقَّ وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزَهْوَمَتِهَا وَتَنَنِ الْجَمْحَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شِظَايَا الْجَبَلِ : قِطْعَ ضَخَامٍ تَنْقَلِعُ مِنْ عَرْضِهِ وَلَمْ تَنْفَصِلْ انْفِصَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا بِالشِّظَايَا الْعُرُوفَةِ . وَثَنَايَاهُ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لِيَالٍ » .

(٤) « وَالْدَانِيَّةُ » .

(٥) لَمْ يَتَضَحَّ لَنَا وَجْهُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؟ فَلَمْ نَحْنَا كَلَامًا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُدَحِّضُهَا : يَدْفَعُهَا .

(٧) « يَذُقُّهَا » .

(٨) هَذِهِ السَّكْمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَحْضِي لِتَبَاتِهَا .

أفواها وتبلغ ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يسكنها ويقويها .
أنحاء طَيْرَان الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض
كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يُبعد ، كالحمام والفريزان ، وبعضها
يخلق تخطيطا ، كالغمام والصقور ^(١) والأجادل والبُرّة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ،
لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البيضانى ^(٢) والأبث ^(٣) : هذا طائر يحب ولده ، فإذا تحرّكت فراخه
ودرجت ضربت وجهه بأجنحتها فيدعوه المعك والغضب المطبوعان فيه إلى
قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبه المائتم ثلاثة أيام ، ثم
إن الأم في اليوم الثالث تشقّ جنبها حتى يَقَطُر دُمُها على تلك الفراخ ، فيصير
ذلك نشورا لما بعد موتها .

مالك الحزين ^(٤) ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يُحسِن
السباحة ، فإن أخطأه أنتشال فجاء طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض
ضمخاضه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل ^(٥)]
ما يؤكل منه .

من الطير ما يكتفح من هبوب الريح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سيفاد .

(١) « والنور » .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد في مراجعنا من كتب اللغة والكتب
المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من النقط ؛ والصواب إثباتها على هذا
الوجه . والأبث : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل النقب ؛ وسمى أبث لبشته ،
وهي بياض إلى الخضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل النقب والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد
 كأَسنان ذوات الأربع ، يُرَضِع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس .
 العتق لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهتئ وكزّه في المواضع
 المشرفة العالية والقرّاء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة
 الزوج ، فإذا باضت الأنتى بيضها حصنته بورق الذئب وغطته كيلا يقربه
 الخفاش ، فإن مسّه مرقق^(١) البيض من ساعته وفسد .
 النحل يلد من غير لقاح الذكر .

الحية إذا هرمت وكلّ بصرها واسترخى جلدّها دخلت في صدع صفاة
 ضيق أو جُحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدّها فتأقّى
 عين الماء فتتنفس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت
 شابّة كما كانت . فإذا أرادت أن تضيء^(٢) عيناها أكلت الرازيانج الرطب
 فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة .
 إن أنقِع الحسك^(٣) في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جُحر الحية فرت
 من هناك .

وإن وُضِع في جُحرها أصل رَحْمٍ رطب فرت أيضا .
 وإن رأت الحية إنسانا غريانا استحييت منه ولم تقرّبه .
 وإن رآته كاسيا^(٤) سحلت عليه بجراة شديدة ؛ وما أشدّ طلبها لثأرها ؛
 وإن شدّخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرقق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرّت .

(٢) « تضيء » .

(٣) الحسك محرّكا : نبات له ثمرة شائكة مدعرجة تملق بأصواف النمل .

(٤) « كاسيا » .

السَّمْسِيَّةُ ، وهي حَيَّةٌ حَرَاءُ بَرَّاقَةٌ ، إِذَا كَبُرَتْ وَأَصَابَهَا وَجَعُ الْعَيْنِ وَكَمِدَتْ^(١) التَّمَسَّتْ حَائِطًا مُقَابِلَ الْمَشْرِقِ ، فَإِذَا تَبَدَّتْ الشَّمْسُ أَحَدَتْ إِلَيْهَا بَصَرَهَا قَدَرُ سَاعَةٍ فَإِذَا دَخَلَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عَنْهَا الْعَمَى وَالْإِظْلَامَ ، وَلَا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بَصَرُهَا تَامًا .
الْأَفْعَى تَزَاجُجُ دَابَّةً بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الْأَفْعَى شَفِيرَ الْبَحْرِ فَتَصَوَّتْ ، وَصَوْتُهَا مُهِيجٌ لِتِلْكَ الدَّابَّةِ الْبَحْرِيَّةِ .

مِنْ أَحْرَقَ عَقْرَبًا طَرَدَ بَرَانِحَةَ حَرِيْقِهَا عَقَارِبَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .
فَأَمَّا مُحَمَّةُ الْعَقْرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءُ كَهَيْئَةِ الْمِزْمَارِ مَعْقِفَةُ الرَّأْسِ مَكُونَةٌ لِلدَّغِ ، فَإِذَا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحْرَكَتْ فَخَرَجَ سَمُّهَا وَجَرَى فِي مُحْتِمِهَا وَسَرَى فِي الْمَلْدُوغِ .
الْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرِمٍ إِنَّمَا تَلْقَحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلِدُ مِنْ آذَانِهَا .
مِنْ عَادَةِ هَذَا الْجَنْسِ أَنْ يَسْرِقَ مَا وَجَدَ مِنْ حَلَى الْذَهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَحْبِئُوهُ فِي جِحْرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيْضًا فِي الْبَيْتِ حُبُوبًا^(٢) خَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، كَأَنَّ عَمَلَهُ عَمَلُ الطَّبَّاخِينَ فِي خَلْطِ التَّوَابِلِ .

الْفَارُ الْقَارِصِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ .
وَأِنْ أَخَذَ إِنْسَانٌ جُرْذَا فَرَبَطَهُ فِي بَيْتٍ فَرَّتْ مِنْهُ الْجُرْذَانُ كُلُّهَا .
وَأِنْ وُضِعَ فِي جُحْرِ الْجُرْذِ الْبَرِيِّ وَرَقُ الدُّفْلِيِّ^(٣) مَاتَ الْجُرْذَانُ .

(١) كَمِدَتْ هِيَئَهَا ، أَيْ ذَهَبَ صَفَاؤُهَا ، مِنْ السَّكَمَةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَذَهَابُ صِفَاتِهِ .
(٢) « جَنْوِبَا » .

(٣) الدُّفْلِيُّ ، نَبْتٌ مِنَ الطَّمِّ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ ، فَوَرَقُ الْبَرِيِّ كَوَرَقِ الْخَمَاءِ بَلْ أَرْقَ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ الْوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبِتُ فِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيُّ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الْخَلَّافِ وَوَرَقُ الْوُزِّ ، مَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كَلَّةُ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ ، وَحُلَّةُهُ يَشْبَهُ الْخَرْتُوبَ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة
ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منتصبين ، وصناعتها
دمقس الحرير .

النمل عمول مواظب ، فإذا جمع الحب قطعه كيلا يئبث إذا أصابه الندى
والبلية ، ويخرجُه ويسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .
ومن جرب طبائع النمل أدرك علم أزمان المطر والصحو .
من أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق^(١) ويذرهما في جحره
ولا يولد من تزواج^(٢) ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض
فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد مؤت
وأجنحتها مذبحة لاصقة بها .

البق والبعوض لا نتاج لهما ، وإنما تُنجَل^(٣) من عفن الماء ووسخه ونثنه .
ومن وضع غصن العنب في موضع تحت سريره لم يقر به بق ولا بعوض .
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليحفر في وسط البيت حفرة ويملاها
دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دفل مانت البراغيث .
الخلد غير ذى عيّن ، دائم الحفر في غير نفع ؛ وطعامه من أصول النبات
وعروقه أذهابة في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .

يقال : إن في بلد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته

(١) الحبق محرّكة : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهلى
ومنه جبلى ، وهو الذى يقال له : الفوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الريحانة التى تسمى
النسّام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « يراوح » .

(٣) تنجل ، أى تولد .

ولذلك يصحب السفن متلذذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زامرا فيها حتى يفرّ الحوت إلى الساحل يطلب خزفا أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يحبّونه ويطمعون به ويتفقّدونه ، ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفيتهم ، ويسألوا به من ضرر السمك العادي .
وإذا ألّفوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلوه حيا وأخذوه^(١) وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .

وإني [قرأت^(٢)] هذا الفصل على الوزير — كبت الله كل شأني له — في ليلتين ، فتمجّب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جُند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلتُ : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حقّ الله الذي له هذا الملك المبسوط^(٣) ، وهذا التلك المربوط ؛ وهذه العجائب التي تصعد^(٤) فوق العقول التامة بالأعتبار والأختبار بعد الأختبار ؛ وإنما بثّ الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف^(٥) بالعقل طريق إلى تعرّف خالقها ، وبيان لصحّة توحيده له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخفوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها همس وتخريف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) تصد .

(٥) المشرف .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في يَنْبوعه ويرى جوفه ناضبا^(١)
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبعث^(٢) منه شبه نور ليس له رأس .
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألغوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه
بقأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء المُنْتِن ودم الحيض فيخلطان جميعا
ثم يُنْفَخَان عليه ، فإذا وقما عليه تحلل وتكثل كُتلا^(٣) صغارا ، وتُسْتَعْمَل في
أشياء يُنتَفَع بها .

عين النار تنبع منها نار تضيء بالليل للسيارات فلا تطفأ^(٤) ولا تحتاج إلى
شئ يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن سَمَلَ إنسان منها شُعلة قَبَسَ إلى
موضع لم تُوقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كل شيء .

السّرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بجُحره بايين :
أحدهما شارع إلى الماء ، والآخر إلى اليُبس ؛ وإذا سلخ جلده سدَّ عليه الشارع
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فيأكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليُبس مفتوحا
فتصيبه الريح وما ينفع لَحْمَه ويعصمه ، فإذا اشتدَّ لَحْمُه وعاد إلى حاله فتحَّ
ذلك المسدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزامور حوت صغير الجسم ألف لأصوات الناس ، مستأنسٌ بأسماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبعث » .

(٣) « وتكثل كيلا » .

(٤) « يطفئها » .

ونيل لرضوانه بما يتزود من عبّره التي يجد فيها ، وليكون له موقظٌ منها ، وداع حادٍ ^(١) إلى طاعة من أبدأها وأبرزها ، وخلطها وأفردّها .

فقال : قد كنت قلت : إنّه يجرى كلامٌ في النفس منذ ليالٍ ، فهل لك في ذلك ؟ .

قلتُ : أشدّ الميل ^(٢) وأوحاه ، لكن بشرط أن أحكي ما عندي ، وأروى ما حصلتُ من هذه العصابة بسماعى وسؤالى . فقال : نستأنف ^(٣) الخوض في ذلك — إن شاء الله — فإنّ النعسة ^(٤) قد حدثت العين ، فأنا كما قال :

قد جعل النعاسُ يغرّ نديني ^(٥) أدفعه عني ويسرّ نديني

أنشدني أبياتا ودّعني بها ، ولتكن من سرّاءٍ ^(٦) نجد ، ليشتّم منها ريحُ الشّيح والقيصوم .

فأنشدته لأعرابي قديم :

مُطرنا فلما أن روينّا تهادرت شقاشقُ منها رائبٌ وحليبٌ ^(٧)
ورامت ^(٨) رجالٌ من رجالٍ ظلاماً وعادت دُحولٌ بيننا ودُئوبٌ ^(٩)

(١) « صام » .

(٢) « المثل » .

(٣) « نستأنف » .

(٤) « النفس » .

(٥) يفرنديني ويسرنديني ، يريد أن النعاس يثقله ويملوه . وفي الأصل : « يفرنديني » بالعين المهملة . ولم يرد في اللسان فائل هذا الشعر .

(٦) « سرارة » .

(٧) تهادرت أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ، وكفى بتهادر الشقاشق عن المحسومة بين القوم وتنمر بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت أرضنا تنمر بعضنا لبعض وتهبأ كل فريق منا لحاربة فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رابت » .

(٩) الدحول : جمع ذحل بفتح الذال ، وهو الثأر .

وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ لَمَنْ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبَ حَبِيبٌ^(١)
 وَطِائِنٌ^(٢) فِئَاءَ الْحَى حَتَّى كَانَهُ رَجَاً^(٣) مَنَهْلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَخِيبٍ
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْجَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْفِي الْمُسْرِفِينَ طَبِيبٌ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتَ وَامْتَرِثَ الْقَرْىَ وَحُثَّتْ رِكَابُ الْحَى حِينَ تَوُوبُ^(٥)
 وَصَارَ^(٦) عَيُوفَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا — ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبٌ^(٧)
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خَنْزُوانَةٌ^(٨) يُنَادَى إِلَى دَاعِي الرَّدَى فَيُعِيبُ
 أَوْلَثُكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَكَابَ^(٩) سَكَيْتُ^(١٠) أَمْ أَشْمُ نَجِيبٌ
 فَجَبَّ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُدَّ أَصْلُهُ ، وَنَزِيجَ قَلِيبٍ قَدْ غَارَ مَدُّهُ
 وَجَزَّرُهُ ، وَانصرفت .

- (١) وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَيْ رَفَعَتْ أَعْنَاقَهَا لِرِجَالِ الصَّبَا تَسْتَرْوِحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « وَفَضَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) « وَطِائِنٌ » .
 (٣) رَجَا الْبُتْرُ : نَاحِيَتُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَّخِيبُ : الْمُنْخُوبُ ، أَيْ الْمَنْزُوعُ الْجُوفِ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَجِيبٌ » . شَبَّهَ فَنَاءَ الْحَى وَقَدْ وَطِئَتْهُ هَذِهِ الرِّكَائِبُ بِجَانِبِ مَنَهْلٍ مَنْخُوبٍ الْجُوفِ مَهْدَمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطَوَّاهُ أَقْدَامُ الْوَرَادِ .
 (٤) فَضُوبُ الثَّرَى : كُنَايَةٌ عَنِ التَّقَاعُلِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
 فَلَا تَوْبَسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الدِّيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مُثْرَى
 (٥) امْتَرِثَ الْقَرْىَ : امْتَجَعَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهَا الْمِيرَةَ .
 (٦) صَارَهُ بِصُورِهِ ، أَيْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَلَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الْجَدْبِ وَإِرْخَاصِ الْفَقْرِ أَقْدَارِ الْعَالِيَةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ ثَوْبِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْرَمُ الْعَقَائِلِ الْكَرِيمَةِ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ مِنْ بَسِيرٍ غَنًى وَإِنْ اتَّضَعَ لِنَسَبِهِ .
 (٧) « قَشِيبٌ » .
 (٨) الْخَنْزَوَانَةُ : الْكَبِيرُ .
 (٩) « أَكَابَ » .
 (١٠) السَكَيْتُ : الَّذِي يَمْحَى ، آخِرُ خَيْلِ الْحَلْبَةِ .

الليلة الثالثة عشرة^(١)

(٢) فلما حضرت ليلةً أخرى قال : هات . قلتُ : إن الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوذة^(٣) وللنظر فيهم مجال ، وللوم عليهم سلطان ، وكلُّ قد قال ما عنده بقدر قوته ولحظه ، وأنا آتي بما أحفظه وأرويه^(٤) ، والرأى بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بعض الفلاسفة : إذا تصفّحتنا أمرَ النفس لحفظناها^(٥) تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بآلة كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [إلى]^(٦) أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ منّا أنّ النفس لا^(٧) تفعل بالبدن ، لأنّ هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآن من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنها ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « ولأنّ قرأت هذا الفصل على الوزير كتبت الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوذة ، أى متقابلة .

(٣) « وأرويه » .

(٤) « لحفظناها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضى أداة النفي كما أمينا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند المفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتهم ، فلولا أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكنها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتهم ويزورون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جلّ وعزّ المدبر لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشيء الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالفائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذاً بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم^(١) ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للمقادير والعظم^(٢) ، وفائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(١) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهيولى الخ .

وقال آخر : حركة كل متحرك تنقسم قسمين : أحدهما من داخل ، وهو قسبان : قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة ، وحركة النار مادامت نارا ، وقسم هو الحركة^(١) النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا ، وحركة جسد الإنسان التي تسكن إذا خرجت نفسه وصار جيفة .

والقسم الآخر من خارج ، وهو قسبان : أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم ويطلق عن القوس ، والآخر يُجرَّ جراً كما تُجرَّ العجلة والجيفة .

وقال : فنقول : ليس يخفى أن جسدنا ليس مدفوعا دفعا ولا مجزورا جراً و[لما]^(٢) كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحركاً كما لا محالة من داخل ، فالجسد إذن متحرك من داخل اضطراباً .

وقال : إن كان جسدنا متحركاً كما من داخل ، وكان كل متحرك من داخل إما متحركاً كما حركة طبيعية لا تسكن ، وإما نفسية تسكن .

فليس^(٣) يخفى أن حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن ، بل ساكنة [لا]^(٤) تدوم ، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تدم ليست حركة طبيعية لا تسكن ، بل نفسية من قبل نفس متحركة وتحسسه .

وقال : إن كانت النفس هي التي تحيي الإنسان وتحركه ، وكان كل محرك يحرك غيره حياً قائماً موجوداً ، فالنفس إذا حية قائمة موجودة .

وقال أيضاً : النفس جوهر لا عرض ، وحدّ الجوهر أنه قابل للأضداد من غير تغير ، وهذا لازم للنفس ، لأنها تقبل العلم والجهل ، والبر والفجور

(١) « حركة » .

(٢) هذه الكلمة سائطة من الأصل .

(٣) في الأصل : « وقال ليس » . والظاهر أن قوله : « وقال » زيادة من الناسخ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .

والشجاعة والجلين ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أضداد ، من غير أن تتغيّر في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلةً لحدّ الجهر ، وكان كلُّ قابلٍ لحدّ الجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي المحيية الحركة للجسد الذي هو الجوهر و[لما] كان كلُّ مُحيٍّ محركًا للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون المُحيي الحركة جوهرًا ويكون المحيى الحركة غير جوهر ، فإذا كانت هي المحيية الحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحيى الحركة للموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون^(١)] غير موجودة .
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياة الجسد ، فيمتنع أن يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا عنذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلُّ هذا لم يجز على وجهه بمحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالقلم مخالف للإفاضة باللسان ، لأن القلم أطولُ عِنانا من اللسان ، وإفشاء^(٢) اللسان أحرَجُ من إفشاء القلم ، والعرض كلُّه الإفادة ، فليس يكثر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات ثلاث : أعنى الطول والعرض والسَّمك ، ولا يجرأ من جسم ولا عرض من

(١) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى لإبائها .

(٢) « وقضاء » .

الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسميّة ، لكنّه جوهر مبسوط غير مُدرك بعين^(١) من الإحساس . ولما وجدنا فينا شيئا غير الجسم وضدّ أجزائه بجِدته وخاصّته ، ورأينا له أحوالا تُباين أحوال الجسم حتّى لا تُشارك في شيء منها وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض إنّما هي من حيث كانت الأجسام أجساما والأعراض أعراضا ؛ قضينا أنّها هنا شيئا ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضا^(٢) يطلع على جميع الأشياء بالسواء ولا يناله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كلّ جسم له صورة فإنّه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتة إلّا بعد مفارقتها الصورة الأولى ، مثال ذلك أنّ الجسم إذا قبل صورة أو شكلا كالتثليث ، فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير إلّا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى^(٣) على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا تتم واحدة منهما ، وهذا يطرد في السَّمْع^(٤) وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة تُنقش في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصور كلّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم ، ولهذا^(٥) يزداد الإنسان بصيرة كلّما نظر وبحث وأرتأى وكشّف .

(١) « يحسن » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللاتق بها من العبارة ؛ والسياق يقتضى ومنها في هذا الموضع .

(٣) « الأولى » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها » .

ويتضح أيضا عن كُتُب^(١) أن نفس ليست بعرَض ، لأنَّ العَرَض لا يوجد إلَّا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تَحْمِلَ ، وليس له شبه من الجسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر جاريًا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرَّك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا أطلاع فظنوا أنَّ الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بطلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسَف ، لأنهما لم يكونا في حال الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعنى أنَّهما تَبَايَنَّا^(٢) في تصاحُبهما وتَصاحُبًا في تَبَايُنهما^(٣) .

ألا تَرَى أنَّ البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتَمَامُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْس في شأنها مع البدن ، لأنها واصلته في الأول عند مسقط النطفة ، فما زالت تربيته وتغذيته وتُحْيِيهِ وتُسَوِّيهِ حتَّى بلغ البدنُ إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسانُ نصيبُهُ من النفس أكثرُ من نصيبه من البدن .

وهذه الكثرة توجد في الأول من ناحية شرف النفس في جوهرها ، وتوجد في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيذه من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كسب » .

(٢) « تباينا » .

(٣) « تباينهما » .

الصحيحة، ويضمته إلى الأفعال الواجبة الصالحة، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه.

وغاية المعرفة الاتصال بالمعروف، وغاية الأفعال الواجبة القور بالنعيم والخلود في جوار الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى الجواز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة.

فأما من هو عن هذا كله عم^(١) وعمّا يجب عليه ساء، فهو في قطع النعم، وإن كان متقلّباً في أصناف النعم.

(٢) وكان يقول كثيراً: الناس أصناف في عقولهم: فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم، فهم لا يُبصرون بها إلا حظوظهم المعجلة، فلذلك يكذبون^(٢) في طلبها وتثليها، ويستعينون بكلّ وسع وطاقة على الظنر.

وصنف عقولهم منتهبة^(٣)، لكنها مخلوطة بسبات^(٤) الجهل، فهم يحرضون على الخير واكتسابه، ويخطئون كثيراً، وذلك أنهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا نعت موجود في العباد الجهلة والعلماء الفجرة، كما أن النعت الأول موجود في طالب الدنيا بكل حيلة ومحاولة.

وصنف عقولهم ذكية متهبة، لكنها عمية عن الآجلة، فهي تدأب في تئيل الحفظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسمة الربانية، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم، ولا حقّ عندهم الحق اليقين؛ وقصروا

(١) « عميم » .

(٢) « يكسبون » .

(٣) « متبه » .

(٤) « بسباتات » .

بن حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها سواعد الشداد^(١) فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة^(٢) .
وصنف عقولهم مضئئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللطف الخفي ،
الأصطفاء السنّي ، والأجتهاء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛
تراهم حضوراً وهم غيّب ، وأشياءاً وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ .
وهذا كما تقول : « الملوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصة » ؛ وكما يقولون :
« هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « وهؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم
أسلوب » ؛ وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ،
لسعة صدره بالحكمة ، وفيص صوبه من المعرفة ، وصحة طبيعته بالفطرة .

وقال : إننا بعد هذا المجلس تركنا صنفاً لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له^(٣)
بالاستيفاء ، وهم الهمج الرعاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقاً ، وإن
قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقاً ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة
النسبة العنصرية والجبلية الطينية والفطرة الإنسية ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة
لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا الفوغاء فإنهم يُخرجون
التريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله نغره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « السداء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .

وكالإشارة في الحلم ، وليست حلما ولا أُنْتَبَها في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لها ونواقص لا مبالاة بها ، رُوحَانِيَّة في رُوحَانِيَّة ، كما يقال : « هذا صفو هذا » ؛ و « هذا صفو الصفو » ومن لحظ هذه الكيفية^(١) وبُشِّر صدره بهذه الحقيقة أَسْتغْنَى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأنس^(٢) بلغات قد فُطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيله نازح ؛ وإذا كان التمثال صعبا^(٣) في الموضع الذي عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز الالوهية وبمحبوبة الربوبية ، ولا كون هناك ولا ما نسبته للكون ؛ وأقوى ما في أيدينا أن نتعلل بالوجود ، فالموجود والوجدان والجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

قلّ هذا ، الصمت أوجد للمراد من النطق ، والتسليم أغلقرُ بالبغية من البحث .

قال البخاري^(٤) : فشيء كهذا^(٥) بدقيقه وإشكاله ، وغرضه وخفائه ، كيف يظهر على جبهة بشرية وبنية طينية وكتيبة مادية وكيفية عنصرية ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هدم السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من

(١) « الكفة » .

(٢) يريد الأنس بمعرفة الله . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صدا » .

(٤) البخاري ، هو أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان النطقي وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقالات .

(٥) « فقا هذا » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تغطى ^(١) بصلبه ، وناء بكل كلكه ؛ وانصرفت .

الليلة الرابعة عشرة

(١) ومرة بعد ذلك في عرض السمر : ما تقلدُ أمرؤُ قِلادةً أفضلَ من سكينه .
 فقال : ذكرتني شيئاً كنتُ مهتماً به قديماً ، والآن قرعتُ إلى بابه ؛ ما السكينة ؟
 فإني أرى أصحابنا يرددون هذا الأسم ولا يبسطون القول فيه . فكان من الجواب :
 سألتُ أسليمان عن السكينة ما هي ؟ فقال : السكائن كثيرة : طبيعِيَّة ، ونفسِيَّة
 وعقلِيَّة ، وإلهِيَّة . ومجموعة من هذه بأنصبا مختلفة ، ومقادير متفاوتة ومتباعدة .
 والسكينة الطبيعيَّة اعتدال المزاج بتصالح الأسطَقَّسات ، تحدث به لصاحبه
 شارةٌ تسمى الوقار ، ويكون للعقل فيها أثر باد ، وهو زينة الرِّواء المقبول .
 والسكينة النفسية مماثلة الرُّويَّة للبديهة ، ومواطأة البديهة للرُّويَّة ، وقصد
 الناية بالهيئة المناسبة ، يحدث بها لصاحبها شئمةٌ ظاهر ورُّنوتٌ دائم وإطراقٌ
 لا وُجومٌ ^(٢) معه ، وغَيْبةٌ لا غفلةٌ معها ، وشهامةٌ ^(٣) لا طيشٌ فيها .
 والسكينة العقلِيَّة حُسن قبول الاستفاضة بنسبة تامة إلى الإفاضة ؛ ومعنى
 هذا أن القابل مستغرق بقوة المقبول منه ، وبهذه الحال يحدث لصاحبها هدى
 يشتمل على وزن الفكر في طلب الحق مع سكون الأطراف في أنواع الحركات .
 والسكينة الإلهِيَّة لا عبارة عنها على التحديد ، لأنها كالحلم في الانتباه

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :

فقلت له لما تغطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكل كلك
 كنى بذلك عن طول الليل .

(٢) « وجوم » .

(٣) « وشهادة » .

نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار وأعتدال الأفعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة السرّ ومساواته للعانية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كلّ صادر منه ووارد عليه . وهاهنا تمتحى الحيلة البشريّة ، وتتبدّد الحيلة الطليّنية ، وتبيد الكميّة الماديّة وتغفو الكيفيّة^(١) المنصريّة ، ويكون السلطان والولاية والتصريف والسياسة كلّها لتلك السكينة التي قدّمنا وصفنا لها ، واشتدّ وجدنا بها ، وطال شوقنا إليها ودام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُؤُونا إليها ، وتناهت نَجْوانا بذِكْرها .

وهذا هو الخلع الذي سمعتَ بذكره ، واللباس الذي سألتَ عنه ، أعنى خلع ما أنت منه إنسان ، وليسَ ما أنت به ملك . [الله] المستغاثُ منكم ، ما أشدّ بلواي بكم ، لِمَ تتمحّرون إلّا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولِمَ تسألون عمّا لا أطلع لكم عليه ؟ سلوا ربكم أعيناً بصيرة ، وآذاناً واعية ، وصدوراً طاهرة ، وقوّة متتابة ، فإنكم إذا مُنِحتموها هُديتم لها ، وإذا حُرِمتموها قُطِعتم دونها ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

قال البخارى : وقد تركنا يا سيّدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة بأنصباة مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلّ ما فيه في هذه الحومة^(٢) التي لُذنا بها وحاولنا الوصولَ إليها ؛ وأيّ شيء أعجب^(٣) في هذا المقام ، رسم أو قوام ، أو ثبات أو دوام ، إلّا^(٤) له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلوح أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلّا ما له » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كل ما سلف القول فيه تقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والعموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبين بأن تقسيم الطيش والحدة والعجلة والخفة على أحبابها ، فتجد التفاوت ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباين مكشوفاً والأختلاف ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص هم فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا أخلقة الحسنة والميرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحلة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلي هذه فهي للأنبياء على اختلاف حظوظهم منها لأنها مرتبات تنقسم بين المنام واليقظة اتقساماً متفاوتاً بالعرض الحامل للصدق وللشبه بالصدق ، وللحق وللقرب من الحق ، وللصحيح والتالي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن^(١) ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستعارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قواهم يرثها الذين محبوبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في زمرتهم ، وحاكوم في الشئائل والأخلاق ، وسلكوا منهاجهم في القياد والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبدن ، كما كانوا سُبُجَاء^(٢) للأقربين ، وهم الذين يفسرون الغامض ، ويوضحون المشكل ، ويسلطون المطوى ، ويشرحون المكنى ، ويبرزون المراد والمعنى ، ويوطدون الأساس ،

(١) « ما بهم على » .

(٢) « سمرأ » . والسبراء : الأصدقاء الأصفياء .

ويرفعون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .
وأما السكينة الباقية فهي مفوضة على أتباع هؤلاء بالسَّهام العلوية ، والمقادير
العدلية ، والمناسيب العقلية ، من غير جَوْر ولا حَيْف ، ولا انحراف ولا ميل .
قال البخاري : أهي — أعنى السكينة — في معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :
الفضاء أمرض ^(١) مما تظن ، وإن كان في غاية العرض ؛ والذروة أعلى من أن
ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .
هي بوجه في معنى فاعلتها إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر في معنى مفعولة إذا
شعرت بتأثرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين في شيء إذا لحظتها في معانيها قبل
تأثيرها وتأثرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،
بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام
فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت المخصوص بها كانت
عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضية وأحوال مرضية ،
وإذا شهدت ذلك المعنى من معاني الحق كانت عبارتك متبلجلة لا نظام لها
ولا تعادل ولا أتساق على العادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغي لطالب
الحكمة واللائد بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقر ، ويستقصي ويستبصر ^(٢)
ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب
الذي لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذي لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التي تنفي
عن البيان ، وذاق المعنى الذي هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « الفضاء أغض » .

(٢) « ويصبر » .

لا لَمَرَضٍ غَلامٍ غَشِيَهُ ، ولكن لسلطانٍ شُعاعٍ مَلَكَهُ ؛ لأن ذلك النور محيط بكل شيء دونه ، ومستَوَلٍ على كل شيء تحته .

وكان يقول في هذا الفن إذا جدَّ به الكلام وبدأ منه المكتوم وشرده عنه الخاطر ما لا يُوعَى بحفظ ، ولا يُروى بلفظ .

وإنما كان أصحابنا ينتظرون منشوره بهذه الحروف لفظا لينظموا منه شذرا وعقدا ، وكانوا إذا تلاقوا اشتركوا في تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا [على] مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعفو والممكن منه ، لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون في المنتهى .

(٢) وسأله الأندلسي في هذا المجلس عن الأُم وأحوالها ، ونقصها^(١) وكلها ؛ فقال :
اشتركت الأُم في جميع الخيرات والشرور ، وفي جميع المعاني والأمور : اشتراكا أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره ، ثم استبدت كل أمة بقوالب ليست لأختها ، واشتراكهم فيها كالأصول واستبدادهم كالفرع ، وفيما اشتركوا فيه الحمود والذموم .

ولم يَجْزُ في الحكمة الإلهية غير هذه القسمة ، لأن الاشتراك لو سبق بلا تفاوت لم يكن اشتراكا ، والتقسام لو عَرِيَ من الاتفاق لم يكن تقاسما ، فصار ما من أجله يفرقون ، به يجتمعون ، وما من أجله ينتظمون ، به ينتثرون .

فعلى هذا أشتراكوا في الأخلاق واللغات ، والمقائد والصناعات ، وجز المنافع ودفع المضار ، مع اختلافهم فيها بنوع ونوع .

ألا ترى أن لغة الهند غير لغة الروم ، وكذلك الصناعة والمقيدة وما يجري مجراها ، إلا أنهم مع هذه الأصول والقواعد تقاسموا أشياء بين الفطرة والتبني ،

وبين الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والفحص والتنقيح والبحث والاستكشاف والاستقصاء والفكر [ليونان^(١)] والوم والحَدَس والظن والحيلة والتحيل والشعبنة [للهند^(٢)] والحصافة^(٣) واللفظ والاستعارة والإيجاز والاتساع والتصرف والسَّحَر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب والرسوم والعبودية والثرثورية للفرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛ وليس للترك بعد هذا حظ ولا دراية إلا بقسط من الظل من الشخص .
والعرب مع منطقتها البارعة لها المزية المعروفة على الترك بعد [في^(٤)] السياسة وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزَّجج والسودان فغلبت عليها الفسولة وشاكلت البهائم الضعيفة ، كما شاكلت الترك السَّباع القوية .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيته وقرأته وقد أفاد ، وكل من تكلم على^(٥) طريقة الحكماء الذين يتوخَّون من الأمور لبابها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدم على من يخطئ كفلان وفلان . ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجولانها كل مجال وتميزها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني من أماكنها وإقامة الصناعات بأسرها ، وبحيها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .
ومن دفع مزية الفرس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصة والعامة بحق مالها وعليها فقد عاند .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطتان من الأصل كما يدل على ذلك ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني » إلخ كما يدل عليه أيضاً كلام سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصلة » .

(٣) كلمة « في » زيادة منا يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما للهند ، فليس من شخص وإن كان زريًا قميثًا إلا وفيه ميرثٌ كامنٌ لا يشرّكه فيه أحد ، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا ، فكيف إذا نظرتَ إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا ارتقيتَ إلى الجنس ، وهذا لأنَّ عَرَضَ الجنس أَوْسَعُ من عَرَضِ النوع ، كما أن عَرَضَ النوع أَوْسَعُ من عَرَضِ الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق ^(١) . وأما (٣) انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصًا بالطرف والوسط والأفق وليكون سَجًّا بالغًا من المصدر إلى المورد .
وعلى هذا لولا الجنس لم يُوجد نوعٌ ، ولولا النوع لم يوجد شخص .
وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : أَلْعَالَمُ الْعُلُويُّ أَجْناسٌ وَأَنْوَاعٌ وَأَشْخاصٌ ؟ قال : كيف يخلو الْعَالَمُ الْعُلُويُّ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ حكايةُ ذلك الْعَالَمِ الْعُلُويِّ حَذَوِ النحل بالنمل والقُدَّةِ بالقُدَّةِ . فقال له مستزيذا : فهل في البسائط الإلهية أَجْناسٌ وَأَنْوَاعٌ وَأَشْخاصٌ ؟ فقال : لا ، إلا أن يَتَخَذَ شَيْءٌ من هنالك قَرَارَهُ في معارض الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِقُوَّةِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ ، وذلك كالبرق إذا خَطَفَ ، والتسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط نقصٌ بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال المركبات كَالْأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأنَّ ماعلا يُوَثَّرُ ولا يَقْبَلُ التأثير ؛ وما سُفْلِيٌّ يَتَأَثَّرُ . ألا تَرَى أن ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيءٍ دونه ، وما سُفْلِيٌّ منها يتصل بما علا عنه . وقال له أيضا : إذا قلنا : الرُّوحانيات ، فإذا ينبغى أن يُلاحظَ منها ؟ فقال : (٤)

(١) تحت .

الروحانيات على أقسام ؛ قسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكتنفٌ للحيوان والجماد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسمٌ منها فوق القسم المكتنف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّامَ لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألتُ أبا سليمان فقلت : إنَّ عليّ بن عيسى الرّمانيّ ذكر أن التمكن من القبيح قبيح ، لأن التمكن من الحسّن حَسَن . فلو كان التمكن من القبيح قبيحا مع كونه من الحسّن حَسَنًا كان حَسَنًا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أومأ إليه ؟

فقال : أخطأت^(١) ، لأن التمكن وحده اسمٌ مجرد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكن معتبر بما يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنه علّة القبيح ، وإن كان من الحسّن فهو حَسَن لأنه سببُ الحسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرهم نافع أو ضارّ ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغى فهو نافع ، وإن أتفقت فيما لا ينبغى فهو ضارّ ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غريزيا قاهرا متملكا قاسرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو هميا أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو عمليا أو حلميا أو يقظيا إلا والتصاريف سارية فيها ، والإضافة حاكّة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما أجتمعنا ولا أفرقنا ، ولولا الإضافة بيننا الغالبة علينا ما تفاهمنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنا بالتضاييف نتوالى ، فبأى شيء بعده نتعمّدى ^(١) ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظل ، والشخص بالظل يأناف ، وبالظل يختلف . وقال : ويزيدك بيانا أن العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالعدم نتفارق .

وسأل ^(٢) مرة عن الطرب على الفناء والضرب وما أشبههما .
(٦) فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان الدمشقي . لم طرب الإنسان على الفناء والضرب ؟ فقال : لأن نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محجوبة عن خاص مآلها فإذا سمعت ألفناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فحنّت إلى خاص مآلها من المثالات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فإنها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأن الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس نفسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعنى حنت ولحظت الروح الذى لها — تحرّكت وخفت فأرتاحت واهتزّت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما مرّقه كأنه يريد أن ينسل من إهابه

(١) « تنقاد » .

(٢) سأل ، أى الوزير .

أنه لا بدن له ، فيكون له عَرَضٌ ، والعَرَضُ كله للممكن بالنعمة الذي سلف من الكثرة والقلة والمساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به في ظاهر الحال وبادى الأمر وعارض الشان ، وأستولى الوجود عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب^(١) الشان . لكن هذا الفصل الذى اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحس كما ينكشف للعقل .

ولما كنّا بالحس أكثر — وإن كنّا لا نخلو في هذه الكثرة من آثار العقل — لزِمنا الاعتراف بعوائد الممكن وعلائقه ، والعمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهينا أو ائتمرنا [أو اتهمنا]^(٢) .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذى كنّا به أكثر أن لنا شعبا آخر نحن به أقل وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أستولت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذى هو فى عَرَض الواجب إلى آخر المتنوع .

وكما لزِمنا الاعتراف الأول لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأئمين ومكومين ، ونادمين ومُنَدِّمين ؛ كذلك لزِمنا الاعتراف بسلطان الواجب الذى لا سبيل إلى عزله ، ولا محيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بغير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن يعيش على تقطُّع في عبارته التى ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدفق خواطره عليها ؛ فقال : الرؤيا ظِلُّ أَلَيْقَظَةِ ، وهى واسطة بين (٢)

(١) « ورأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

الذى لصق به ، أو يُقِلَّت من حصاره الذى حُبِس فيه ، ويهرول إلى حبيبه الذى قد تمحلى له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التنضيد إنما هو للفلاسفة الذين لهم عناية بالنفس والإنسان وأحوالها .

وأما غيرهم فطربهم شبيه بما يعترى الطيرَ وغيرها ، وأنصرفت .

الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرة كلامٌ فى الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرقى فصلًا سمعته يقوله ، لأبأس برسمه فى هذا الموضع ، فإن التشاور فى هذا الحرف دائم متصل وينبى لنا أن نبحث عنه بكل زحف وخبو^(١) ، وبكل كدٍ وعَفْو .

قال : الممكن شبيه بالرؤيا لا بدن له يستقل به ، ولا طبيعة يتحيز فيها . ألا ترى أن الرؤيا تنقسم على الأكثر والأقل والتساوى ، وكما أن الرؤيا ظلٌّ من ظلال اليقظة ، والظلُّ ينقص ويزيد إذا قيس إلى الشخص ؛ كذلك الممكن ظلٌّ من ظلال الواجب ، فطورا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للممتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عرض له ، لأنه حد واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنه لا تغير له ولا حيولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تسلم إليه ، والوهم يفرق منه وصورة الواجب لا يحدسها الظن ، ولا يتحكم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دامن ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنه فى مقابلته على الضد ، أعنى

(١) « جبو وزحف » .

البَقَظَة والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ ^(١) بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .
قال : والنوم واسطة بين الحياة والموت ، والموت واسطة بين البقاء الذى يتصل بالشهود ^(٢) وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعتٌ على تسهيل اللفظ وتقريب الراد والتصوّر ؛ والثقة شوك القتاد ، وأزدرداء العَلَقَم والصاب ، للحواجز القائمة والموانع المترضة من الإلف والتشأ وغير ذلك مما يطول تعديده ويشق استقصاؤه .

فقال ^(٣) : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلتُ أن ابنَ يعيش مع فدامته ^(٤) ،
ووَخَامَتِهِ يسحب ذَيْلَهُ في هذا المكان ، ويُجرى جِوَادَهُ بهذا العنان .

قلتُ له : إنَّ له مع هذه الحالِ سَرائىَ بَمِيدة ، ومَقاصدَ عالية ، وأطرافاً من المعانى إذا اعتلّم دَلَّ عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى الوهم الصافى .

وقلتُ : لقد مرَّ له اليومَ شيءٌ جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى ^(٥) .
أستفيد ^(٥) منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثرَ علينا دُرَرَ هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد وإن كنّا نقع دونها بالأجتهد ؛ ونسأل الله أن يرحم ضَعَفَنَا الذى منه بُدِئْنَا ^(٦) وبِبدَلْنَا قوَّةً بها نَجِدُ قُرْبَنَا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالبُهود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » باللفاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وورينا » . وبَدِئْنَا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء ^(١) له في الأشياء التي تغلب عليها الحيلولة والسَّيْلان والتطوُّل ، كما أن الحسَّ لا ينفذُ في الأمور التي لا تطوُّر لها بالحيلولة والتطوُّل ، ولذلك عُرِفَت الحِكْمَةُ في الكائنات الفاشيات ^(٢) ، وخفيت العِللُ والأسباب في بدوِّها وخفيتها وتبدُّدها وتألُّفها ، لكنَّ هذا الفرق والخفاء مسلَّان للقُدرة المستعملية والمشيئة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ ^(٣) به حَسُنَ هذا النعت ، وإليه أُتِّهِىَ هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقِّ الأول الحقِّ ، وبدوُّ ما بدا من نصيبٍ أُطْلِقَ لِذِي ^(٤) لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفِّفَ عنه هذا للحقِّ الإنسانُ البهائمُ ، ولو ثَقُلَ عليه هذا للحقِّ الملائكةُ ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنَّصَبِ والدَّأبِ ، ويمتعض من أن تكون صورة الإنسان عنده مُعَارَةً ، لأنه في الحقيقة حيوان غير ناطق ، بل يجتهد بسمعيه وكده أن يصير إنسانا فاضلاً ، ويكون في فضله وكَماله ملكاً ، أغنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للمباشرين لها أن المعرفة تَقِفُ على حَيُولِها ولسيْلانها فقط ، لا على تصفُّح أجزائها ، لأنَّ الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقم على الماء لا صورة له ، لأنَّ صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخطُّ في الهواء ، وكذلك الكائنات البائِذات ^(٥) لا صورة لها ، لأنها لا ثبات

(١) « غناء » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « سرِّه » .

(٤) « الذي » .

(٥) « البائِذات » .

لها ، وأنت إذا وجدت شيئاً لا ثبات له لم تضمّ إليه شيئاً آخر لا ثبات له طمعاً في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينقاد له ظنّ ؛ ولو ساغ هذا لساغ أن يُجمع بين ماله ثبات ، وبين ماله أيضاً ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وَصَفُ العقل بشهادة الحسّ ، كما يكون وصف الحسّ بشهادة العقل إلا أن شهادة الحسّ للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحسّ شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمرّان ، لأن لكل واحد من الحسّ والعقل تفرّداً بخاصّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لأعقل له البتة ، ووُجد في مقابلته حتى لا حسّ له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصُّور الرفيعة ، والعلائق التي بين المقولات والحسوسات مانعت العقل ، والعاقل من خلص^(١) الباقيات الخالديات الدائمات القائمات الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائئات^(٢) المذهابات الحائلات الزائلات المائلات البائئات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشكّ والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعاده — ما السَّجِيَّةُ^(٣) ؟ قلت : سمعتُ الأندلسي يقول : فلان يمشي على سَجِيَّتِهِ^(٣) ، أى طبعه^(٣) .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعرهم .

وكانت قريش لو ظفّرنا عليهم شفاء لما في الصدر والنقص ظاهر

(١) « في تخليص » .

(٢) « البائئات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « البه »

« حسه » . « لحفته » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلت : الحروف التي تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التي تتعدى بالحروف ؛ يراعى فيها السماع فقط لا القياس .

هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضا « ظفر به » ؛ وجاء « سخرت به ومنه » .

ومن لا أتسع له في مذهب العرب يظن أن « سخرت به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في جمل به غدة ؟ فكان من الجواب : جمل مُغِد . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماع قد كفى . قال الشاعر — وهو خراش بن زهير :

فَقَدْ تَكْمُو^(١) وَلَحْظُكُمُو إِلَيْنَا بَبْطُنٍ عُكَاطَ كَالإِبِلِ الْغِدَادِ^(٢)
ضَرَبْنَاَهُمْ بَبْطُنٍ عُكَاطَ حَتَّى تَوَلَّوْا طَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ
وقال — حرس الله نفسه — من لقبه^(٣) الخُرَيسِيَّ إلى أي شيء يُنسب ؟
فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَاسَانِيٌّ وخُرَيسِيٌّ وخُرَاسِيٌّ، فنُسبت^(٤)
إلى رجل نزلها^(٥) فاشتهرت به .

فقال : القَذال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فعلاً وفِعْلاً وفُعْلاً وفِعْليلاً وفُعُولاً أخوات تُجمع في الأقل على أفِعة ، يقال : حِمَارٌ وأَحْمَرَةٌ ، وَغُرَابٌ وأَغْرَبَةٌ ، وَقَذَالٌ وأَقْدَلَةٌ ، وَعُمُودٌ وأَعْمَدَةٌ .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عدمكم ونظركم »

(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غداداً جمع (غاذ) لا جمع سامي (لُغْد) كما تفيد عبارة المؤلف .

(٣) « له » .

(٤) أي نسبت كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل ببد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهملة الحروف من التقط ؛ ولم تتبين الصواب فيها .

قال : نسيت^(١) أسألك من المسألة الأولى — أعنى الغرسي — من أين لك تلك الفتيا ؟

فكان من الجواب : قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيوييه .
قال : برزت غليلي ، فإن الحجة في مثل هذا متى لم تكن بأهلها كانت متلجلجة .

قال : أنشدني شيئاً نختم به المجلس ، فقد مررت طرائف .
فأنشدته لهُمارة بن عقيل في بنت^(٢) له :

حُبِّكَ يَأْذَاتُ الْأُنَيْفِ الْأَكْشَمَ^(٣) حُبِّ تَسَاقَاهُ مُشَاسُ^(٤) أَعْظَمِي
وَدَبَّ بَيْنَ كَبِدِي وَخَجَزِي وَسَاطَهُ^(٥) اللَّهُ بَلَحِي وَدِي
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِ وَلَا الْمَكْتَمِ وَلَا الَّذِي إِنْ يَتَقَادَمَ يُسَامِ
لَقَدْ تَزَلَّتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَى — مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحِبِّ الْمَكْرَمِ
وَانصرفتُ .

الليلة السادسة عشرة

(١) ثم عُدْتُ وقتاً آخر فقال : كنت حكيت لي أن العامري صنف كتاباً

عنوانه (بإقناذ البشر من الجبر والقدر) ، فكيف هذا الكتاب ؟

قلت : هذا الكتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبي القاسم الكاتب ولم أقرأه على العامري ، ولكن سمعتُ أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ، وهو كتاب

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من التقط .

(٣) الأكسم : المقطوع ، يريد وصفها بصغر الأنف حتى كأنه قد قطع منه جزء .

(٤) المشاس : كل عظم لا مغ فيه .

(٥) ساطه : خلطه .

نفيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإيجاب .

فكان الجواب : أن الإيجاب^(١) لغة قوم ، والجبر لغة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تماقب الراء كثيرًا .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ، واقد له إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والصوادر والأوتان من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والأختيار والتصرف والتصرف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والأختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المحدثين اللامعين الملوين المكافئين ، فإنه يعلقها بهم ويُلصِقها برقابهم ، ويرى أن أحداً ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه ؛ والملاحوظان صميمجان واللاحظان مصيبان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة^(٢) بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القال والقيل

(١) « من الإيجاب » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوية » .

من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطل الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مؤرّده بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم ورد في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرّ الله الأكبر » .

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أستصلاح عام ، ليكون النفع به شائماً في سكون النفس وطيب القلب وروح الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وضح أن حكمة هذا السرّ طيبة ، لأن عجز الناظرين يفضي بهم إلى الحيرة ، والحيرة مضلة ، والمضلة هلكة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكما علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكما جهل لو ارتفع منا لكان فيه هلاكنا ؛ [والعلم] ^(١) والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد منا للذي سبق إليه وعلق به ، ألا ترى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أي حال تحدث العلة ^(٢) أو المحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدة لنا ، ومحنة شديدة علينا .

فأنظر كيف زوى الله الحكيم هذا العلم عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا . ألا ترى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فساد ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المتقدم ، فمن هذا الذي أشرف على هذا الغيب المسكون والسرّ الخزون فيغفل عن الشكر الخالص ، والأستسلام الحسن ، والبراءة من كل حَوْل وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « وأو » زيادة من الناسخ .

فالأستعداد ممن له الخلق والأمر ، أعنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصريف .

- (٢) قال : هذا فنٌ حسنٌ ، وأظنك لو تصديتَ للقصص والكلام على الجميع ^(١) لكان لك حظٌ وافرٌ من السامعين العاملين ، والخاضعين والمحافظين . فكان من الجواب : أن التصدي للعامة خلوة ^(٢) ، وطلب الرفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ؛ وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولؤنته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .
- وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحد ثلاثة .

إما رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .
 وإما رجل عاقلٌ فهو يزدرية ^(٣) لتعرضه لجهل الجهال ، وإماله نسبة ^(٤) إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجانِب للهجر ، والأعتراف الجانِب للوصل ، فالقاص ^(٥) حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداواة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدِياد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إما مقتبساً منهم ، وإما قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فما رايت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصباً شديدةً لمائليه وعُداته .

قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحّةً الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلوة هنا معنى التبذل والامتهان . يقال : خلق التوب بتثليث اللام خلوة وخلقة : إذا بلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بمد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « فالقاص » .

قلتُ : قال يعقوب صاحب (إصلاح المنطق) :
 دخل أصحابي الحتام فزلق فأشجع ، فأنشأ يقول :
 وقالوا تظنُّ إنه يومٌ مُجمَعٌ فرُحْتُ من الحتام غيرَ مُعلَمٍ
 ترديتُ منه [شارباً] ^(١) شجَّ مفرقٍ بفلسين إني بئس ما كان متَجَرِّبِ
 وما يُحسِنُ الأعرابُ في السوقِ مشيئةً فكيف بيئت من رخامٍ ومزَمَرِ
 يقول لي الأنباطُ إذ أنا نازل ^(٢) « به لا بطلِّي بالصَّريمةِ أعفرِ » ^(٣)
 وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أروى قافية هذا البيت « أعفرا » ،
 وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية ؛ وأنصرفت .

(١) قد رأيتُ أيها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغى هذا الفصل أن أختم
 الجزء الأول بما انتهى إليه ، وأشفقته بالجزء الثاني على سياج ما سلف نظمته
 ونثره ، غيرَ عابجٍ على ترتيبٍ يحفظ صورةَ التصنيف على المادة الجارية لأهله ،
 وهذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأنَّ الحديث كان يجري على عواهنه بحسب
 السامع والداعي .

وهذا الفن لا ينتظم أبداً ، لأنَّ الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك
 ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مديد ، ورأيٍ يصدر عن تأييد وتسديد ^(٤) ؛
 والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،
 وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ وبقي البيت يقتضى ما أمبئنا .

(٢) « تارك » .

(٣) هذا مثل بضرب في العماة بالرجل . يريدون أن الكروه ينزل به ولا ينزل بطي
 أعفر ؛ كأنه من الحسة والهران بحيث يفغسل عليه الظي الأعفر .

(٤) في نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسديد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة في رجب
 سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

فهرست الاعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|---------------------------------------------|--------------------------------------------|
| ابن الجمل — ٣ : ٦٦ | إبراهيم بن العباس الصولي — ٧ : ٥٨ |
| ابن الحجاج = أبو عبد الله الحسين بن أحمد | إبراهيم بن حلال أبو إسحاق الصابي — |
| ابن الحجاج | ١٣ : ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ و ١٧ * |
| ابن حنبل = أبو القاسم بن حنبل | ابن أبي بكر — ٦ : ١٠٨ |
| ابن خنزة — ٨ : ١٣٠ | ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨ |
| ابن حيوة = محمد بن حيوة بن المؤمل | ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب |
| ابن خلكان — ٢١ : ٦٧ | ابن أبي طالب الجراحي الكاتب صواب |
| ابن الحمار = أبو الخير الحسن بن سوار | أبو طالب = أبو طالب |
| ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن خيران | ابن الأثير — ٢١ : ١٣٧ ، ٢٤ : ٥٠ |
| ابن دارة — ١٤ : ٤٩ | ابن الأخشاب — ٦ : ١٠٨ |
| ابن درستويه — ٩ : ١٣١ | ابن الباقلي = أبو بكر محمد بن الطيب القاضي |
| ابن رياح — ٦ : ١٠٨ | ابن برن — ٦ : ٧١ |
| ابن ربن = علي بن ربن | ابن برمويه = الحسن بن برمويه |
| ابن رشيد — ٨ : ١٠٨ | ابن بنية الوزير — ١ : ٤٢ |
| ابن الرومي = أبو الحسن علي بن العباس | ابن بكش — ٤ : ٣٨ |
| ابن جريج | ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩ |
| ابن زرعة = أبو علي عيسى بن إسحاق | ابن ثابت — ١٥ : ٥٦ |
| ابن زرعة | ابن ثوبة أبو الهيثم — ٦٦ : ٦٦ ، ٥٨ |
| ابن السراج = أبو بكر محمد بن السري | ٩ : ١٠٣ ، ١٨ : ٩٧ و ١٨ * |
| ابن سهل | ابن جلة الكاتب — ١٣ : ٤٧ ، ٨ : ٤٢ |
| ابن سمدان — ١٣ : ٤٣ ، ١٩ : ٤٢ | ٨ : ٤٨ |
| ١٧ : ٦٦ | ابن جرير — ١١ : ٥٨ |
| ابن سكرة — ٧ : ١٣٧ | ابن جليات = أبو القاسم علي بن جليات |
| ابن السناك = أبو العباس محمد بن صبح | |
| الكوفي | |

ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥
 ابن العلم = أبو عداة محمد بن محمد بن النعمان
 ابن القفح — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ١٧ : ١٧
 ٣ : ٧٣ ، ٤ : ٧١
 ابن مكيفا = أبو علي بن مكيفا
 ابن الملاح — ١٥ : ١٤٠
 ابن موسى — ١٠ : ٥٧
 ابن الناظر أبو منصور — ٨ : ٤٢ و ٩
 ابن نباتة السدي = عبد العزيز بن محمد الشاعر
 ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٦٧ : ٢١ ، ١١ : ٧٩
 ابن نوحث — ١٠ : ٥٨
 ابن هارون — ٧ : ٤٨
 ابن هندو — ٥ : ٦٣
 ابن الوراق — ١١ : ١٢٩
 ابن وهب — ٩ : ١٠٣
 ابن يحيى العلوي — ٨ : ١٠٨
 ابن يعقوب — ٤ : ٣٨
 ابن يبيش الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤ ، ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ٧ : ١٠٦
 ٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧
 ابن يونس القناني = أبو بصرمتي بن يونس
 أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن حلال الكاتب
 أبو إسحاق مزبذ المدني — ١٧ : ٥٨
 و ٢٣ *
 أبو إسحاق النصيبي — ٤ : ١٤١
 أبو بصرمتي بن يونس القناني — ١٠ : ٧
 ١٣ و ١٧ و ٢٤ * ١٠ : ١٠٨
 ١١٢ : ١١١ ، ٨ : ١٠٩
 ١٠ : ١١٥ ، ١ : ١١٤ ، ٧
 ١٠ : ١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ : ١٥
 ٩ : ١٢٢ ، ١١ : ١٢١
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث —
 ٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع
 ابن سيرين — ١٣ : ٥٨
 ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨
 ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩
 ابن شاهويه عامل صمصام الدولة — ٤٣ :
 ٣ : ٥٣ ، ٤ : ٤٨ ، ١١ : ٥٥
 ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد
 ابن علي
 ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩
 ابن عباد = أبو القاسم إسماعيل الصباح
 ابن عباد
 ابن مبدان — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨
 ابن عبد العزيز الهاشمي — ٨ : ١٠٨
 ابن عبدكان = محمد بن عبدكان
 ابن عبيد الكاتب — ٦١ : ٤٨ ، ١٣ : ٦١
 ٥ : ٩٦ ، ١٥
 ابن العميد = أبو الفضل بن العميد
 ابن القرات الوزير أبو الفتح الفضل بن
 جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧ ، ١٠٩ : ١١٨ ، ١٨ : ١١٧ ، ٤ : ١١٨
 ٣ : ١٢٠ ، ١٤ : ١١٩ ، ١٧ : ١٢١
 ١٧ : ١٢٨ ، ١٧ : ١٢١
 ابن فراس — ٧ : ١٠٨
 ابن القاسم = علي بن القاسم
 ابن القرميني — ٣ : ١٣٤
 ابن قوسين — ٤ : ٣٨ و ١٩ *
 ابن كعب — ٧ : ١٠٨
 ابن لالا — ٤ : ٣٨
 ابن دق = بصرمتي بن دق
 ابن مجاهد — ١١ : ٥٨
 ابن الحيا = خالد بن سنان العيسى
 ابن المديني — ٢٥ : ٢٦
 ابن المرائي = أبو الفتح محمد بن جعفر
 ابن المرزيان كاتب غفر الدولة — ١ : ٦٢ ، ٦ : ١٤١

٢٠، ١١٠ : ٢٢ : ٢٠٧ : ٢٢
 أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن
 الحجار — ١١ : ٣٢ : ١١ * ٣٣ :
 ١٤، ٣٥ : ٦
 أبو الخير اليهودي — ٢١٨ : ١٢
 أبو دعلج — ٧٠ : ٦
 أبو زكرياء — ٣٥ : ١١
 أبو زكرياء = يحيى بن عدى
 أبو زيد اللغوي — ١٣١ : ١٤٥ : ٢٢١ : ٦
 أبو زيد أحمد بن سهل البلخي — ٢٦ : ٢
 ١٥ * ٢١٢ : ١١
 أبو سعيد بهرام بن ازدشير — ٤٣ : ٦
 ١٥ * ٤٤ : ٤٨، ٤٨ : ٥
 أبو سعيد الذهبي الطيب — ١٥٧ : ١٤
 ٢١٣ : ١٠
 أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن
 المرزبان — ٢٥ : ٢ : ١٧ * ٢٧ :
 ٢، ٢٨ : ٥ : ٧٩ : ١٨ : ١٠٧ :
 ١٧، ١٠٨ : ٣ : ١٠٩ : ٤ :
 ١١١ : ٤ : ١١٢ : ١ : ١١٤ :
 ٢، ١١٥ : ١٢ : ١١٨ : ٣ :
 ١١٩ : ٣ : ١٢٠ : ٥ : ١٢١ :
 ١٢٢ : ٣ : ١٢٨ : ١٢ : ١٢٩ :
 ٦، ١٣١ : ٦ : ١٣٢ : ٣ :
 ١٣٣ : ٤ : ٢٢١ : ٣ : ٢٢٢ :
 أبو سليمان المنطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :
 ٢ و ١٣ * ٣١ : ١٠ : ٣٣ :
 ٤، ٣٥ : ٦ : ٣٩ : ٧ : ٤٠ :
 ١٦، ٤٢ : ٦ : ٨٨ : ١٦ :
 ١٣٠ : ١٣ : ١٤٦ : ٨ : ٢٠١ :
 ١٣، ٢٠٥ : ١٠ : ٢٠٦ : ٧ :
 ٢٠٧ : ٢١ : ٢١٤ : ٧ : ٢٢٤ :
 أبو شريح أوس بن حجر التميمي الشامي —
 ٥٩ : ٣

أبو بكر القومسي — ٣٢ : ١ : ١٤ *
 ٣٤ : ١١
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه
 الفقيه — ٩ : ٢١ *
 أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف
 بابن السراج النحوي — ٢٧ : ٢ : ١٤ *
 أبو بكر محمد بن الطيب البافلاني القاضي —
 ١٤٣ : ١ : ١٨ *
 أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧ :
 ١٣٣ : ٢
 أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣
 أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩ : ٢٢٢ : ١٧
 أبو حامد أحمد بن بقر المروزي — ٩٠ :
 ١٩ و ٦ * ٩٥ : ٧
 أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة الفامر —
 ٢٨ : ٨ و ١٩ *
 أبو الحسن الأنصاري صوابه الأنطاكي وهو
 أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ : ١٩
 أبو الحسن المروزي — ٥٩ : ١
 أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ابن
 الرومي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ *
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني — ١٠٨ :
 ٣، ١٢٨ : ١١ : ١٢٩ : ٥ :
 ١٣٣ : ١٣ و ٢٠ * ٢١٤ : ٧
 أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧
 أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :
 ٣٦، ١ : ١٥ * ٢٢٢ : ١٤ :
 ٢٢٣ : ٦
 أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣ : ١٣٢ : ٤
 أبو حنيفة اللغوي — ١٩٣ : ٢٠
 أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢ : ١٩
 ٣ : ١١ : ٧ : ٦ : ٢٦ : ١٧ :
 ٢٩ : ١٤ : ٣٢ : ١٤ : ٣٦ : ١٧ :
 ٥٠ : ٢٥ : ٩٠ : ٢٠ : ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ٥ : ٢٠٨ ، ١٤ : ١٤٠

٤ : ٦٦

أبو عثمان العسقي — ١٠ : ٢١٥

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ١ : ٣٢

و ١٦ * ٣٥ : ٣ : ٣٦ ، ٢ : ٤٨ . ٢ :

١٤ : ١٣٦ . ١٤

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١٣٦ :

١ و ١٢ *

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —

١٤١ : ٨ و ٢٠ *

أبو علي بن السمع — ١٣٢ و ١٠ : ١٣ *

أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرقعة —

٣٢ : ٩ و ١٠ ، ٣٣ : ٨ ، ٤٨ : ١٣

أبو علي الفسوي النحوي الحسن بن أحمد —

١٢٩ : ٥ و ١٩ * ١٣١ : ٤ ،

١ : ١٣٢

أبو علي بن مكيفا — ٤٣ : ٦ و ٢١ *

٤٤ : ١١ ، ٤٨ : ٦

أبو عمرو بن الملا — ٥٨ : ٩

أبو عمرو قدامة بن جعفر — ١٠٨ : ٧

أبو عيسى بن المنجم — ٥٦ : ٤

أبو العيلاء — ٥٨ : ١٣ ، ٧٠ : ٦

أبو الفتح بن العبيد = ذو الكفارين

أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن

العبيد

أبو الفتح الفضل بن جعفر = ابن الفرات

الوزير

أبو الفتح محمد بن جعفر الهنداني بن المراهي —

١٢٩ : ١٠ ، ١٣٣ : ١٧ و ٢٢ *

أبو الفضل بن العبيد الكاتب — ١٦ :

١٤ ، ١٧ : ١٥ ، ٣٢ : ١٧ ، ٣٥ :

٨ ، ٣٦ : ١٨ ، ٦١ : ١٢ ، ٦٦ :

٣ ، ٦٧ : ٩ ، ٦٨ : ١٥ ، ١٣٢ :

١٢ ، ١٣٦ : ٢٦

أبو شعيب دوست بن رباط القيمي —

٧٠ : ٩

أبو طالب الجراحي — ٦٨ : ١٤ و ١٦

أبو العباس — ١٢٤ : ٥

أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان المنطقي

— ٢٠٧ : ١٥ و ٢١ * ٢٠٨ :

١٤ ، ٢١٠ : ٤

أبو العباس المبرد — ٢٧ : ١٥ ، ١٣١ : ٨

أبو العباس محمد بن صباح الكوفي المعروف

بأبي السماك — ١٤ : ٥ و ١٥ *

١٥ : ٤ ، ٢٢ : ٣

أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —

١٣٣ : ٤ و ٥

أبو عبد الله الجيهاني أحمد بن محمد بن نصر —

٧٨ : ١١ و ٢٥ * ٨٥ : ١٥ ،

٨٦ : ١٤ ، ٨٨ : ٥ ، ٨٩ : ٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج

القاهر — ٤٨ : ٧ ، ١٣٧ : ٤

و ١٤٠ : ١٥ * ١٣٨ : ١ ، ١٣٩ : ٨

أبو عبد الله الحسين بن علي الجعل — ١٤٠ :

١ و ١٦ *

أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار — ٥٨ :

١٦ و ٢١ *

أبو عبد الله بن طاهر — ٤٣ : ٦ و ٢٢ *

٤٥ : ٣ ، ٤٨ : ٦

أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن

سمدان الوزير — ٢ : ١٩ ، ٤ :

١١ و ٢٣ : ١٢٩ ، ٢٢ : ١٣٩

٩ و ١٨

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم —

١٤١ : ٢ و ١٦ *

أبو عبد الله النصري — ١٣٢ : ١٠

أبو عبيد الله المروزي محمد بن عمران —

٤١ : ٥ ، ١٢٩ : ١٠ ، ١٣٤ :

٣ و ١٥ *

٥ : ٥٠ ، ١٣ : ٤٨ ، ٤ : ٤٧
 و ٢٢ * ٥١ : ٧ ، ٧ : ٥٢ ، ٢ : ٢٢٦
 ٢٣ : ٢٢٦
 أبو يوسف الفقيه — ١٠ : ٥٨
 أحمد بن بصر للروروذي = أبو حامد
 أحمد بن بصر
 أحمد بن جعفر جعطة = أبو الحسن أحمد
 ابن جعفر
 أحمد بن سهل البلخي = أبو زيد أحمد
 ابن سهل
 أحمد بن محمد — ٢ : ٦٤
 أحمد بن محمد مكويه = أبو علي أحمد بن محمد
 أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبدالله
 الجيهاني أحمد بن محمد
 أخشاد — ١٠ : ٧٩
 إديوس — ٣ : ١٦٤
 أرسطوطاليس — ٣٦ : ١٨ ، ٥٨ :
 ١٢ ، ١١٤ : ٤ ، ١١٦ : ٩
 استاينجاس — ٢٠ : ٦١
 إسحاق بن إبراهيم القوصلي — ٦ : ٧٦
 إسحاق بن عمران — ١٩ : ٩٧
 الأسدى — ١٥ : ٩٤
 الإسكافي — ١٠ : ٥٨
 الإسكندر — ٥ : ٧٥
 إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل
 صاحب بن عباد
 أشنجع السلمي — ٨ : ٥٨
 الأصمى — ٧ : ٩٤
 أفكين — ١٠ : ١٣٧
 الأقرع بن حابس — ٥ : ٨٥
 أقليدس — ٩ : ٨٩
 امرؤ القيس — ٢٠ : ١١٨ ، ٢٠ : ٢٠٦ ، ١٨ :
 الأندلسي — ١٦ : ٢٢٠ ، ٩ : ٢١١
 أنوشروان — ٣ : ٨٠ ، ٧ : ٧٥

أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد —
 ٣ : ١٣ و ٢٣ * ، ٢٤ : ١٤ و ٢٣ ،
 ٥٣ : ٢ ، ٦١ : ١٥ ، ٦٣ : ١٣ ،
 ٦٤ : ٦ ، ٦٦ : ٢ ، ٦٧ : ٨ ، ٦٩ :
 ١٩ ، ١٠٣ : ١١ ، ١٣٤ : ٢٢ ،
 ١٣٧ : ١٦ ، ١٤١ : ١٢
 أبو القاسم بن حنولة — ١٥ : ٢٤
 و ٢١ *
 أبو القاسم الباركي — ٩ : ١٤١ و ٢٢ *
 أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف —
 ٤٢ : ١٩ ، ٤٨ : ٤ ، ٦١ : ١٢ ،
 ٦٦ : ١ و ١٥ *
 أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —
 ٣٨ : ١٧ و ٣ *
 أبو القاسم علي بن جلبات — ٧ : ١٣٥
 و ١٧ *
 أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —
 ٣٢ : ٢ و ٢٣ * ، ٣٦ : ١١
 أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن
 المصري — ٣٥ : ٥ ، ٥٦ : ١٥ ،
 ٥٧ : ١٢ ، ٢٢٢ : ١٦
 أبو محمد الحاج بن يوسف — ٢ : ٤٧
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة —
 ٩ : ٧٥
 أبو منصور = ابن الناطر
 أبو نصر خورشاذه — ٥١ : ١٦ *
 أبو نصر سابور — ٤٣ : ٢٢
 أبو نصر الفارابي — ٣٢ : ٢١ *
 أبو نواس — ١١٠ : ٢٠ *
 ٣ : ٩٧ و ٨ : ١٨ و ١٠٣ : ٩
 أبو الوفاء علي بن يحيى المصري —
 ٣٨ : ٢
 أبو الوفاء المهندس محمود بن محمد بن يحيى —
 ٢ : ١٩ ، ١٩ : ٧ ، ٤١ : ١٢ .

(ح)

الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج
ابن يوسف

المراني — ٣٨ : ٥

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو طي
القسوي

الحسن بن برمويه — ٤٢ : ٨ و ١٨ *
٣ : ٤٣

الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار
الحسن بن عبد الله المرزيان = أبو سعيد
السيرافي

الحسن بن علي الخالغ = أبو علي الحسن بن
علي الخالغ

الحسن بن وهب — ٩٧ : ٧

الحسين — ١٣٩ : ٩

الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو
عبد الله الحسين بن أحمد

الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =
أبو عبد الله العارض

الحسين بن صالح بن خيران = أبو طي الحسين
ابن صالح

الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين
ابن علي

الحسين بن محمد النجار = أبو عبد الله الحسين
ابن محمد

(خ)

خاقان — ٧٩ : ٩

خالد بن سنان العبسي — ٥٩ : ٣ و ١٥ *

خالد بن صفوان — ٢٣ : ٢

الخالد — ١٠٨ : ٦

خراسان — ٢٢١ : ٢٢ *

الأهوازي — ٤٨ : ١٤

أوميروس الشاعر — ١٦٤ : ٣

(ب)

باقل — ٦١ : ١٧

البخاري المحدث — ٢٦ : ٢٤

البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ
أبي سليمان

البديهي — ٣١ : ٩

بهر بن مني — ٣٢ : ٢٢

بهر بن هارون — ١٣٩ : ٦

البلعمي الوزير — ١٣٠ : ٣

بلهور — ٧٩ : ٩

بندار الغني — ٤٢ : ٩

بهاء الدولة البويه — ٣٢ : ١٨ *

بهرام بن أزدشير = أبو سعيد بهرام
ابن أزدشير

(ث)

ثابت — ٥٧ : ١٢

(ج)

جابر بن حيان — ٣٥ : ١١

الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ

جعظقة = أبو الحسن أحمد بن جعفر

الجراح = أبو القاسم عيسى بن طي

الجراسي = أبو طالب الجراسي

جرير — ٧٩ : ٢٤، ١٩٧ : ١٦

جعفر بن يحيى — ١٠٠ : ٦

جيل بن معمر صاحب بئنة — ١٣٨ : ١٤

الجهاني = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر

الجهاني = محمد بن أحمد

زكرياء (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 الزهري — ٧: ١٠٨
 : هير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥: ٤٥ *
 ٢١: ٧٧
 الزهري — ٨: ٦٣

(س)

سابور بن أزدشير — ١٦: ١٣٧
 سابور = أبو نصر سابور
 سبحان — ٢: ١٣٩
 السرى السقطي — ١٧: ٥٨
 سطيج — ٢: ٥٩
 سقراط — ٩: ٢١٥
 سكان شاه — ٤: ٧٩
 السلامي — ١٠: ١٣٤
 سليمان (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 سليمان بن عبد الملك — ٦: ٢٧
 سهل بن هارون — ١٤: ٥٨
 سيويو — ٧٩: ١٨، ١٣١، ٧٧
 ٣: ٢٢٢
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي
 سيف الدولة بن حمدان — ٢٥: ١٣٦
 ١: ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢: ٧١
 شرف الدولة البويهى — ١٦: ٥١
 شهرزاد — ٢٣: ٢٢ *

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال

خراش بن زهير — ٩: ٢٢١
 الخليل بن أحمد — ٩: ٥٨
 خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الصارقطنى — ١١: ١٣٠
 داود (عليه السلام) — ١١: ٩١
 دوست بن رباط الفقيس = أبو شعيب
 دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٨ و ١٠: ٢٢
 ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢: ٥٩
 ذو الكفارين أبو الفتح علي بن أبي الفضل
 محمد بن العميد — ١٢: ٣ و ٢٠: ٢٠ *
 ١٠: ٦٦، ١٣٦، ٣: ١٣٧
 ٣: ١٣٩، ١٠ و ٩

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي
 الراوندى — ١٩: ١٤٠
 ردينة — ٢٢: ٧٦
 الرشيد = هارون الرشيد
 الرضى بالله العباسى — ١٩: ٧٩
 الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى
 ركن الدولة البويهى — ٢١: ٣
 روضة بن العجاج — ١٩: ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨: ١٣١
 زرادشت — ٩١: ٩٢، ٣: ٩٣، ٢

علم الجارية — ٩ : ٤٢
 على بن أبي طالب — ٩ : ٧٠ ، ٢١ : ١٠
 على بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبد =
 ذو الكفارين أبو الفتح على
 على بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن
 الأنصاري

على بن جعفر — ٦ : ٦٢
 على بن جليات = أبو القاسم على بن
 جليات

على بن ربن — ٥٨ : ١٥ ، ١٩ *
 على بن العباس بن جريج = أبو الحسن على
 ابن العباس

على بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :
 ١٤ : ٦٨ ، ٢٣

على بن القاسم — ١٦ : ٦١
 على بن يحيى السامري = أبو الوفاء على
 ابن يحيى

عمارة بن عقيل — ٧ : ٢٢٢
 عمر بن الخطاب — ٨ : ٢١ ، ١٠٣ : ٨

عمر بن عبد العزيز — ٩ : ٢٦
 عمرو بن كلثوم — ٢٠ : ١٤٣ *

عمير بن شليم التغلبي الملقب بالقفاطى — ٢٢ :
 ١٤ و ٢٢ *

عنزة العيسى — ٢٠ : ١١ *
 عيسى بن إسحاق = أبو على عيسى
 ابن إسحاق

عيسى بن دأب الأخبارى — ١٥ : ٥٨

عيسى بن على بن عيسى الجراح = أبو
 القاسم عيسى

عيسى (عليه السلام) — ١٥ : ٥٩

(غ)

غزال الراص — ٩ : ٤٢

الصاحب بن عباد = أبو القاسم إسماعيل

الصاحب بن عباد

الصافى — ٣ : ٣٨

صبغ — ١٠ : ٧٩

صرع الفوائى — ٧ : ٥٨

صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه —

٤ : ٢٤ ، ٤٢ : ٤٢ ، ١٨ : ٤٣ ، ١٢ : ٤٣

١٧ : ٦٦ ، ١٧ : ٥١

(ط)

طرفة — ٢٠ : ٨١ *

(ع)

عباد أبو الصاحب — ٨ : ٦٣

العباس بن مرداس — ٦ : ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن نبانة السعدى —

١٣٦ : ١١ و ٢٥ *

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٦ : ٨٤

عبد الله بن مصعب — ٥ : ٤١

عبد الله بن مروان — ٧ : ٢٦

عبيد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —

١٠ : ٢٦

عروة بن الورد — ١ : ٦١

عن الدولة البويهى — ١٨ : ٦٧

المجدي — ١٤ : ٤٨

عضد الدولة بن بويه — ٣ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٩ ،

٣٢ : ١٨ ، ٤٢ : ٢٢ ، ٤٣ : ٢١ ،

٦٦ : ١٦ ، ٦٧ : ١٨ ، ١٣٤ : ٢٢ ،

١٣٧ : ١٦

مقي = أبو بهر مقي بن يونس القناني
محمد (صلى الله عليه وسلم) — ١٥ : ٥٩ .
٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم — ٥ : ٦٩
محمد بن أحمد الجيهاني — ٢٥ : ٧٨
محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفقيه =
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي
محمد بن جعفر الحمداني = أبو الفتح محمد
ابن جعفر
محمد بن الحسين الحاتمي — ١ : ١٣٥ ،
* ١٠ و

محمد بن حيويه بن المؤمل — ١١ : ١٢٩
١٣٤ : ٣ و ١٨ *
محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد
ابن السري
محمد بن صبح الكوفي = أبو العباس محمد
ابن صبح
محمد بن طاهر = أبو سليمان المنطقي محمد
ابن طاهر
محمد بن طنج = ابن طنج
محمد بن الطيب الباقلائي القاضي = أبو بكر
محمد بن الطيب
محمد بن عبدكان — ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨
* ٢٥ و

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزباني
الأديب
محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد
ابن محمد بن النعمان
محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن
محمد بن يوسف
محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس
المرزباني بن محمد ملك الديلم — ١٤ : ٦٨ ،
٥ : ١٣٠

المرزباني صاحب آل سامان — ٩ : ١٠٨

هلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن
هليلان بن عقبة بن نهيس = ذو الرمة

(ف)

غفر الدولة أبو الحسن علي بن بويه — ٤ :
١٧ : ٦٠ ، ١٢
فضالة بن كلدة — ٤ : ٥٩
الفضل بن جعفر = ابن الفرات

(ق)

قايوس — ٩ : ٥١
القادر بالله الخليفة — ١٠ : ١٣٥
قارون — ١٤ : ١٤١
قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر
قس بن ساعدة — ١٧ : ٦١
القس نظيف النفس الرومي — ٢ : ٣٢
١٩ * ٣٧ : ٣
القنطاري = عمير بن شميم التقي
القنطاري — ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢
القناني = أبو بهر مقي
القوي — ٣ : ٣٨
قيصر — ٨ : ٧٩

(ك)

الكشي — ٦ : ١٠٨
كريز أبو سيار المسمي — ٧ : ٧٠
كسرى — ٨ و ٣ : ٧٩
كسرى أنوشروان = أنوشروان
الكندي — ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

(م)

المعني — ١١ : ١٣٥

(هـ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٣
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الوائق بالله الخليفة — ٩٧ : ١٦
الواسطى — ١٤٠ : ١١
الواقدي — ٥٨ : ١٦
وهب بن يعش الرقي = ابن يعش

(ي)

ياقوت — ٥٥ : ٢٠ ، ٧٩ : ١١ ، ٨٤ :
١٤ ، ١٠٧ : ٢١ ، ١١٠ : ١٨ ،
١١٦ : ٢٠ ، ١١٨ : ١٧ ،
١٣٢ : ٢٠
يعني (عليه السلام) — ٩١ : ١٢
يعني بن عدي أبو زكريا — ٣٢ : ٢
و ٢١ * ، ٣٧ : ٦
يقوب بن السكيت — ٢٢٦ : ١
يقفور صوابه قُفُور — ٧٩ : ٩
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مكويه = أبو علي أحمد بن محمد

المسيح (عليه السلام) — ١٥٠ : ١٢

مماوية بن أبي سفيان — ١٠ : ٢١ *

١٥ : ٥٠ ، ٧٠ : ٩

المصم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ *

المرى صوابه المصمري — ٣٨ : ٣

المقتدر الخليفة العباسي — ١٠٧ : ٢٢ *

النمر بن ساي — ٨٤ : ٥

للهدى الخليفة — ٧٠ : ٦

المهايي الوزير — ١٣٢ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦

موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١

مؤيد الدولة أبو منصور يوي — ٣ : ٢٤ *

٤ : ١٣ ، ٦٠ : ١٧

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم

النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد

نصر الدولة — ٣٢ : ١٤

نصر غلام خواشاذه — ٥١ : ٢

النصري = أبو عبد الله النصري

النصبي = أبو إسحاق النصبي

نظيف = النفس نظيف النفس الرومي

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٣ ، ١٣٦ : ٢٦ ، ١٤٠ : ١٩ ،

١٤١ : ١٠ و ٢٣

بلاد الجبال — ٣ : ١٧ ، ٤ : ١٠

بوزجان — ٥٠ : ٢٣

البيت العتيق — ٢٤ : ٩

البيارستان — ٥١ : ٧

(ت)

تركستان — ٧٩ : ٢١

تفليس — ٥٥ : ١٣

(ج)

جبل طى — ٨٣ : ٢٢

جرجان — ٥١ : ٩

جزيرة العرب — ٨٤ : ٢٤

جيهان — ٧٨ : ٢٤

(ح)

حضر موه — ٨٤ : ١٠

(خ)

خراسان — ٢٦ : ١٦ ، ٤١ : ١٥ ،

(١)

أرجان — ٤ : ٩ و ١٩

أرم — ٨٤ : ٧ و ٢٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٧٩ : ٢٨

أسكنان — ٧٩ : ١٠

أصبهان — ٦٣ : ٨ ، ٧٩ : ٢٧ ،

١٤١ : ٢٢

أندلس — ٧٧ : ٩

أنطاكية — ٩٣ : ١٩

الأهواز — ٤ : ١٩ ، ١٣١ : ١٢

(ب)

باب الجسر — ٥١ : ٦

بابهان = أرجان

باريس — ١٣٧ : ١٧

بحر الهند — ٨٤ : ٢٥

البحرين — ٨٤ : ١٤ و ١٦

بخارى — ٧٨ : ٢٥

البصرة — ١٤٠ : ١٧

بنشاد — ٣ : ١١ ، ١٤ : ١٦ ، ٢٥ :

١٨ ، ٢٨ : ٢١ ، ٢٩ : ٣٥ و ١٣

٣٢ : ١٣ و ٢٠ ، ٤١ : ١٨ ،

٩٣ : ١٩ و ٢٠ ، ١٠٨ : ١٨ ، ١٣١ :

(ش)

الشام — ٧٩ : ٢٠ ، ١٠ : ٢١ ، ٧٩ : ٢٠
 ٨٣ : ٢٢ ، ٨٤ : ١٠ ، ١٩٤ : ١
 الشجر — ٨٠ : ٨٤ ، ٦٣ : ٨٠ ، ٧ : ٢٥

(ص)

صحر — ٨٤ : ٧ و ٢٣
 الصفا — ٨٤ : ١٦
 صفين — ٧٠ : ٧
 صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٠ : ١
 الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨
 طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عدن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥
 العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠
 ٢٣ ، ٨٤ : ١٠ ، ١٣٤ : ٢١
 مرقاة — ٨٥ : ٦
 عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١٠
 عمان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ١
 ٢٢ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩
 فرغانة — ٥٥ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩
 ١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٢٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،

١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩

خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩
 دارك — ١٤١ : ٢٢
 دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠
 دمشق — ٨٣ : ٢٣
 دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ :
 ١٢ و ٣

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى
 الراية — ٨٤ : ١٠
 الرى — ٣ : ١١ و ١٧ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥ ،
 ٣٦ : ١٠ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،
 ١٤١ : ١٢

(ز)

زروود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٢ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣
 سرمن رأى — ٦٩ : ٦
 سنجان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيسابور — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥٠ ،
١٤١ : ١٠ و ٢٢

(هـ)

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧
همنان — ٥٣ : ١٢ ، ١٣٤ : ١٨ ،
١٤١ : ٥ و ١٣
الخير — ٨٠ : ١٦
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،
١٧٤ : ٨

(و)

واسط — ٢٨ : ٧٩ ، ٢١ : ٢٨
وبار — ٨٠ : ٣

(ي)

يبرين — ٨٠ : ٤
اليمن — ٨٤ : ٢٥ ، ٨٠ : ١٣
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

(ك)

كرخ بغداد — ١٣٤ : ٢١
الكوفة — ١٤ : ١٧ ، ٩٧ : ١٩

(م)

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣
للتحف البريطاني — ١٣٧ : ١٧
للدبنة — ٨٣ : ٢٢
مدينة السلام = بغداد
مرو — ٤١ : ٢١
للعفر — ٨٤ : ١٦ و ٥
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،
١٠٨ : ٩
مكة — ٨٠ : ١٦
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٧

(ن)

نجد — ١٩٦ : ٩
التوبة — ١٦٥ : ١٤

فهرست القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدى

١١٧ : ١٤ ، ١٣٧ : ١٠ ، ١٤٤ :
 ١٠ ، ٢١٢ : ٦ و ٧ و ٨

(ج)

الجاهلية — ٩٩ : ١٤
 الجبرية — ٥٧ : ٢٤

(ح)

الحكاء — ١٤٦ : ١٢ ، ١٤٨ : ١٣

(خ)

الحرمية — ١٤٣ : ٤

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤ ، ٧٤ : ١ ، ١٧٣ :
 ١٧ ، ٢١١ : ١٩

(ز)

الزبدية — ٥٥ : ٣
 الزنج — ٧١ : ١٨ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٧ :
 ٩ ، ٣١٢ : ٩

(١)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =
 ١ : ٥

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨ ، ١٠٣ : ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩ ، ١٢٩ : ١٦

الأتراك = الترك

أهل القمة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البصريون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣ و ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو تميم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو مخزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التايهون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٧ : ٧٧

٩ ، ٧٩ : ٩ ، ١١٠ : ١٣

٩١ : ٩٤ ، ٩٦ : ٩٢ ، ١٤ : ٩١
 و ٣ و ٧ و ١١ و ١٦ : ٩٥ ، ١٠٦ :
 ١٩ ، ١١٠ : ١٣ ، ١١٤ :
 ٣ ، ١١٧ : ١٤ ، ١٢٢ : ١٦ ،
 ١٢٩ : ١٢ ، ١٣٠ : ٤ و ٤ ،
 ٢١٢ : ٤ و ٦ و ٨ و ١٤ و ٢١ ،
 ٢٢١ : ٥

المراقبون — ٦٤ : ٢

(ف)

الفرس — ٧١ : ١١ ، ٧٤ : ١ و ٧ و ١٠ ،
 ٨٩ : ١٥ و ١٧ ، ٩٠ : ١١ ، ٩٣ :
 ٥ و ١٦ ، ٩٤ : ٥ ، ١١٠ : ١٣ ،
 الفلاسفة — ٢٦ : ١٥ ، ١٩٨ : ٧

(ق)

الفرامطة — ٤٤ : ٣ ، ٤٨ : ٥

(ك)

كلب — ٨٣ : ٢٣ ، ٨٤ : ١ و ٣ و ٤
 كناية — ٨٣ : ٢٣
 الكوفيون — ١٣١ : ٥

(م)

المتكلمون — ١٤٣ : ١٨
 المستزلة — ٥٤ : ١٤ ، ١٤٣ : ٣
 الملحدة — ١٤٣ : ٤
 المنطقيون — ١٠٨ : ١٨ ، ١٢١ : ٨
 المهندسون — ١٠٧ : ٦

(س)

السامانيون — ٧٨ : ٢٦
 السودان — ٢١٢ : ٩

(ش)

الشافعية — ١٤١ : ٢١
 الشيعة الإمامية — ١٤١ : ١٦

(ص)

الصابثون — ٦٧ : ٢١ ، ٩١ : ٨ ،
 ١٢٨ : ٧
 الصبابة — ٢٥ : ٢
 صقلاب — ٧٧ : ٩
 الصوفية — ٧ : ٨ ، ٥١ : ١٩

(ط)

الطبيعيون — ١٠٧ : ٦

(ع)

عبس — ٥٩ : ١٦
 العجم — ٤٧ : ٢ ، ٧٠ : ١٢ و ١٧ ،
 ٧٧ : ٨ ، ٨٣ : ١٢ ، ٩٠ : ١
 العرب — ٢٤ : ٩ ، ٢٥ : ٣ ، ٤٧ :
 ٢ ، ٥٠ : ١٧ ، ٧٠ : ١٢ و ١٣ ،
 ١٤ و ١٥ ، ٧١ : ١٨ ، ٧٢ :
 ٥ ، ٧٤ : ٣ و ٨ ، ٧٦ : ١٤ و ٢٢ ،
 ٨٠ : ٢٣ ، ٨٢ : ٨ ، ٨٣ : ٣ و ١٠ ،
 ٨٤ : ٢٠ و ٢١ ، ٨٥ : ٧ ،
 ٨٦ : ١٦ ، ٨٨ : ١٦ ، ٨٩ : ٩

١١٧ : ١٤ ، ١٧٤ : ٨ ، ٢١١ :
٢ : ٢١٢ ، ١٩

(٥)

اليهود — ١٠ و ٨ : ٩١
يونان — ٧٥ : ٥ ، ٨٩ : ١٦ و ١٨ ،
١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١ ،
٢ : ٢١٢

(ن)

التحويون — ١٠٧ : ١ ، ١١٧ : ٩ ،
١٠ : ١٢١
النصارى — ١٠ و ٨ : ٩١

(هـ)

الهنود — ٧٤ : ١٨ ، ٧٧ : ٩ ،
١٣ : ١١٠ ، ٩٣ : ٩ ، ٧٩

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ١٧ : ٣٢

(ح)

حياة الحيوان — ٢١ : ١٨٠
الحيوان للجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ١٧ : ٤٢ ، ٤٣ : ٢٠

(ر)

الرسالة الحاتمية — ١٠ : ١٣٥

(ع)

عيون الأخبار — ٢٤ : ٢٧
عيون الأنباء — ١٨ : ٤١

(ف)

فردوس الحكمة — ١٩ : ٥٨
فضيلة علم الأخبار — ١٦ : ٢٦
الفلاحة — ١٠ : ٨٩
الفهرست — ١٦ : ١٣٤

(١)

آيينه نامه — ٢٥ : ٧٨
الأجوبة — ١٦ : ٣٦
أخبار بني بويه — ٢٠ : ٦٧
أخبار الحكماء — ٢٤ : ٥٠ ، ١٨ : ٣٨
إصلاح المنطق — ١ : ٢٢٦
إيجاز القرآن — ١٩ : ١٤٣
الألفاظ الفارسية العربية — ٢٤ : ٧٩
ألف ليلة وليلة — ٢١ : ٢٣
إتقاذ البصر من الجبر والقدر — ١٥ : ٢٢٢
إيساغوجي — ٤ : ٣٥

(ب)

البدل — ٢١ و ١٦ : ٥٨
بلوغ الأرب — ١٨ : ٨٤
البهجة — ٢ : ١٣٤ ، ٢٣ : ١٣٣

(ت)

التلخيص في أخبار بني بويه — ١٩ : ٦٧
تاريخ ابن الأمير = الكامل لابن الأمير
تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء
تجارب الأمم — ١٧ : ٣٢

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٤
 للمعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩
 مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢
 مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١
 المقابسات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥
 ١٩ و ٢١ ، ١١٦ : ٢٠
 المقدمات — ١٤١ : ٢١
 الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

نقض كلام الراوندي — ١٤٠ : ١٩
 نقض كلام الرازي — ١٤٠ : ١٩
 نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩
 النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار أفسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ي)

يخيمة الدهر — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥
 ١٨ ، ١٣٦ : ١٣ ، ١٣٧ : ١٧

(ق)

قاطيفورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :
 ٢٤ ، ١٣٧ : ٢١
 كتاب إقليدس ٨٩ : ٩
 مكنات الجيهاى فى الطمن على العرب —
 ٧٨ : ١١
 كتاب سيويه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :
 ٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨
 اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطى — ٨٩ : ٩ و ١٥
 مستدرک التاج — ١٢٢ : ٢٠
 معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،
 ٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي على تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها الملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرته مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العلمية القيمة .

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣	٨	أبعدُ	أبعدَ
٣	١٣	عابسا	عاتبا
١٠	٦	يُفْتَقِرُ	يُفْتَقِرُ
١٠	٨	بفكاهتك	بفهاهتك
١٢	٢	زهراتها	زهرتها
١٢	٩	وعيوب	وغيوب
١٣	٩	طلب	طيب
١٦	٩	يبحر صون	ويبحر صون
٢١	١	محاوبة	محاابة
٢٦	١٠ و ٩	والله إني لأشتري المحادثة من عبيد الله شاذ	والله إني لأشتري ليلة من ليالى عبيد الله شاذ
٣٥	٣	السامري والمري	السامري والمري
٣٨	٣	مخارق النجوم	مخارق النجوم

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٩	١٥	عنده الصناعة	هذه الصناعة
٤٠	١٣	يمرّ	يَعْتَبِرُ
٤٠	١٩	النفس الفلكية	النفس الكلية
٤١	١	» »	» »
٤١	١٣	قال	قلت
٤٤	٦	تأجيل	تهجين
٥١	٩ و ٨	إلى قابوس وجرجان	إلى قابوس بجرجان
٥٧	١٤	أنه من فعلاته	أنها من فعلاته
٥٨	٤	يقال	يقال [له]
٦٨	١٦	ابن أبي طالب	أبو طالب
٧٠	١	في دار	في دار [لِتَانٍ] . (والثاني :
			الدهقان ؛ أوزعيم الإقليم)
٧٢	١٣	ويتجنّون به على الدناءة	ويتجنّبون به الدناءة
٧٩	٩	يقفور	فُفُور
٨٣	١٠	ويكفيّني	ويدفّني
٨٦	١١	للمؤذية	المؤذبة
٨٦	١٣	نَقَّاب	نَقَّات
٨٨	٢	والاختيار	والاختيار
٨٨	١٦	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	وأبو سليمان يقول مع الجماعة
١٠٠	١١	وينصف	وينصف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠١	٩	خَرَفَتْ	خَرَفَتْ
١٠٢	٢٠ و ٢١	تَغْذَى	تَتَغْذَى
١١٣	١٥	بِأَدَةٍ	بِعِبَارَةٍ
١٣٦	١١	يَذْفَعُ	[لا] يَذْفَعُ
١٥٨	١٥	بِذَّالًا	بِزَّالًا
١٩٦	٧	حَدَّثَتِ الْعَيْنَ	جَذَبَتِ الْعَيْنَ
١٩٧	٢٠ ح	تُوبِينَ	تُوبَانِ
٢٠٨	١٠	لَمْ تَتَحَرَّكُونَ	لَمْ [لا] تَتَحَرَّكُونَ
٢١٨	٤	وَالثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ	و [دون] الثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ
٢٢٠	٧	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَانِ	لَا تَطْرِدَانِ وَلَا تَسْتَمِرَانِ
٢٢٣	١	قَوِيَّةٌ	قَوِيَّةٌ

وقد تفضل فحتم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تقييده ، ومن هذه الملاحظات ما يرد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهني الأستاذين ناشريه على ما وُقِّعَ له من تقويم غلطاته وسقطاته ونحريقاته ، والمصمة لله وحده » .

